الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية : الآداب والعلوم الإنسانية

قسم: التاريخ

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

كُتّاب الخلفاء الأمويّين

ـ دراسة في المهام والوظائف ـ

132- هـ/661-750م

مذكرة مكملة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط

(المشرق الإسلامي- تاريخ وحضارة-)

إعداد الطالب:

مراد لكحل

إشراف الدكتور:

محمد فرقاني

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة
د.محمد فرقاني	مشرفا مقررا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الجامعية: 1430-1431هـ/2009-2010م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى القلب الكبير الذي رعى بحبه أحلامي، وسقى باهتمامه طموحاتي وإلى شريان الحنان المتدفق عطاء ودعاء، والداي العزيزان حفظهما الله.

إلى جميع الإخوة والأخوات.

إلى رفقاء الدرب الطويل أصدقاء عمري الجميل، إلى الذين استفدت من رفقتهم وسعدت بصحبتهم وتعلمت من تجاربهم وأفكارهم، أصدقائي الأعزاء.

إلى القناديل المضيئة التي أنارت دربي على مدى عشرين عاما معلميّ وأساتذتي.

إلى الذين شجعوني ولو بكلمة وساعدوني ولو بدعاء.

إلى كل هؤلاء أهدي جهدي راجيا أن ينال القبول رغم ما فيه من النقص والتقصير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر

الحمد والشكر أولا وأخيرا لله تعالى على منّه وفضله عليّ، فهو خير معين لي في هذا العمل.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى الدكتور "محمد فرقاني" الذي اشرف على هذه الرسالة، وأشكره بخاصة على جهده وإخلاصه، من أجل أن يصل بالطالب إلى جادة الصواب في العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة والزملاء الذين ساعدوني في إنجاز هذا البحث سواء أكانوا من جامعة الأمير عبد القادر أو من سواها.

ولا أنسى شكر مخرجة هذه الدراسة شبيلة –حفظها الله– متمنيا لها المزيد من النجاح والتوفيق.

جزاكم الله جميعا كل خير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد كان دور بني أميّة في توطيد أركان الدولة الجديدة، وفي نشر الإسلام واللغة العربية هاما وبارزا، وتتجلّى أهمية هذا الدور بشكل خاص فيما استحدثه الخلفاء الأمويّون من أساليب وتنظيمات إدارية، وما ارتأوه من حلول للمشاكل التي واجهوها، وقد لعبت الكتابة كوسيلة والكتّاب كهيئة إدارية دورا بارزا في حلّ مشاكل الدولة، ولهذا السبب عنيت الدولة بهما عناية كبيرة، هذا بالإضافة إلى أن صناعة الكتابة حرفة شريفة عند العرب، تشد إليها الرّحال وتحدق بها الأبصار، لما لصاحبها من مكانة اجتماعية وثقافية عالية بين الناس وعند أهل الحكم، ومع الوقت أصبح لهذه الحرفة أو المهنة علم خاص بها، وفتحت لها المدارس والدّور لتعليم الراغبين فيها، وألّف فيها علماء المسلمين كتبا، لهذا كان اختياري لموضوع: "**كُتّاب الخلفاء الأمويين –دراسة في المهام والوظائف 41–132هـ**".

فقد كان لكتاب الخلفاء العديد من الوظائف والمهام، أوكلت إليهم واشرفوا على تنفيذها، وقد كان الدّافع لاختيار هذا الموضوع هو رغبتي في معرفة مدى أثر هؤلاء الكتّاب في سير الدولة، وكذلك حبّ التقصي والاستقراء لإبراز شخصيات مطموسة لعبت دورا في الإدارة والأدب والتاريخ، فالمعلوم الملاحظ أنّ الأحداث وتطوّر الدول ينسب دائما إلى الخلفاء والملوك، وفي المقابل ننسى أو نغفل دور رجال أفذاذ، عملوا في الخفاء وتحت سلطة الحكام، وهم من لعب الدور الرئيسي في تسيير الدولة وتطوّرها، وبعد تصفحّي للعديد من المصادر والمراجع أيقنت أنّ للموضوع أهمّية كبيرة ورأيت أن أخوض فيه، ثم إنّ الكتابة عنه في أغلب المصادر والمراجع كانت عامة مطلقة، غير محددة بعصر أو فترة معينة، فقمت بحصر الكلام عنه في الدولة الأمويّة.

وممّا دفعني لاختيار هذا الموضوع أيضا حيّويته وثراء المصادر بالمعلومات المتعلقة به، إلاّ أنّ هذه الأخيرة جاءت متفرقة، فسعيت جاهدا لجمع هذا الشّتات من كتب التاريخ والتراجم والأدب وغيرها، ولا يخفي علينا أيضا ما للجانب الإداري من أهمية في سيرورة المجتمع وتطوّره، فالإدارة حتى اليوم تلعب دورا بارزا في تقديم مختلف الخدمات وبأيسر الطرق، وهذا ما دفعني لبذل الجهد من أجل دراسة وتوضيح وظيفة إدارية، وتسليط الأضواء عليها لمعرفة خباياها.

فالهدف من اختيار هذا الموضوع هو توضيح الدّور الذي لعبته الإدارة كجهاز يشرف على تسيير وظائف الدولة، كما أريد أن أبرز المكانة الهامة التي احتلّها كتاب الدّولة وأثرهم على قوّتها وضعفها، وإلى أي مدى قد اخلصوا للدولة وخلفائها، كما أهدف للكشف عن حقيقة مساهمة

هؤلاء الكتّاب في تطوير وترقية اللّغة العربيّة قي الإدارة ومساهمتهم في تعريبها، وأخصّ بالذكر الإدارة الماليّة، كما أسعى للكشف عن أثر هؤلاء الكتّاب ودورهم في خدمة الإسلام، لأنّه كثيرا ما يغفل هذا الدّور إن لم نقل يهمل نهائيّا، فالكاتب لم يكن دائما مجرّد صائغ فنّي محترف لقرارات الخلفاء والولاّة، وإنّما كان بحكم موقعه منهم صاحب رأي، وله أن يتدخّل في السياسة والمجتمع، وبذلك لم تقتصر وظيفته على التدوين فحسب، بل تعددت وظائفه وتنوعت.

وفي خضم الحديث عن كل هذا أهدف للكشف عن أسرار هذه الوظيفة المميّزة وتطوّرها من خلال دراسة كتّاب خلفاء الدولة الأمويّة، أما عن الإشكالية التي يطرحها موضوع بحثي فتمثلت فيمايلي:

ما مكانة الكتّاب في الدولة الأموية؟ وما الدور الذي لعبه كتاب الخلفاء في تطويرها؟ ثمّ ما هي أهم الوظائف التي أسندت لهؤلاء الكتاب وأشرفوا عليها؟ وهناك إشكاليات أخرى فرعيّة: ما هي شروط الكتّاب وصفاتهم؟ ما هي الأدوات التي تستعمل في الكتابة؟ وما هي التقاليد المتّبعة فيها؟ وما هو دور الكتاب في تطوير اللغة العربية وتجديد أساليبها ومصطلحاتها الإدارية؟ ما هي علاقة هؤلاء الكتّاب بخلفاء الدولة؟ ما هو الدور الذي لعبه كتاب الخلفاء من أهل الذّمة في ديوان الخراج قبل أن يعرب؟ وما هو موقفهم من تعريبه؟ من الذي كان له الدّور في تكوين هؤلاء الكتّاب؟ وكم كانوا يتلقون من رواتب؟

ومن خلال كل هذا تبرز أهمية البحث في كون الموضوع يتناول جزءا هاما من الإدارة، ووظيفة هامة لعبت دورا بارزا في تسيير شؤون الدولة وترقيتها، ولهذا لا ينبغي إغفالها، وإنّما من الأهمية بمكان –حسب رأيي– أن يحظى هذا الموضوع بالدراسة.

أمّا الدراسات السابقة فحسب علمي لم تكن بالقدر المطلوب، ولم يفرد بحث خاص –حسب إطلاعي– لهذا الموضوع، وإنما توجد كتابات عامة يمكن القول أنّها غير مستوفية ومن هذه الدّراسات:

كتاب عبد الحميد جيدة "صناعة الكتابة عند العرب" تعرض فيه إلى الخطوط وثقافة الكاتب وأدوات الكتابة، ولكن موضوع دراسته عام غير مخصص بفترة معيّنة، وكتاب أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية لعبد الله بن عبد الرحمن الخرعان تعرّض إلى دور علماء الدولة الأمويّة في السلطة، ومنهم بعض الكتّاب كرجاء بن حيوة وغيره، إلاّ أنّ دراسته لم تشمل كل الكتّاب بل اقتصر

على نماذج فقط، ولذلك كانت دراسته غير مستوفية لموضوعي، وأيضا كتاب نجدة خمّاش "الإدارة في العصر الأموي" تعرّضت فيه إلى مختلف الوظائف الإدارية في الدولة الأموية، ومن بينها وظيفة الكتابة خاصة، ولكن أيضا كلامها في الموضوع كان مختصرا، فهي لم تخصص دراستها لموضوع الكتّاب والكتابة فحسب، وكذلك الكلام عن كتب النّظم العامّة، فقد تحدّثت عن موضوع الكتّاب والدّواوين ضمن العديد من المواضيع الأخرى، وبالتالي يمكن القول أنّ هذا الموضوع لم يفرد بدراسة خاصة.

أما عن المنهج المتّبع في الدراسة فقد اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي في كثير من الجوانب، خصوصا عند الحديث عن الكتّاب في الفصل الثاني والثالث، كما استخدمت المنهج الاستقرائي خاصة في الفصل الثالث عن التحدث عن وظائف كتاب الخلفاء، وكذلك المنهج الوصفي في الفصل الأوّل والثاني.

وقد قمت بدراسة هذا الموضوع وفق خطّة قسمتها إلى تمهيد وثلاثة فصول، وقد تضمن التمهيد الحديث عن الكتابة والكتّاب في العهد النبوي والراشدي، فتعرضت فيه إلى كتاب النّبي والخلفاء وأختامهم، وأدوات الكتابة آنذاك، والتقاليد المتبعة، كما تناولت فيه كيفية نشوء الدواوين وبداية تنظيمها، وتعرّضت أيضا للخطوط المستعملة آنذاك، وحتى كتب النبي إلى الملوك ودورها في ظهور الوعي التدويني حينها.

أمّا الفصل الأوّل فقد خصّصته للحديث عن الكتابة، وذلك باعتبارها الوظيفة الرئيسية للكاتب والتي لأجلها سمّي كاتبا، لذلك أطلت الحديث فيها وفصلت في كل ما يتعلق بها، بداية بتعريفها وأهميتها، ثم قمت بعرض نماذج لأغراض الكتب في العهد الأموي، وهدفي من ذلك إنّما هو إبراز دور الكتب والكتّاب في تسيير الدولة وإدارة الأقاليم، وكيف ساهموا في تسهيل المعاملات بالداخل والخارج، ثمّ قمت بعرض أدوات الكتابة التي كانت معروفة في العهد الأموي وكيفيّة صناعتها، كما تحدثت عن أنواع الخطوط وظهور الإعجام والشّكل، وختمت هذا الفصل بالحديث عن الطّرق والأساليب أو ما يعرف بالتقاليد المتبعة في الكتابة أبان العهد الأموي، من افتتاحات واختتامات وتنظيم للصفحات، وكتابة للتاريخ والإشهاد على الكتاب وغيرها، ممّا فصلت فيه واستدللت بنصوص من المصادر عليه.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن الكتّاب ومكانتهم في الدولة الأموية، وبدأت فيه

بالحديث عن أقسام الدواوين في الدولة الأموية، ثم عرضت قائمة كتاب الخلفاء على هذه الدواوين ومنهم الحوالي وأهل الذمة الذين خصصت مجالا للحديث عنهم، كما عرضت بعدها مجموعة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الكاتب، فبحكم خطورة منصبه كان لا بد أن يحرص الخلفاء أشدّ الحرص على توفّر هذه الصفات فيمن يختار لهذا المنصب، ثم تعرضت إلى تعليم الكتاب ورواتبهم في الدولة الأموية، وختمت هذا الفصل بالحديث عن مكانة الكتاب في الدولة الأموية، وما حظوا به من تبجيل وتقريب عند الخلفاء.

أما الفصل الأخير فكان عنوانه: كتاب الخلفاء على الدواوين، دورهم ومهامهم على مختلف الأصعدة، وقد تضمن الحديث عن الوظائف التي أسندت للكتاب غير وظيفة الكتابة، وقمت فيه باستقراء الوظائف التي تلقّدها كل كاتب على حدى، سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد الاجتماعي، أو على الصعيد الاقتصادي والإداري، وقمت بتقسيم هؤلاء الكتّاب حسب الدّواوين فبدأت بذكر مهام ووظائف كتاب ديواني الجند والخراج ثم كتاب ديوان الإنشاء والرسائل، ثم تحدثت عن كتاب ديوان الأختام، وبيوت الأموال والخزائن.

وخصصت في الأخير مجالا للحديث عن حركة التعريب في العصر الأموي، باعتبارها حركة لعب فيها الكتّاب الدور الرئيسي وأشرفوا على تنفيذها، وقد شملت حركة التّعريب هذه كلاّ من الدواوين والنقود والطراز، وعرضت بعد ذلك نتائج هذه الحركة على الإدارة والمجتمع وحتى السياسة، وتعرّضت لموقف أهل الذمّة من ذلك.

ولدراسة هذا الموضوع واستيفاء الحديث عليه اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع المختصّة والعامة، ومن أهمّ المصادر تاريخ خليفة بن خياط، فقد عرض لنا قائمة للكتاب حسب الدّواوين في الدولة الأموية، وقد انتهجت نهجه في الفصل الأخير، فقمت بتقسيم الكتّاب حسب ما وضعه، وكذلك كتابي فتوح البلدان وأنساب الأشراف للبلاذري، فقد استفدت منهما كثيرا عند الحديث عن حركة التّعريب، ووظائف كتّاب الخلفاء، والشيء نفسه يقال عن تاريخ الطبري الذي يعدّ من أهم المصادر التي استفدت منها في كلّ الفصول، وذلك لموسوعيته وإلمامه بمواضيع شتى، ومن المصادر أيضا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه، وقد أفادني كثيرا خصوصا في الفصل الأول والثاني، وكذلك كتاب الوزراء والكتّاب للجهشاري كانت له أهميّة كبيرة في بحثي هذا باعتباره مصدرا متخصصا في الموضوع.

وكتاب عمدة الكتاب للنحاس فقد كان أيضا مصدرا مخصصا للكتابة، وكتاب الكتّاب لابن درستويه، ولعلّ أعظم المصادر التي خدمت بحثي وأفدت منه الكثير هو كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، فقد لعب دور الرّيادة من بين كل المصادر، واستفدت منه خاصة في الفصل الأخير عند الحديث عن وظائف الكتاب، وكذلك كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي هو الآخر، استفدت منه خاصة في الفصل الأول عند الكلام عن الكتابة وما يتعلق بها، فهذه هي أذن أهم المصادر التي خدمتني في بحثي وأفدت منها الكثير، هذا بالإضافة إلى كتب التاريخ العامة وكتب التراجم والأدب.

أما عن المراجع فأهمها كتاب صناعة الكتابة لعبد الحميد جيدة والإدارة في العصر الأموي لنجدة خمّاش، وكذا كتاب علم الإكتناه العربي الإسلامي لقاسم السامرائي هو الآخر خدم الموضوع وأفدت منه الكثير خاصة في الفصل الأوّل، والشيء نفسه يقال عن كتاب علم الدبلوماتيك لناهد حمدي، وأدب الكتابة والتأليف عند العرب لهاني العمد، فهذه المراجع وغيرها خدمتني كثيرا في البحث، هذا بالإضافة إلى العديد من المقالات المتخصصة التي استعنت بها وأفدت منها هي الأخرى العديد من المعلومات في مجالها.

هذا عن أهمّ المصادر والمراجع، أمّا عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فأوّلها كثرة المادة العلمية خصوصا في الفصل الأوّل، مما دفعني إلى تقليصها لأبعد الحدود، وكذلك واجهتني صعوبة في الحصول على كتب التراجم، إذ أنّ كثرة الأجزاء في المصنف الواحد احتاج منّي إلى مدّة طويلة لاعارتها والاستفادة منها، فنذكر مثلا تاريخ دمشق ويحوي ثمانين جزءا استهلك منّي مدة طويلة في الإعارة، وكان ذلك سببا في تأخر التعامل مع غيره من المصادر.

بيد أنّ هذه الصعوبات لا تساوي شيئا إذا ما ذكرت أنّني في مجال بحث وعلم، وأن هذه مهمتّي التي ينبغي العناء لأجل بلوغ القصد فيها.

وفي الأخير كما يقال من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أتقدّم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الذي تحمّل عناء العمل معي طيلة فترة البحث، ولم يبخل عليّ بكبيرة ولا صغيرة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى عمال مكتبة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر على حسن معاملتهم ومساعدتهم لي في كثير من الظروف، وأتقدّم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي وإلى الأهل والأصحاب الذين وفروا لي كل الظروف الملائمة للبحث، وفي الختام أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في خروج

هذا البحث إلى النّور قريبا كان أو بعيدا، أستاذا كان أو طالبا أو عاملا أو زميلا، وأرجو من الله أن يجزيهم عنّي خير الجزاء، وأن يرزقني الإخلاص والسّداد، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

(1)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_(1)

تمهيد:

الكتابة والكتّاب في العهد النّبوي والراشدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الكتابة في العهد النّبوي

1-1-كتّاب النّبي ﷺ:

قبل الحديث عن كتّاب النّبي تجدر بنا الإشارة إلى أنّ تراث الجاهلية قد ضاع بسبب قلّة التأليف، واعتمادهم على قوة الذّاكرة[1]، وهذا لا يعني انعداما تاما للكتابة آنذاك، فقد كانت معروفة وشائعة، ولا تقصد بشيوعها أنّ كل عربّي كان كاتبا، بل لا تقصد أنّ الكثرة العالية كانت كاتبة، وإنّما نقصد أنّ الكتابة كانت أمرا معروفا مألوفا شائعا آنذاك، مثلما كانت الأميّة شائعة مألوفة[2]، وقد كانت منتشرة في مكّة خصوصا، ولعلّ ذلك يرجع إلى كونها مركزا تجاريا، وكانت الحضارة فيها أوسع ممّا حولها، فعرفت لذلك كتابا من النساء والرجال[3]، لقد أصبحت إذن معرفة الجاهلية بالكتابة أمرا يقينيّا يقرّره البحث العلمي القائم على الدّليل المادّي المحسوس، وكل حديث غير هذا لا يستند إلاّ إلى الحدس والافتراض[4].

وهناك من يذكر أنّه لما جاء الإسلام لم يكن يكتب بالعربية إلاّ سبعة عشر رجلا وهم: علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، وإبّان بن سعيد بن العاص، وخالد بن سعيد أخوه، وحذيفة بن عقبة ويزيد بن أبي سفيان، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، والعلاء بن الحضرمي، وأبو سلمة بن عبد الله، وعبد الله بن سعيد بن أبي السرح، وحويطب بن عبد العزى وأبو سفيان بن حرب، ومعاوية ولده وجهيم بن الصلت بن مخزمة[5]، ويبدو أنّ هذه مبالغة في تخفيض عدد الكاتبين في العهد الجاهلي، ووصف أصحابها بالجهل، ولعلّ هدف ذلك هو إظهار محاسن وأثر الإسلام عليهم، إلاّ أنّ الحق غير هذا فالكتابة كانت شائعة معروفة كما أسلفنا.

أمّا عن كتّاب النبي ﷺ فالمعلوم أنّه استعان بالعديد من أصحابه –الذين كانوا على معرفة بالكتابة– في كتابة الوحي ومراسلة الملوك وكتابة المداينات والمعاملات والعقود بالمدينة[6]، وقد تجاوزوا

---

(1)–محمد كرد علي، أمراء البيان، ص2.

(2)–ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص60.

(3)–عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة عند العرب، ص29. محمد كرد علي، المرجع السابق، ص2.

(4)–ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص33.

(5)–البلاذري، فتوح البلدان، ص660، 661. ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج4، ص157، 158.

(6)–أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة، ص12.

الأربعين كاتبا[1].

وقد انقسم كتّاب النبي ﷺ كلّ في مجال، فقد كان هناك كتاب وحي وكتّاب رسائل وغيرها، ونشير هنا إلى أنّ طابع الكاتب في ذلك العهد كان التّدوين لا الإنشاء غالبا، هذا بالنسبة لكاتب الرسائل، أمّا كتابة الوحي فقد كانت مهمّة الكاتب فيها التّدوين دائما، فهو يدوّن القرآن –كلام الله– ويضعه حيث أمره الرسول[2]، ولم تكن هناك حاجة كبيرة للكتابة الحسابية أو المالية، فالأموال توزّع بسهولة من غير لجوء إلى الحساب والتّدوين، ولم يكن هناك بيت مال ولا جيوش ولا مرتبات ثابتة[3].

ونرجع إلى القول بأنّ كتّاب النّبي ﷺ انقسموا إلى كتاب وحي وكتّاب رسائل وإقطاع، وكتّاب عهود وصلح، ولعلّ كتّاب الوحي كانوا الأكبر رتبة ومكانة لعظم ما يكتبون، وقد تولّى هذه الوظيفة العديد من الصّحابة، فاختصّ بها كل من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فإنّ غالبا كتبه أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكتب أيضا خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان[4]، وكتب له أيضا عبد الله بن سعد بن أبي السّرح، ولكنّه ارتدّ ورجع إلى الإسلام يوم الفتح[5].

ويذكر الخزاعي أنّ كتابة العهود للنبي ﷺ تولاّها علي بن أبي طالب وعامر بن فهيرة، كما كتب له أبو بكر أيضا، أمّا كتابة الرسائل والإقطاع فتولاّها أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعامر بن فهيرة، وكان حذيفة بن اليمان كاتب الجيش، ومعيقيب وعبد الله بن الأرقم كاتبا الشهادة والشروط، وكتب له المداينات والمعاملات المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير، وكان صاحب الخاتم معيقيب بن ابي فاطمة الدوسي[6]، وكتب له على الصدقات الزبير بن العوام فإنّ غاب كتبها جهيم بن الصّلت[7].

---

[1]–انظر، ابن حديدة، المصباح المضيء، ج1، قد ذكر منهم 44 كاتبا.

[2]–أحمد شلبي، السياسة في الفكر الإسلامي، ص208، 209.

[3]–المرجع نفسه، ص209.

[4]–الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص80، الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص171، 172.

[5]–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص213.

[6]–المصدر السابق، ص171–290.

[7]–المصدر نفسه، ص550.

وكان حذيفة بن اليمان وعبد الله بن رواحة يكتبان له خرص النّخل[1]، وكان عبد الله بن الأرقم يجيب عن كتب الملوك[2].

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ المصادر اختلفت في عدد كتّاب النّبي، وفي تخصص بعضهم، وما كان يتولى من الكتابة، ثمّ إنّ بعض المصادر تذكرهم بإجمال دون تحديد لتلك التخصصات[3]، ولعلّ أدقّ قائمة لكتّاب النّبي ﷺ في قائمة الجهشياري، فقد ذكر كتّاب النبي ﷺ وصنّفهم حسب اختصاصاتهم، فيذكر أنّ عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفّان كانا يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه، وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن النّمر يكتبان ما بين النّاس، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي، وروي أنّ المعيقيب بن ابي فاطمة حليف بني أسد كان يكتب مغانم رسول الله، وكان حنظلة بن الربيع بن الموقّع بن صيفي الأسدي خليفة كل كاتب من كتّاب النبي إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب، وكان عبد الله بن سعد بن أبي السّرح يكتب له ثمّ ارتد ولحق بالمشركين ورجع إلى الإسلام تائبا يوم الفتح[4].

هذا ونشير إلى أنّ كتّاب النبّي ﷺ لم يتقيّدوا بتخصصاتهم، وإنما يكتب له من حضر منهم، وهذا ما نستشفّه من كتبه ﷺ[5].

ومع ذكر كتّاب النبي ﷺ لا ينبغي إغفال الحديث عن ترجمانه زيد بن ثابت، فقد كانت الكتب ترد إلى النبي ﷺ مكتوبة بالسريانية واليهودية، فأمر النبي زيد بن ثابت بتعلّم هاتين اللّغتين ليقرأ له، أمّا السّريانية فيذكر ابن عبد البر أنّ زيدا تعلّمها في مدة ثمانية عشر يوما[6]، بخلاف ابن

---

[1]-خرص النّخل: هو حرز ما على النّخل من الرطب ثمرا، وهو الظّن، لأنّ الحرز إنما هو تقدير بظن. ابن منظور، لسان العرب، مادة خرص، ج4، ص472.

[2]-القضاعي، الإنباء بأنباء الأنبياء، ص141.

[3]-انظر في ذلك، الطبري، مصدر سابق، ج3، ص173. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج4، ص324-349. ابن سيد النّاس، عيون الأثر، ج2، ص315.

[4]-الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص9. ابن عبد ربه، مصدر سابق، ص161-163.

[5]-انظر: ابن سعد، الطبقات، ج1، ص265 وما بعدها. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص193 وما بعدها.

[6]-بهجة المجالس، ج1، ص356.

الجوزي والخزاعي اللذين قال بأنّ زيدا تعلّمها في مدة سبعة عشر يوما[1]، أمّا اليهوديّة فطلب الرسول من زيد تعلمها لأنّه لا يأمن اليهود على كتبه، فتعلمها زيد في نصف شهر وقرأها له[2]، كما تعلّم زيد الرومانية والجبشيّة والقبطيّة[3].

وبعد عرضنا لكتّاب النبيّ يلاحظ غياب العنصر النّسوي في هذا المجال، فالمصادر لم تتعرض لهنّ بالذكر، على الرغم من أنّ فيهن من كانت تعرف الكتابة، وهناك إشارة من البلاذري إلى نساء كتبن في عهد النبي وهنّ: حفصة زوجة النبي، وأم كلثوم بنت عقبة، وكريمة بنت مقداد وغيرهن[4].

1-2-خاتم النبي ﷺ:

من الثابت أن النبي ﷺ اتخذ خاتما حينما احتاج إلى مكاتب الملوك بعد رجوعه من صلح الحديبيّة سنة ست، فقيل له إنّ الملوك لا تقبل الكتاب إلاّ إن يكون مختوما، فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه: محمد رسول الله[5]، وقيل إنّ ذلك كان في السنّة السابعة للهجرة، وجزم أكثر العلماء كما ذكرنا بأنّه كان في السادسة، ويجمع بأنّه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة، لأنّه اتخذه عندما أراد مكاتبة الملوك، وكان إرساله إلى الملوك في مدّة الهدنة بعد الحديبية، وكان في ذي القعدة سنة ست للهجرة، ورجع إلى المدينة في ذي الحجّة، ووجّه الرّسل في المحرّم من السابعة للهجرة، وكان اتخاذه الخاتم قبل إرسال الرسل إلى الملوك[6].

وكان خاتم النّبي من فضّة ونقشه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر، محمد سطر ورسول سطر، والله في سطر[7]. وقيل كان نقشه لا إله إلا الله محمد رسول الله[8]، والأوّل أثبت، وبعد اتخاذه قال

---

(1)-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج4، ص214. تخريج الدلالات السمعية، ص219.

(2)-الخزاعي، المصدر السابق، ص219.

(3)-ابن الجوزي، المصدر السابق، ج4، ص214، 215. كامل سلامة، دولة الرسول، ص444.

(4)-فتوح البلدان، ص661.

(5)-ابن سعد، مصدر سابق، ج1، ص258. الصولي، أدب الكاتب، ص144. القضاعي، مصدر سابق، ص143.ابن الجوزي، مصدر سابق، ج3، ص274. أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص14.

(6)-ابن حجر، فتح الباري، ج10، ص400. قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي، ص358.

(7)-ابن سعد، مصدر سابق، ج1، ص258. القضاعي، مصدر سابق، ص143. ابن رجب الحنبلي، أحكام الخواتيم، ص31. ابن حجر، مصدر سابق، ج10، ص398. الكتاني، نظام الحكومة النبويّة، ج1، ص170.

(8)-القضاعي، مصدر سابق، ص143.

ﷺ: «**لا ينقش أحد على نقش خاتمي**»[1]، منعا للتزوير.

وتورد المصادر أنّ النبي اتخذ خاتما من ذهب ثم ألقاه واتخذ خاتما من فضة بعد ذلك[2]، ثم آل الخاتم بعد وفاة الرسول إلى أبي بكر، فكان في يده، ثم عمر ثم في يد عثمان، حتى وقع منه في بئر أريس[3]، فاتخذ خاتما آخر[4].

1-3-أدوات الكتابة في العهد النّبوي:

عرف العهد النبوي الكتابة على العسب والكرانيف، ولعلّها كانت أكثر المواد شيوعا واستعمالا في الكتابة، نظرا لتوفرها وسهولة الحصول عليها، أما الكرانيف فجمع كرنافة وهي أصل السّعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلّة[5]، أمّا العسب فهي جمع عسيب وهي السّعفة أو جريدة النّخل[6].

واستعملوا أيضا الألواح الرقيقة والجلود، واستوردوا أوراق البردي من مصر[7]، والكتابة على الجلود كانت الأكثر شيوعا، كما كتبوا على العظام، واستعملوا الرّق النّاعم المصقول في كتابة رسائل النّبي ﷺ، واستخدموا الحبر المصنوع من نبات العليق الأسود، وصنع أيضا من مادة الكربون الناتجة عن الدّخان[8]، وكتبوا أيضا على الحجارة البيض العريضة الرقيقة وتسمّى اللّخاف[9]، وكتبوا على الحجر من نوع غرافيت، وكشفت هذه الأحجار في جبل سلع بجوار المدينة المنورة، ترجع إلى أوائل الإسلام، ويعتقد أنّها في أيام غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة، وقيل الرابعة[10].

هذا ونشير أنّ المصادر لم تنقل لنا الشيء الكثير عن الأدوات المستعملة، كالأقلام وأنواعها،

---

(1)-الترمذي، الجامع المختصر، كتاب خاتم النبي، باب، ما جاء في اتخاذ الخاتم، رقم 4219، ص1569.

(2)-ابن الأثير، الكامل، ج3، ص56. ابن حجر، مصدر سابق، ج10، ص392.

(3)-بئر أريس: هي بئر معروفة بالمدينة قريبا من مسجد قباء. ابن منظور، لسان العرب، مادة، أرس، ج4، ص122. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج8، ص181.

(4)-الخزاعي، تخريج، ص193. ابن رجب، مصدر سابق، ص21.

(5)-عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ص21.

(6)-مرتضى الزبيدي، مصدر سابق، مادة: عسب، ج2، ص231. عبد الستار الحلوجي، المرجع السابق، ص21.

(7)-سيأتي الحديث عن أوراق البردي بالتفصيل في الفصل الأول.

(8)-محمود شيت خطاب، السفارات والرسائل النبوية، مجلة المورد، مج16، ع1، ربيع 1987، ص42، 43.

(9)-ابن منظور، لسان العرب، مادة لخف، ج5، ص708.

(10)-يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص47.

أمّا ما ذكرناه فقد أوردته عرضا عند التحدث عن تدوين القرآن وجمعه.

1-4-رسائل النبي ﷺ إلى الملوك يدعوهم للإسلام وأثرها في ظهور الوعي التدويني:

إنّ مكاتبة الرسول لغيره من الملوك، وما كتبه مع رؤساء القبائل من معاهدات وما منحهم من إقطاعات وعهود أمان، تثبت أنّه ﷺ واضع أسس التوثيق الذي اتسع أمره تحت إلحاح الحاجات العملية للدولة الإسلامية فيما بعد.

ويعتبر موضوع الرّسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء في عصره صفحة هامة من صفحات السيّرة، وقد حظي موضوع الرّسائل بعناية عند علماء التاريخ والحديث قديما وحديثا، من قبل المسلمين وغيرهم، خاصة وقد عثر على خمسة رقوق[1]، يظنّ أنها أصول خمسة رسائل من رسائل الرسول وهي: الرسالة إلى المقوقس[2] عظيم القبط، والرسالة إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، والرسالة إلى النجاشي عظيم الحبشة، والرسالة إلى كسرى عظيم فارس، وإلى هرقل عظيم الرّوم، ودارت حول هذه الرسائل دراسات عديدة اشترك فيها المسلمون والمستشرقون، وقد أزالت هذه الوثائق الشكوك المتعلقة بكتب النبي[3]، وأغلب المصادر التاريخية –إن لم نقل كلها– تذكر هذه الرسائل بنصّها أو على الأقل تشير إلى وجودها[4]، وبالتّالي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتطرق إليها الشّك، أو يبحث في ثبوتها من عدمه، ولعلّ ما ذكرناه سابقا من العثور على رقوق يظنّ أنّها أصول خمس رسائل يزيد الأمر المؤكّد تأكيدا.

ويلاحظ من خلال كتبه أنّه ﷺ كان يتوخّى إذا كتب لغير العرب «أن يوجز القول ويقلّ من اللفظ الذي لا يتفهّمه كل إنسان، حتى يسهل نقل كلامه إلى ألسن من كتب إليهم من غير العرب، كما كان إذا خاطب قبائل من غير قريش أو كاتبهم يستعمل ألفاظا مألوفة لهم، لا يعرفها القريشيون، ذلك لأنّ مقصده الإفهام، والبليغ من الكلام ما فهم وأبقى في النّفس أثرا»[5]، يقول عبد الخضر جاسم تعليقا على مكاتبات الرسول: «لقد أظهرت مكاتبات الرسول من خلال تعدّد

---

[1]-الرقوق: جمع رق وهو جلد رقيق يكتب فيه، لسان العرب، مادة، رقق، ج5، ص866.

[2]-انظر: ملحق رقم 1.

[3]-عز الدين إبراهيم، الدراسات المتعلقة برسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره، ج6، ص249-250.

[4]-لمعرفة كتب النبي ﷺ كاملة انظر: الطبقات الكبرى، ج1، ص265 وما بعدها. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج2، ص259-270. ابن طولون، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين.

[5]-محمد كرد علي، أمراء البيان، ص3.

الأطراف التي تعاملت معها عن وعي كبير عند الناس في اعتماد التدوين للتعبير عن القصد وتبليغ الغاية»[1].

فالرسول ﷺ كتب للأفراد والجماعات، وكتب وثيقة المدينة وصلح الحديبيّة، واستخدم الكتب في أمور الحرب وتبليغ أوامره للقادة، كما كتب الاتفاقيات والمعاهدات والمحالفات بعد توسع دولة المدينة[2].

1-5-تقاليد الكتابة في العهد النبّوي:

أمر البسملة والافتتاح: عرفت الكتابة في العهد النبّوي مجموعة من التقاليد والأساليب ونحن هنا نتناولها بشيء من الاختصار، ونبدأ حديثنا عن البسملة، فمن المعلوم أنّ العرب في الجاهلية كانوا يكتبون باسمك اللهم، ويقال أنّ النبي كان على ذلك أيضا ثم كتب بسم الله الرحمن ثم بعدها بسم الله الرحمن الرحيم[3]، ثم يأتي بالسلام، وقد لا تذكر البسملة ولا السلام ولا الافتتاحات في الكتب فيتناول الغرض مباشرة، كما كتب ﷺ لعبد الله بن جحش لما وجهه إلى السّريّة: «إذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة[4] بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم»[5].

-المرسِل والمرسَل إليه: أما عن المرسِل والمرسَل إليه في الكتاب فقد كان الرسول يكتب لأصحابه وأمراء جنوده: من محمد رسول الله إلى فلان يبدأ بنفسه وكذلك كانوا يكتبون إليه يبدؤون بأنفسهم، ومثال ذلك ما كتبه أبو بكر والعلاء بن الحضرمي وغيرهما[6].

كما كتب مسيلمة إلى رسول الله: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله...» وردّ عليه الرسول فبدأ بنفسه أيضا وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب...» [7]، فالأعلى إذا كتب إلى من هو أدنى منه بدأ بنفسه واستمر الأمر على هذا في العصور اللاحقة.

---

[1]-اثر مكاتبات الرسول في ظهور الوعي التدويني، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع46، جمادى الأولى، 1424هـ، ص21.

[2]-المرجع نفسه، ص21، 22.

[3]-الصولي، أدب الكاتب، ص20. النحاس، عمدة الكتاب، ص64. ابن درستويه، كتاب الكتّاب، ص158.

[4]-نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص320.

[5]-تاريخ الطبري، ج2، ص411.

[6]-ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص158.

[7]-ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج2، ص666، 667، ابن هشام، سيرة الرسول، ج4، ص272.

السلام وأما بعد: كان ذكر السلام وأمّا بعد معروفا أيضا، فقد ورد في كتب النبي إلى الملوك قوله سلام على من اتبع الهدى، وكذلك أما بعد[1]. وكذلك في كتاب الرسول إلى مسيلمة الذي ذكرناه، كتب: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد...» [2]، ويلاحظ من هذا عدم ذكر البسملة ولا التحميد ولا الثناء على الله أحيانا، بخلاف ما كان في العهد الأموي كما سنذكر لاحقا[3].

يقول الدكتور أحمد محمد الحوفي عن رسائل النبي ﷺ -مجملا التقاليد- أنّ كتب الرسول كانت ذات طابع خاص، إذ بدأها بالسلام فيقول للمسلم سلام عليك ولغيره السّلام على من اتبع الهدى، ثم يثني بالتحميد كقوله: أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، وأحيانا يتركه، ثم يدخل الموضوع بقوله أمّا بعد أو بغيرها ويختم الرسالة بالسلام، وكان ﷺ يعبّر عن نفسه بضمير الإفراد المطابق لحاله إفرادا وثنية وجمعا، ورسائله مرسلة موجزة لا تكرار فيها ولا إطناب، فقصرت العبارات واكتفى المرسِل بقوله: من فلان إلى فلان مهما كان شأن المرسَل إليه[4]، وكان ﷺ ينتقي من الألفاظ ما يفهمه كل إنسان إذا كتب لغير العرب حتّى تسهل ترجمته[5].

-كتابة كاتب الرسالة أو العهد أو الإقطاع والإشهاد عليه:

ومن التقاليد التي عرفت في كتابة الكتب ذكر كاتب الكتاب وشاهده فالروايات تذكر أنّ النبي ﷺ لما فتح مكة جاء إليه قوم وبايعوه، وكتب لهم الرّسول كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم وكتب في أخر الكتاب: «كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة»[6]. ويلاحظ ذكر اسم الكاتب أيضا في كتب النبي ﷺ إلى الملوك وغيرهم، فلما كتب الرسول إلى حمير جعل آخر كتابه: وكتب خالد بن سعيد بن العاص[7]، وفي كتاب بني معن الطائيين: وكتب العلاء وشهد[8].

---

(1)-انظر: كتب النبي ﷺ للملوك.

(2)-ابن إسحاق، المصدر السابق، ج2، ص667. ابن هشام، المصدر السابق، ج4، ص272.

(3)-انظر: الفصل الأول.

(4)-أدب السياسة في العصر الأموي، ص414، 415.

(5)-محمد كرد علي، مرجع سابق، ص3.

(6)-ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج4، ص327.

(7)-ابن سعد، الطبقات، ج1، ص260.

(8)-المصدر نفسه، ص269.

والمعلوم أن الرسول لما فرغ من صلح الحديبية أشهد عليه رجالا من المشركين ورجالا من المسلمين أبو بكر وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف وعليّ بن أبي طالب، وكتب أمام هذا الأخير: «وكان هو كاتب الصحيفة»[1].

-ختم الكتاب والاحتفاظ بنسخة منه عند كل طرف:

-كما أشرنا في اتخاذ النبي ﷺ للخاتم، أنه ﷺ كان يختم كتبه، وهي من التقاليد التي عرفت آنذاك وكانت معروفة قبل ذلك، واستعمل الحبر الأسود للختم، وكانت الكتب تختم في نهايتها، كما ختمت الرسائل النبوية أيضا بعد طيها حتى لا تفتح إلاّ من قبل من أرسلت إليه[2].

كما عرف العهد النّبوي نسخ الكتاب، فالمعلوم أنّ النبي ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في الحديبية، كتب معه كتابا، فكان هذا الكتاب مع النّبي ونسخته مع سهيل بن عمرو[3].

وكذلك ممّا يذكر في هذا المجال هو الاهتمام بالألفاظ في الكتب ومدلولاتها، وقد روعي هذا الجانب في العهد النبّوي، ولعلّ أبرز ما يوضح ذلك ما حدث في صلح الحديبية، فلما جاء سهيل بن عمرو ودعى النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب ليكتب الصّلح، قال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال سهيل لا أعرف هذا، ولكن أكتب باسمك اللّهم، فكتبها ثم قال أكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو...**» [4].

2-الكتابة والكتّاب في العهد الراشدي:

2-1-كتّاب الخلفاء الراشدين:

2-1-1-كتّاب أبي بكر:

---

[1]-سيرة ابن هشام، ج3، ص368.

[2]-محمود شيت خطاب، السفارات والرسائل النبوية، ص43.

[3]-ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص270.

[4]-ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج2، ص460. تاريخ الطبري، ج2، ص119. سيرة ابن هشام، ج3، ص366. تاريخ اليعقوبي، ج2، ص54.

كتب لأبي بكر عثمان بن عفان[1]، وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم[2]، وعبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن الربيع[3]، وكتب له علي بن أبي طالب أيضا[4].

2-1-2- كتّاب عمر بن الخطاب:

كتب له زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم[5]، وعبد الله بن خلف الخزاعي، وأبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة، وأبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري على ديوان الكوفة[6].

2-1-3- كتاب عثمان بن عفّان:

كتب له مروان بن الحكم[7]، وعبد الملك على ديوان المدينة، وأبو جبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة، وكتب له أبو غطفان ابن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان، وأهيب مولاه وكذا حمران مولاه[8].

2-1-4- كتاب على بين أبي طالب:

يذكر الطبري أنّ كتّابة سعيد بن نمران الهمذاني[9] وعبد الله بن مسعود[10]، وكتب له أيضا عبد الله بن جبير وعبيد الله بن أبي رافع[11].

وفي ختام هذا نشير إلى أنّ الخلفاء كانوا يشددون في أمر الكتابة، فلا يوكلونها إلى غير المسلمين[12]، ولعل ما حصل لعمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري خير دليل على ذلك، فقد

---

(1)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص189. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص10، الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج1، ص98.

(2)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص189. ، الوزراء والكتاب، ص10، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص249.

(3)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص189. ، الوزراء والكتاب، ص10.

(4)- ابن الأثير، الكامل، ج2، ص289.

(5)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص179. الجهشاري، مصدر سابق، ص11.

(6)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص179. الجهشاري، مصدر سابق، ص11. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص163.

(7)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص180. الجهشاري، مصدر سابق، ص13. المسعودي، مصدر سابق، ص254.

(8)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص180. الجهشاري، مصدر سابق، ص13. العقد الفريد، ج4، ص164.

(9)- المثبت عند الجهشياري سعيد بن حمران. انظر، ص14. العقد الفريد، ج4، ص164.

(10)- المثبت عند الجهشياري عبد الله بن جعفر.. انظر، ص14. العقد الفريد، ج4، ص164.

(11)- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص180. الجهشاري، مصدر سابق، ص14. العقد الفريد، ج4، ص164.

(12)- للتوسع في الكلام عن أهل الذمة انظر: الفصل الثاني.

كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب كتابا، فوصله الكتاب وعنده أبو موسى، فقال عمر: يا أبا موسى أدعُ كاتبك حتى يقر أكتاب أبي عبيدة، فقال أبو موسى: «إنّه لا يدخل المسجد، فسأله عمر: أجنب هو؟ قال: لا، ولكنّه نصراني، فصاح عليه عمر صيحة وانتهره، وقال: عزمت عليك إلاّ عزلته، ثمّ قال: لا تقربوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله، فعزل أبو موسى كاتبه وطرده»[1]، ونشير إلى أن هذا كان في كتاب الإنشاء خاصة، أما أمر ديوان الخراج فقد بقوا يتولونه إلى عهد عبد الملك وما بعده.

2-2-خواتيم وتوقيعات الخلفاء الراشدين:

2-2-1-الخواتيم:

سبق الكلام عن خاتم الرسول ﷺ، ولمّا جاء أبو بكر تختم بختم الرسول[2] حتى توفي، ثم عمر حتى توفي، ثم تختم به عثمان ست سنين، وبعدها سقط منه في بئر أريس، فجدّ عثمان في طلبه والبحث عنه، ولمّا يئس من العثور عليه اتخذ خاتما مثله ونقشه، فبقي في يده حتّى قتل ولم يدر من أخذه[3]، وقيل نقش عليه "آمنت بالله الذي خلق فسوى"[4].

ويبدو أنّ الخلفاء اتخذوا خواتيم أخرى يختمون بها إضافة إلى خاتم النبي ﷺ، فقد ذكر أنّ أبا بكر اتخذ خاتما وكان نقشه: "نعم القادر الله"[5]، وكذلك عمر اتخذ خاتما ونقش عليه: "كفى بالموت واعظا"[6]، وقيل آمنت بالله الذي خلقني، ونقش خاتم عثمان: آمنت بالله العظيم، وقيل لتبصرنّ وتندمنّ[7]، وقيل: آمنت بالله الذي خلق فسوى[8].

وكان نقش خاتم عليّ رضي الله عنه "الملك لله"[9]، وقيل الله الملك الحق، وقيل الملك لله الواحد

---

(1)-ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص359.

(2)-القضاعي، الأنباء، ص176. ابن الأثير، مصدر سابق، ج3، ص56.

(3)-ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص7. ابن الأثير، مصدر سابق، ج3، ص56. ابن رجب، أحكام الخواتيم، ص67.

(4)-ابن رجب، مصدر سابق، ص67.

(5)-المسعودي، التنبيه والإشراف، ص249. ابن الأثير، مصدر سابق، ج3، ص56. ابن رجب، المصدر السابق، ص67.

(6)-ابن رجب، مصدر سابق، ص67.

(7)-المسعودي، مصدر سابق، ص201.

(8)-ابن رجب، مصدر سابق، ص67.

(9)-المسعودي، مصدر سابق، ص258.

القهار، وقيل الله الملك وعليّ عبده[1].

2-2-2-توقيعات الخلفاء:

يعرّف التّوقيع بأنّه إلحاق شيء في الكتاب بعد الفراغ منه[2]، وهو ما يكتبه الخليفة أسفل الكتاب تعليقا عليه، ونحن هنا لن نطيل الكلام في التوقيعات، وإنّما نكتفي بذكر نماذج فقط.

يذكر ابن الأثير أنّ خالد بن سعيد كتب إلى أبي بكر لمّا وجّهه لفتح الشّام يستشيره في التّقدم، فوقع أبو بكر: «أقدم ولا تقتحمنّ واستنصر بالله»[3].

ولمّا كتب سعد بن أبي وقاص لعمر بن الخطاب يستشيره في بنيان يبنيه وقّع عمر أسفل الكتاب: ابن ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر، كما وقّع لعمرو بن العاص: كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك، ووقّع علي بن أبي طالب إلى طلحة بن عبيد الله: في بيته يؤتي الحكم، ووقّع في كتاب سلمان الفارسي –وكان سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة–: يحاسبون كما يرزقون[4].

2-3-وضع عمر للتاريخ:

المعروف أنّ العرب كانوا يؤرخون بالأمور المشهورة من موت رؤساهم ووقائع وحروب[5]، ولمّا جاء الإسلام أجمع المسلمون على التأريخ بالهجرة، والمعلوم تاريخيّا أنّ عمر بن الخطاب أول من وضع التاريخ وكتبه[6]، وسبب ذلك هو الحاجات العملية والاجتماعية والدينية، فالمعلوم أنّ عمر وضع التاريخ لما كثرت الأموال واحتاج إلى ضبطها وتوقيتها، وأخذ ذلك عن الفرس[7].

يذكر القلقشندي أنّ عمر استدعى الصحابة وقال لهم إنّ الأموال قد كثرت وما قسمناه منها غير مؤقت، فكيف التّوصل إلى ما يضبط به، فقالوا: نعرف ذلك من أمور الفرس، فاستدعى الهرمزان

---

[1]–ابن رجب، مصدر سابق، ص67.

[2]–ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقع، ج5، ص371.

[3]–الكامل في التاريخ، ج2، ص276.

[4]–ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج4، ص205، 206.

[5]–المسعودي، مصدر سابق، ص178، 179. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1، ص35. القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص226، 227.

[6]–تاريخ الطبري، ج4، ص209. تاريخ اليعقوبي، ج2، ص145.

[7]–القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص232-233.

وسأله فقال: إنّ لنا حسابا نسميّه ماه روز ومعناه حساب الشّهور والأيام، فعمل عمر التاريخ[1].

وقد اختلف الصحابة في وضع التاريخ، فيذكر الجشياري وغيره أنّ عمر لمّا جمعهم للمشورة قال بعضهم نؤرخ بمبعث النبي ﷺ وقال بعضهم بوفاته، وقال بعضهم بهجرته، لأنها أوّل ظهور الإسلام وقوّته، وهي فرقان بين الحقّ والباطل[2]، وبعد اتفاقهم حول الهجرة كمبدإ للتاريخ اختلفوا في الشهر الذي يبتدؤون به: فقال بعضهم برمضان لشرفه وعظمه[3]، وقال بعضهم بل المحرّم، فهو منصرف الناس من الحجّ وهو شهر حرام، فأجمعوا على المحرم[4]، ورد عند الكناني تعليق على اختيار الهجرة بداية للتاريخ والمحرم أوّل الأشهر فيقول: «اختيرت الهجرة للابتداء بها دون وقت الولادة والبعثة، لاختلافهم فيها دونها، ووقت الوفاة وإن شارك الهجرة في الاتفاق لا يحسن الابتداء بها عقلا، لما ينشأ عنه من تهييج الحزن والأسف، بخلاف وقت الهجرة، فإنه يتبرّك به لكونه وقت استقامة ملّة في الإسلام، واختير لافتتاح السنة المحرم دون غيره لكونه شهر الله وأحد الأشهر الحرم، وفيه تنصرف الناس من الحج»[5].

أما السنة التي وضع فيها عمر التاريخ فاختلف فيها المؤرخون، فالطبري يذكر أنّه كان سنة 16هـ[6]، بينما ابن درستوية[7] والقلقشندي[8] يذكران أن ذلك كان سنة 18 أو 19هـ، أما ابن عساكر[9] فقال: سنة 17 أو 18 ويجزم ابن الجوزي[10] أن ذلك كان سنة 17هـ وهو الأصح لكثرة النصوص المؤيدة لذلك.

2-4-نشأة الدواوين وتنظيمها:

---

[1]-المصدر نفسه، ص232.

[2]-الوزراء والكتاب، ص13. الصولي، أدب الكاتب، ص188. النحاس، عمدة الكتاب، ص165. ابن درستويه، مصدر سابق، ص80.

[3]-ابن درستويه، مصدر سابق، ص80. القلقشندي، مصدر سابق ج6، ص233، 234.

[4]-الجهشياري، مصدر سابق، ص13. النحاس، مصدر سابق، ص165. ابن درستويه، مصدر سابق، ص80.

[5]-نظام الحكومة النبوية، ج1، ص173..

[6]-مصدر سابق، ج4، ص209.

[7]-مصدر سابق، ص80.

[8]-مصدر سابق، ج6، ص234.

[9]-مصدر سابق، ج1، ص35.

[10]-المنتظم، ج4، ص227.

2-4-1-تعريف الديوان وأصله:

الدّيوان كلمة فارسية معناها سجلّ أو دفتر، وأطلق اسم الدّيوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان[1]، يقول الماوردي في تعريفه: «الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمّال»[2].

وفي تسميته ديوان وجهان: الأول: أنّ كسرى رأى كتّاب ديوانه يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه ومعناها مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم، وحذفت الهاء تخفيفا[3].

والثّاني: أنّ الكلمة ديوان فارسيّة تعني الشيّاطين فسمي الكتاب بذلك لحذفهم الأمور ووقوفهم على الجليّ والخفيّ منها، ثم سميّ مكان جلوسهم ديوان[4]، ومن خلال هذا يتضح أنّ كلمة ديوان كلمة فارسية وهذا ما رجحه الدكتور حسن إبراهيم حسن[5].

وقد ورد عند النحاس[6] أن كلمة ديوان عربية ومعناها الأصل الذي يرجع إليه وهي مشتقة من دوّن دوّان، وأبدلت إحدى الواوين ياءً ، وورد هذا الرأي أيضا في صّبح الأعشى[7].

2-4-2-نشأة الدّيوان في الإسلام وسببه:

يذهب بعض المؤرخين[8] إلى أنّ ظهور الديّوان كان زمن النبي ﷺ، وأوّل ديوان ظهر هو ديوان الرّسائل، ومما يدعم هذا الرأي، أنّ الكتب والمواثيق والعهود التي تنسب إلى الرسول ﷺ والبالغة 246 كتابا، وصلت إلينا نصوصها في كتب التاريخ المختلفة، وعلى رأس تلك الكتب ما بعثه إلى الملوك يدعوهم للإسلام[9]، وهذه الكتب كلها معلّقها بديوان الإنشاء[1]، ثمّ إنّ الرّسول أمر بإحصاء

---

[1]-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص362.

[2]-الأحكام السلطانية، ص337. الفرّاء، الأحكام السلطانية، ص236.

[3]-الماوردي، مصدر سابق، ص337. النويري، نهاية الأرب، ج8، ص195. الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص248، ابن خلدون، العبر، ج1، ص203. أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص131.

[4]-الماوردي، مصدر سابق، ص337. النويري، مصدر سابق، ج8، ص195. المقريزي، الخطط، ج1، ص91.

[5]- مرجع سابق، ج1، ص362.

[6]- مصدر سابق، ص131.

[7]-القلقشندي، ج1، ص123. أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص131.

[8]-القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص125.

[9]-المصدر نفسه، ص127. أحمد السيّد دراج، صناعة الكتابة ، ص16. شحاذة الناطور، تجديد الدولة الأموية في عهد عبد الملك، ص371. حسان علي حلاق، تعريب النقود والدواوين، ص86.

المسلمين وهي أوّل خطوة نحو التدوين، واقتدى به أبو بكر فكانت نواة بيت المال في عهده[2].

وبالاستناد إلى كل هذا رأى البعض أنّ ظهور الدّيوان كان على عهد الرسول ﷺ، ثم جاء عمر بن الخطّاب فأكمل هذا المنهج وأعطاه بعدا أوضح وعملا أشمل تبعا للتطوّرات في الدّولة[3].

ولكنّ الذي عليه أكثر المؤرخين أنّ عمر بن الخطّاب هو أوّل من أنشأ الدّواوين، فقبل ذلك لم يحتج المسلمون إلى أيّ من التّدوين الحكومي، سوى كتّاب الوحي للرسّول ﷺ والكتّاب الذين كتبوا رسائله إلى الملوك، ولمّا كان عهد عمر واتّسعت البلاد احتاج إلى ضبط أحوالها، فانشأ ديوان العطاء والخراج، ولمّا زاد عدد الجيش بسبب الفتوحات أنشأ ديوان الجند[4].

فصحيح أنّ الرسول استعمل كتّابا كانوا يقومون بأعمال ديوان الرسائل، ولكن كلمة ديوان لم تستخدم إلاّ في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، إذ يعتبر أوّل من دوّن الدّواوين من العرب، عندما اتّسعت الدّولة للأسباب التالية:

- رغبة عمر في تنظيم توزيع الأموال الوفيرة الواردة من البلاد المفتوحة.
- حفظ أسماء المحاربين في سجلّ خاص، وتخصيص راتب معيّن لهم.
- تنظيم الإدارة بطريقة سليمة تتناسب واتساع الدولة[5].

وقد أيّد الخزاعي الرّأي القائل بأنّ عمر أوّل من دوّن الدّواوين فيذكر أنّه أوّل من وضعها ورتّب النّاس في العطاء، وقدّر الأعطيات، وإنّ كتابة الناس في عصر النّبي ﷺ إنّما كانت في أوقات كإحصاء البعوث[6].

والذي يمكن الجزم به أنّ عمر هو أوّل من أنشأ الدّواوين، وأنّ نواتها كانت في العهد النبوي، وقد أنشأ عمر الديوان على مثل دواوين الفرس والروم، وهذا أثر من تأثيرات التنظيمات الفارسية والرومية على الإدارة الإسلامية، والدواوين التي أنشأها عمر هي: ديوان الإنشاء فلم يكن قبله حاجة

---

(1)-القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص125.

(2)-حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص86، 87.

(3)-عبد الخضر جاسم، أثر مكاتبات الرسول، ص22.

(4)-أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص132.

(5)-إبراهيم يسين الخطيب وآخرون، النظم الإسلامية، ص55.

(6)-مصدر سابق، ص246.

إلى هذا الدّيوان، وكذلك أنشأ ديوان العطاء لتوزيع الأموال، وديوان الجند الذي يخص عطاء الجنود، وديوان الجباية لتسجيل أموال الخراج والجزية الواردة إلى بيت المال[1]، والأصل في نشأة هذا الأخير حاجة الدّولة إلى إحصاء خراج البلاد المفتوحة، وتنظيم الإنفاق في وجوهه[2].

وهذه أسباب عامة لوضع الدّواوين، أما السّبب المباشر فمختلف فيه عند المؤرّخين، والسّبب الأكثر شيوعا هو أن أبا هريرة قدم على عمر بمال من البحرين، فقال عمر: «ما جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر، فقال: أتدري ما نقول؟ قال نعم: مائة ألف خمس مرات، فقال عمر: أطيّب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها النّاس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدّا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدوّنون ديوانا فدوّن أنت لنا ديوانا»[3]، فدون لهم عمر الديوان.

فنشأة فكرة الديوان في الإسلام، سببها كثرة الأموال والحاجة إلى تدوينها، وسرعان ما نشأت دواوين أخرى غير ديوان المال، فنشأ ديوان الجيش، وأمر عمر كتّابا يسجلون الدّخل والمنصرف في الدّولة، ويسجلون الجند، ووجد أيضا ديوان خاص بالرسائل والوثائق العامة[4].

وكان الدّيوان الذي أنشأه عمر يقوم بوضع القوانين التي بمقتضاها تدفع المرتّبات، وكانت فروع هذا الديوان بالعراق والشام ومصر تشرف على الدّواوين المحليّة، وتحمل لها التعليمات الصادرة عن المركز الرئيسي[5].

أمّا من يستحقّ إثباته في الديوان ففية شروط هي: البلوغ، الحرية، الإسلام، والسلامة من العيوب، والآفات المانعة للقتال، وأن يكون فيه إقدام على الحرب ومعرفة بالقتال[6]. وتجدر الإشارة إلى وجود اختلاف حول تاريخ تدوين عمر للديوان، فقيل أنّه دونه سنة 15هـ[7]، وقيل سنة

---

(1)-فاروق مجدلاوي، الإدارة في عهد عمر، ص 159-166.

(2)-فتيحة النبّراوي، تاريخ النظم، ص111.

(3)-أبو يوسف، كتاب الخراج، ص45. الماوردي، مصدر سابق، ص337. الخزاعي، مصدر سابق، ص244. ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص203. المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص96. القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص113.

(4)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك العربي، ص54.

(5)-أحمد شلبي، السياسة في الفكر الإسلامي، ص211، 212.

(6)-القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص117، 118.

(7)-ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص194. أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص22. وفي هذا التاريخ نظر لأنّ المسلمين لم يكملوا فتح العراق والشام ومصر.

20هـ[1]، وهو الأصح[2].

إنّ الحديث عن الدّواوين يدفعنا إلى الحديث عن بيت المال الذي أنشأه عمر، فلم تكن هناك حاجة لإنشائه زمن الرسول لبساطة الحياة، فالأموال الواردة كانت توزّع في الحال على المستحقّين، وقد سار أبو بكر على نهج الرسول في ذلك، وكذلك عمر في أول عهد، لكنّ اتّساع رقعة الفتح زاد في أموال الفيء، ففكّر عمر في وضع نظام مالي للدولة الناشئة، فأنشأ الدواوين، وكان لزاما عليه إنشاء بيت المال الذي يشمل النّظر في كل ما يتعلّق بأموال الدّولة، من واردات وصادرات، فبيت المال هو أصل الدواوين ومرجعها[3].

وهناك قضية مهمّة ينبغي التّحدث عنها عند ذكر الدّواوين وهي ترتيب النّاس فيها، فالمعلوم أنّ أبا بكر ساوى بين الناس في العطاء ولم يربا لتفضيل بخلاف عمر الذي فاضل بين الناس في ذلك[4].

وفي هذا الصّدد يقول الماوردي: «وكان الديّوان موضوعا على دعوة العرب في ترتيب النّاس فيه، معتبرا بالنّسب، وتفضيل العطاء معتبرا بالسابقة في الإسلام، وحسن الأثر في الدّين، ثم روعي في التّفضيل عند انقراض أهل السوابق، بالتّقدم في الشجاعة والبلاء في الجهاد»[5].

وذكر أنّ عمر لما دوّن الديوان قال: بمن نبدأ، قالوا: ابدأ بنفسك، قال: لا، إن رسول الله ﷺ إمامنا فبرهطه نبدأ، ثم بالأقرب فالأقرب[6]، ووفق هذا فرض عمر لأزواج النبّي 12 ألفا[7]، إلاّ صفية وجويرية ففرض لهنّ 6 آلاف، فرفضتا ذلك.

فقال إنّما فرضت لهن للهجرة، ثمّ فرض لهن 12 ألفا، وفرض للعباس عم النبي 12 ألفا أيضا، ثم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو وغيرهم[8]، كما فرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد

---

[1]–ابن الجوزي، مصدر سابق، ج4، ص194. إبراهيم ياسن الخطيب، مرجع سابق، ص55.

[2]–إبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص55.

[3]–فاروق مجدلاوي، مرجع سابق، ص195، 196.

[4]–القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص115. أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص21.

[5]–الأحكام، ص340.

[6]–أبو عبيد القاسم، كتاب الأموال، ص211. ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص194.

[7]–أبو يوسف، كتاب الخراج، ص43.

[8]–المصدر نفسه، ص43. أبو عبيد القاسم، المصدر السابق، ص212.

بدرا 5 ألاف 5 ألاف، وفرض لمن كان إسلامه كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدرا 4 آلاف 4 آلاف[1].

وبخلاف ما ذكره أبو يوسف وأبو عبيد القاسم يذكر الماوردي أنّ عمر فرض لنساء النّبي 10 آلاف إلاّ عائشة فرض لها 12 الفا[2]، ثم أهل السابقة ومن تلاهم حتّى أجرى على العامة شيئا واحدا 300 أو 400، وفرض للعيال مائة درهم[3].

وهذه قائمة العطاء حسب ما تذكره فتحية النبراوي:

السابقة في الإسلام 25 ألف درهم، ثم العباس بن عبد المطلب 12 ألف درهم وقيل 7 آلاف، عائشة أم المؤمنين 12 ألفا، أمهات المؤمنين 10 آلاف، السيّدة صفية وجويرية 6 آلاف، البدريون 5 آلاف، الأنصار 4 آلاف، مهاجرة الحبشة 3 آلاف، أمراء الأجناد من 800 إلى 2000 نساء المهاجرين والأنصار من 200 إلى 600 درهم، أهل مكة 800، الرضع 200 درهم، المنفوس 100 درهم[4].

2-5-تقاليد الكتابة في العهد الراشدي:

لا يختلف العهد الرّاشدي عن العهد النّبوي من حيث تقاليد الكتابة، فقد عرف الخلفاء الراشدون هذه التّقاليد وأوردوها كتبهم، وصارت عندهم طرقا تتّبع ويعمل بها، كالبسملة وذكر المرسِل والمرسل إليه، وذكر أما بعد والسلام وغيرها.

أمّا البسملة والسّلام فبيّن أيدينا العديد من النصوص التي تتناول ذلك، ولعلّنا نختار بعضها للاستدلال، فمن ذلك ما كتبه أبو بكر إلى المرتدّين حيث يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى...» [5]، وكذلك كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد فافتتح بالبسملة[6].

---

[1]-أبو عبيد القاسم، المصدر السابق، ص212. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص272، 273.

[2]-مصدر سابق، ص339.

[3]-الطرطوشي، سراج الملوك، ص371.

[4]-تاريخ النظم، ص163.

[5]-تاريخ الطبري، ج3، ص250.

[6]-ابن أعثم، الفتوح، ج1، ص26.

وكتب أبو عبيدة إلى عمر: «بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين من عامر بن الجرّاح سلام عليك...» [1]، وكذلك لمّا كتب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري افتتح بـ: "بسم الله الرحمن الرحيم"[2].

وممّا كانوا يراعونه في الكتب ذكر المرسل والمرسل إليه، وكانوا يبدؤون بالأعلى درجة ورتبة، على خلاف ما ذكرناه في العهد النّبوي من الابتداء بالمرسِل ثم المرسَل إليه، ونورد هنا نماذج من ذلك، فقد كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد في البطائح[3] يأمره بالتّوجه إلى بني حنيفة: «بسم الله الرحيم من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد..» [4].

وكما ذكرت سابقا فيما كتب به أبو بكر إلى المرتدين، فقد بدأ بنفسه باعتباره أعلى درجة.

ويظهر الابتداء بالأعلى درجة جليّا في بعض النّصوص المرسلة إلى الخلفاء، ومن ذلك أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح لما كتب إلى عمر بدأ بعمر فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من عامر بن الجرّاح...» [5].

وكتب أهل الكوفة إلى عثمان: «بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملإ المسلمين من أهل الكوفة...» [6]، وكتبت أمّ سلمة إلى عليّ تخبره بأمر عائشة وطلحة: «لعبد الله علي أمير المؤمنين من أمّ سلمة...» [7].

ومن خلال هذه النصوص أيضا نلاحظ ذكر عبارة: أمير المؤمنين وهي أيضا من التقاليد التي كانت معروفة آنذاك.

ومن التّقاليد التي كانت متبعة أيضا ذكر عبارة أمّا بعد، فجل الكتب التي أوردتها المصادر تتضمن هذه العبارة، ومن ذلك ما كتبه خالد بن الوليد لأبي بكر: «لعبد الله عثمان خليفة رسول

---

[1]-المصدر نفسه، ص216، 217.

[2]-الجاحظ ، البيان والتبيين، ج2، ص48.

[3]-البطائح: مفردها بطيحة وسمّيت كذلك لأنّ المياه تبّطحت فيها، أي سألت واتسعت في الأرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص534.

[4]-الواقدي، كتاب الردّة، ص112. ابن أعثم، مصدر سابق، ص26.

[5]-ابن أعثم، المصدر السابق، ج1، ص216.

[6]-المصدر نفسه، ج2، ص180.

[7]-المصدر نفسه، ج2، ص284.

الله من خالد بن الوليد أما بعد:...» [1].

وأحيانا تُهمل البسملة والمرسل إليه فلا يذكران في الكتاب، ومن ذلك أنّ عليّا كتب إلى عامله بالكوفة «من عبد الله أمير المؤمنين أما بعد...» [2].

وكذلك كانوا أحيانا يبدؤون بأمّا بعد مباشرة، والنصوص على ذلك كثيرة[3].

التحميد: ومن التقاليد التي كانت معروفة أيضا ذكر التّحميدات في الكتب، ومن ذلك أنّ أبا بكر لما كتب إلى المرتدّين ورد في افتتاح الكتاب: «...فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو...» [4]، وكذلك ما كتبه أهل الكوفة إلى عثمان، «بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين، من الملإ المسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو...» [5]، وكتب شريح القاضي إلى علي: «لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من شريح بن هانئ، سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو...» [6].

أمّا في مكاتبه غير المسلمين فكانوا يتفادون كتابة ما ذكرنا من تقاليد، ولا يكتبون منها إلا الشيء القليل فتكون كتبهم مختصرة مؤدية للغرض، ومثال ذلك ما كتبه عمر لأهل بيت المقدس: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطّاب لأهل بيت المقدس، إنّكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تخرّب إلاّ أن تحدثوا حدثا عامّا...» [7].

وكانوا أحيانا يختمون الكتب بالسّلام، والأمثلة على ذلك كثيرة، ينظر إليها في مظانّها[8]، ومع كل هذه التّقاليد اهتم الخلفاء ومن عاصرهم بأسلوب كتبهم، فحسنوا اللفظ وأوجزوا العبارة، آخذين

---

[1]-الواقدي، مصدر سابق، ص141.

[2]-الطبري، مصدر سابق، ج4، ص542.

[3]-ينظر في ذلك: الواقدي، مصدر سابق، ص221. ابن أعثم، مصدر سابق، ج2، ص227. الطبري، مصدر سابق، ج3، ص490. الجاحظ، مصدر سابق، ج2، ص150. أبو علي، القالي، الأمالي، ج2، ص55، 95.

[4]-الطبري، مصدر سابق، ج3، ص256.

[5]-ابن أعثم، مصدر سابق، ج2، ص180.

[6]-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج3، ص192.

[7]-تاريخ اليعقوبي، ج2، ص147.

[8]-انظر في ذلك: الواقدي، مصدر سابق، ص72، 141. ابن أعثم، مصدر سابق، ج1، ص217، ج2، ص181، الطبري. مصدر سابق، ج4، ص325.

بالطّبع بعيدين عن الإطناب والتكلّف[1]، ومن أمثلة ذلك ما كتبه عمر إلى المثنّى لمّا وجّهه إلى العراق: «تنحّ إلى البرّ وأقم من الأعاجم على حدود أرضك حتى يأتيك أمري»[2]، ويحتاج أحيانا إلى الأطناب في الكتب خاصة، فيما يتعلق بالفتوحات، وهناك أمثلة عديدة على ذلك منها ما كتبه علي إلى جنوده فقد جاء الكتاب مطوّلات[3]، إلاّ أنّ الغالب على الكتب هو الاختصار.

وقد حرص الخلفاء –مع كل هذا– على انتقاء الألفاظ وتزيين الأساليب، وتأثروا بالشّعر أحيانا، ومثال ذلك ما كتبه عثمان لما حوصر في الدّار: «أمّا بعد فإنّه قد جاوز الماء الزّبى، وبلغ الحزام الطّبْيَين[4]، وتجاوز الأمر بي قدره، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه:

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلاّ فادركني ولمّا أمزّق»[5].

وكانوا يردون على الكتب بعبارة: قد بلغني كتابك[6]، كما عرفوا طي الكتاب وختمه مثل ما رواه الواقدي من أنّ أبا بكر كتب إلى النّواحي يحذرهم الرّدة «ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى خالد»[7].

وكذلك لمّا كتب أبو بكر العهد لعمر ختمه ودفعه إليه[8].

واتبعوا أيضا طرقا في الكتابة وفي تنظيم الكتاب لخّصها علي بن أبي طالب في قوله لكاتبه: «إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك، وفرّج بين السطور، وقارب بين الحروف»[9].

---

(1)–محمد كرد علي، أمراء البيان، ص4. أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة، ص415.

(2)–ابن الجوزي، مصدر سابق، ج4، ص161. وللإطلاع على بعض الكتب المختصرة. انظر: الواقدي، مصدر سابق، ص112، 113، الجاحظ، مصدر سابق، ج2، ص150. أبو علي القالي، مصدر سابق، ج2، ص55.

(3)–انظر النص: ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج3، ص195.

(4)–الطبْيين، من الطُّبي أو الطَّبي وهي حلمات الضّرع التي فيها اللّبن من السّباع، وقيل لذوات الحافر والسّباع كالثّدي للمرأة وكالضرع لغيرها، والجمع أطباء، فكل شيء لا ضرع له مثل الكلبة فلها أطباء، وفي المثل جاوز الحزام الظّبيين كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشّرّ والأذى، لأن الحزام إذا انتهى إلى الطّبيين فقد انتهى إلى أبعد غاياته، فكيف إذا جاوزه. لسان العرب، مادة ظبي، ج8، ص458.

(5)–المبّرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص17.

(6)–ابن أعثم، مصدر سابق، ج2، ص227.

(7)–مصدر سابق، ص72.

(8)–ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة، ج1، ص24.

(9)–ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص356.

وعرفوا النّسخ والمقابلة أيضا، وفي ذلك يذكر اليعقوبي وغيره أنّ عثمان جمع القرآن وألّفه ونسخ منه نسخا وقابلها ووزّعها على الأمصار[1]، يقول الدكتور ناهد حمدي معلّقا على مقابلة عثمان للمصحف ونسخه خشية التزوير: «هي أول العمليات التي تؤكّد معرفة المسلمين المبكّرة بأهمية المقابلة والتّحقيق من كل ما يدوّن، وكذلك معرفتهم بأنّ هذه العملية لا يقوم بها إلاّ أشخاص ممّن تتوفر فيهم صفات وسمات معينة»[2].

ونشير في الأخير إلى أنّ الأمويين عرفوا هذه التّقاليد واتخذوها قواعد وأسسا يسيرون عليها في كتاباتهم.

2-6-أدوات الكتابة والخطوط المستعملة في العهد الراشدي:

سبق الكلام عن أدوات الكتابة في العهد النّبوي، أما في العهد الراشدي فقد عرفوا أيضا الكتابة على الرقاع والأكتاف[3]، والأضلاع أي العريض من العظام[4]، وكذلك كتبوا على العسب واللخاف[5]، وكتبوا على الخشب والمهارق وهي قطع القماش البيض، والرق من الجلود، وكذلك البردي[6].

فالمعلوم أنّ الرسول كتب رسائله الملوك على الرق، أما المكاتبات التي وصلتنا للخلفاء الراشدين، فكانت على البرديات والأحجار، وكذلك المصاحف[7].

وعرفوا الكتابة أيضا على قطع الخزف واستعملوا القلم المصنوع من الغاب، والمداد الأسود[8].

أما الخطوط التي كانت معروفة ومتداولة في هذه الفترة فهي الخط المدني الذي ظهر بالمدينة،

---

(1)-مصدر سابق، ج2، ص170. ابن النديم، الفهرست، ص41، 42. فاروق مجدلاوي، الإدارة في عهد عمر، ص82.

(2)-المرجع في علم الديبلوماتيك، ص59.

(3)-الأكتاف جمع كتف: وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون عليه لقلة القراطيس عندهم. ابن منظور، مصدر سابق، مادة كتف، ج5، ص689.

(4)-ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص215، 216. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، ص65.

(5)-جرجي زيدان، مرجع سابق، ج3، ص65.

(6)-يحي وهيب الجبّوري، الصّحف والقراطيس في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المنارة، الأردن، ع1، كانون الثاني، 1996، ص57-68.

(7)-عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص34، 35.

(8)-إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، ص16.

وكذلك عرف الخط المكّي، ويبدو أنّ الخط المدني كان أكثر اتقانا، لكثرة الكتّاب والكتابة به[1].

وذكر أنّ المصاحف كتبت بقلم الطّومار أو الجليل والصحيح أنها كتبت بالخط المدني الذي كان في المدينة، وهو الخط الذي كتبت به رسائل النبي ﷺ[2]، أما الطومار والجليل فلم يظهرا إلاّ لاحقا.

هذا ونشير في الأخير إلى أنّ الخط آنذاك كان حاليا من الشكل والنقط[3]، وسنتناول ذلك بالتفصيل في فصل لاحق[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-عبد الحميد جيدة، مرجع سابق، ص31.

[2]-يحي وهيب، الخط والكتابة، ص69، 70. محمود شيت، السفارات والرسائل، ص47.

[3]-عبد الحميد جيدة، مرجع سابق، ص40. محمود شيت، المرجع السابق، ص47.

[4]-انظر: الفصل الأوّل.

الفصل الأول:

الكتابة: أهميتها، أدواتها والتقاليد المتّبعة فيها:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تعريف الكتابة وأهميّتها

1-1-تعريفها: تعرّف الكتابة بأنّها: «صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها»[1]، فالروحانية هي الألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في أوهامه، فيكوّن من مجموعها صورة باطنة في نفسه، أما الجثمانية فهي الخط الذي يخطّه القلم، ويعبّر عن تلك الصّورة، فينقلها من الخيال إلى صورة محسوسة ظاهرة، والآلة هي القلم[2].

ويضف القلقشندي إلى ذلك موضّحا أنّ الكتابة إحدى الصّنائع التي لا بد فيها من أمور أربعة: فمادتها الألفاظ، وآلتها القلم، والخطّ مقيّد للتصورات، «وغايتها انتظام جمهور المعاون، والمرافق العظيمة العائدة بالفائدة على الخاصة والعامة»[3].

أمّا قدامة بن جعفر فقد عرّف الكتابة انطلاقا من وظيفتها وأهمّيتها حيث يقول: «حدّ الكتابة الدّالّ على معانيها هو أنّها صناعة تعنى بجباية الأموال وسياسة الملك»[4].

والكتابة كصناعة وفنّ إداري، قد بدأت -حسب رأي الدكتور علي أو مليل- في عهد معاوية، فهو واضع ديوان الرّسائل أي كتابة المراسلات وتوثيقها، وديوان الخاتم وهو نوع من الأرشيف، وديوان البريد أي تتبع أخبار الأقاليم[5]، ويقول في موضع آخر: «كما أنّ لكل شيء بداية -كما يقال- فإنّ بداية فن الكتابة العربي ارتبطت بوضع اللّبنات الأولى لجهاز الدّولة الإسلامية، أي ما يسمّى بالدّيوان، ويتفق المؤرخون على أنّ الدّيوان الذي أنشأه عمر بن الخطاب كان لبنة الإدارة الإسلامية»[6].

ويذهب الدّكتور أحمد محمّد الحوفي إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أنّ الكتابة كصناعة ظهرت آخر الدّولة الأموية، فيذكر أن الدّولة اتّسعت وتعدّدت شؤونها في عهد بني أميّة، وكان الخلفاء في شغل بشؤون الملك وتصريف السيّاسة، فلم يجدوا من وقتهم ما يسعفهم بأن يتولّوا كتابة الرّسائل بأنفسهم، أو يملوا على غيرهم كما يحدث في صدر الإسلام وبدايات العهد الأموّي، فوكّلوا كتابتها

---

(1)-القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص82. فكتور الكك، صناعة الكتابة، ص29.

(2)-القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص82. فكتور الكك، المرجع السابق، ص29.

(3)-القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص64.

(4)-الخراج وصناعة الكتابة، ص203.

(5)-السلطة الثقافية والسّلطة السياسية، ص55.

(6)-المرجع نفسه، ص55.

إلى كتّاب من العرب أو من الموالي الحاذقين بالعربية، وأوّل من بدأها عبد الملك حين اتخذ سليمان بن سعد كاتبا على الرّسائل، واستمرّ الأمر حتى آخر الدّولة الأمويّة، أين صارت الكتابة صناعة متميّزة ذات نظم خاصة، وكثر الكتّاب وتعدّدت دواوين الكتابة[1].

وينبغي الوقوف عند رأي كل من علي أومليل وأحمد الحوفي، فقولهما إنّ الكتابة كصنعة لم تظهر إلاّ في العهد الأموي، أو آخره على حد قول أحمد الحوفي، قول فيه نظر، فمن المعلوم أنّها كصنعة ظهرت في العهد النّبوي، فقد عيّن الرسول كتّابا وخص كل واحد منهم بالكتابة في مجال معيّن، وهذا دليل على أنّها عرفت كصنعة في هذا العهد، وإذا كان الدكتوران قد ربطا الكتابة كصنعة بالدواوين، فالمعلوم آن الدواوين ظهرت قبل العهد الأموي، وعلى ذلك كتابتها كانت سابقة للأمويين[2]، أمّا قول أحمد محمد الحوفي بأنّها لم تظهر إلاّ في آخر عهد بني أميّة فسوف نفنده أيضا، من خلال الفصل الثاني والثالث وحتى هذا الفصل أيضا عند الحديث عن تقاليد الكتابة، فهي دليل قوي على أنها صنعة متميزة، ولها قواعدها الخاصة[3]، وعرفت منذ بداية الأمويين، وتجدر هنا الإشارة إلى آن الكاتب العربي فرق بين نوعين من الكتابة: الكتابة الدّيوانية أي الإعلامية الوظيفية التّعليمية، والكتابة الأدبية الفنّية الإبداعية التي لا تخضع لقوانين مسبقة ثابتة مثل الكتابة الإنشائية الوظيفية، فالإنشائية كتابة رسمية مسؤولة أمام السلطة وتلبّي حاجات المؤسّسات الرسمية[4].

وقد ترعرعت الكتابة الفنّية والديوانية في عصري الخلافة الراشدة والأمويّة، وإنّ بداية هذين اللّونين كانت في حكومة الرسول ﷺ، وربمّا كانت رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب هي الشّرارة الأولى التي أذنت بضرورة الفصل ما بين الكتابة والفنّية والكتابة الديوانية، والملاحظ أنّ هذه الأخيرة كانت ولا تزال ذات أصول وقواعد، وهي محسوبة الحروف والكلمات، ولا يقوم بها إلاّ الأفذاذ أصحاب المعرفة التامة بالأصول الإدارية، وقواعد الخدمة السلطانية، وعلى هذا قيدت بالقيود الإدارية، بخلاف الكتابة الفنّية التي انطلقت وانتشرت وشاعت ولم تقيّد، وإذا كانت الكتابة الديوانية حبيسة القصور والإدارة، فإنّ الكتابة الفنّية قد شاعت في أجواء من الحريّة[5].

---

[1]-أدب السياسة، ص433.

[2]-انظر في ذلك التمهيد.

[3]-ينظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

[4]-عبد الحميد جيدة، مرجع سابق، ص111.

[5]-هاني صبحي العمد، أدب الكتابة والتأليف عند العرب، ص11.

ونشير أيضا أنّ العرف في القديم قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء، فإذا أطلقت كلمة الكتابة خصّ بها كتابة الإنشاء، والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتب الإنشاء[1]، ثم أصبحت تطلق على كاتب المال وأهل الديوان[2]، «على أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعدّدت أنواعها لا تخرج عن أصلين هما: كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال»[3].

1-2-أهميّة الكتابة وعوامل تطوّرها في الدوّلة الأموية:

1-2-1-مكانة الكتابة وأهميتها:

كانت الكتابة ذات مكانة عالية منذ القديم ولعبت دورا هاما في السياسة والثقافة، وهي من الصنائع التي كرمها الإسلام، وجعلها الإطار الرئيس الذي يحتوي الإسلام ويضمّه عبر العصور، ولذلك صبغت الكتابة بالصبغة الإسلاميّة[4]، فالإسلام لمّا جاء كرّم أهلها، فتطوّرت وأصبحت مهنة شريفة، وصار للكتّاب أحكام بيّنة كأحكام القضاة، ويتقلّدون التّدبير وسياسة الملك[5]، يقول النّحاس في ذلك: «ومن فضل الكتابة وشرفها أنّ الكتّاب في قديم الدّهر وحديثه يدبّرون الملك والخلافة دون غيرهم، ومن جلالتها أنّ أحكامها كأحكام القضاة»[6].

فللكتابة تأثير بيّن على الجانب السياسي، فهي أعظم الأمور وأجلّها، وقوام الخلافة وعمود المملكة[7]، ولمّا كانت كذلك قال عنها الزّجاجي: «هي أعلى الصناعات وأكرمها، وأسمقها بأصحابها إلى معالي الأمور وشرائف الرتب، فهم بين سيّد ومدبّر، وملك وسائس دولة ومملكة»[8]، وهذا يبرز جليا أهمية الكتابة للملك والكتاب للملكة «فبها قامت السياسة والرياسة وإليها ضوت الملوك بالفاقة والحاجة»[9].

---

(1)-صبح الأعشى، ج1، ص82. فكنوز الكك، مرجع سابق، ص30.

(2)-القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص82.

(3)-فكتور الكك، مرجع سابق، ص30.

(4)-عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص100.

(5)-المرجع نفسه، ص29.

(6)-عمدة الكتاب، ص363.

(7)-النّويري، نهاية الإرب، ج7، ص22.

(8)-عمدة الكتاب، ص16.

(9)-النحاس، المصدر السابق، ص364.

وقد جعل ابن خلدون الكتابة ركنا من أركان الملك التي لا قوام له إلاّ بها، فيقول: «هذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثالثة أركانه، لأن الملك لا بد له من الجند والمال، والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيّف وأمر القلم وأمر المال، فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة الملك»[1]، وفي أمر المال يقول الكتاني إن الكتابة «هي ضبط الجيوش لمعرفة أرزاقهم، والأموال لتحصيل فوائدها لمن يستحقها»[2].

وإلى نفس المعنى أشرنا عندما ذكرنا تعريف قدامة بن جعفر للكتابة، فقلنا أنّه عرّفها بأنّها «صناعة تعنى بجباية الأموال وسياسة الملك»[3].

ومن كل هذا يتّضح جليّا المحلّ الاسمى للكتابة، وموقعها من الساحة السياسية وإدارة الدّولة، فالكتابة بحق أعلى الصّناعات وأشرفها، وإن الملك أحوج ما يكون إلى الكتّاب وفي مجال السياسة والإدارة لا يمكن إغفال دور الكتابة الدّيوانيّة في تعريب الدواوين إبّان العهد الأموي[4]، وسنفصل ذلك في موضعه لاحقا[5].

هذا على الصعيد السياسي وما نالته الكتابة من مكانة، وما لعبته من دور، وعلى الصعيد الثقافي والاجتماعي لعبت الكتابة أيضا دورا بارزا، فبها حفظت الألسن والآثار، وأثبتت الحقوق، ووكّدت العهود، وسيقت التّواريخ، وأمن الإنسان النّسيان، وقيّدت الشهادات[6].

فالكتابة بذلك أهم وسيلة لحضارة الإنسان، فهي تعطي صفة الدّوام للمعرفة البشرية، ولولاها لما وصلت إلينا حضارات الأمم الأخرى، وبالتّالي ما حضارتنا إلاّ ثمرة الكتابة التي نقلت بها علوم الأوائل، كما أنّها وسيلة حفظ للغة المنطوقة[7].

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «الكتابة من خواص الإنسان يميّز بها عن الحيوان، وأيضا فهي تُطلع على ما في الضّمائر، وتتأدّى بها الأغراض إلى البلد البعيد... ويطّلع بها على العلوم

---

[1]-العبر، ج1، ص204.

[2]-نظام الحكومة النبويّة، ص202.

[3]-الخراج وصناعة الكتابة، ص203.

[4]-هاني العمد: أدب الكتابة، ص46.

[5]-انظر: تعريب الدواوين مفصلا في الفصل الثالث.

[6]-الصولي، أدب الكاتب، ص12، 13. النويري، مصدر سابق، ج7، ص2، 3.

[7]-معتصم زكي، أثر الرسم الكتابي العربي في الثقافة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع47، أكتوبر 2004، ص11.

والمعارف وصحف الأوّلين، وما كتبوه من علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع»[1]، وقد احتاج المسلمون إليها في تقييد العلم والمعارف، لذلك قال عمر بن عبد العزيز: «قيدوا النّعم بالشّكر، وقيّدوا العلم بالكتاب»[2].

وبفضل الكتابة عرفنا الكثير من أحوال الأمم الماضية والحكّام الأولين، فمثلا أوراق البردي التي عثر عليها بمصر تحوي معلومات هامّة عن مصر الإسلامية، وأوردت أسماء الكثير من العمّال والولاّة في مصر، وتواريخ توليتهم لوظائفهم[3]، وقس على ذلك بقية الأمم والبقاع.

ولولا هذه الأهمية للكتابة لما أشار إليها الله سبحانه في كتابه، فكانت أوّل آية نزلت: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: 1-5]، وقال عن الملائكة ﴿**كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾ [الإنفطار: 11] [4]، ثم أعظم الله شأنها حين أقسم بالقلم فقال سبحانه: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم: 1]، فالقسم منه تعالى لا يكون إلاّ بشريف ما أبدع[5].

والكتابة لذلك فرع من فروع الشّريعة، يقول النّحاس: «ومن العلم صناعة الكتاب، وقد وهم من زعم أنّ أحكام الكتابة مباينة لأحكام الشريعة، لأن ذلك مخالف لمّا يوجبه الدّين والعقل، لأنّ الكتابة فرع من فروع الشّريعة، والشريعة أصل، والكتابة سياسة للملك والملك لا قوام له إلا بالدّين، فقد تبيّن أنّ الكتابة فرع من فروع الدّين، وما كان فرعا لشيء لم يباينه، وأحكام الكتابة ملائمة لأحكام الشريعة»[6].

والحق الذي لا جدال فيه أنّ الكتابة خدمت الإسلام خدمة كبيرة، فكانت خيرا من السيّف، وقد فهم النّبي ﷺ أهميتها، فلذلك اشترط على أسرى بدر أن يعلّموا النّاس الكتابة حتّى يطلق سراحهم، كما لا يخفى علينا أنّ الكتابة هي الوسيلة الوحيدة لتدوين الوحي[7]، وقد كان الحجّاج في

---

(1)-العبر، ج1، ص348-349. المقدمة، ص397.

(2)-المبّرد: الكامل في اللغة، ج1، ص302.

(3)-ناهد حمدي، مرجع سابق، ص107.

(4)-النويري، مصدر سابق، ج7، ص1. صبح الأعشى، ج1، ص63.

(5)-القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص64.

(6)-مصدر سابق، ص28. قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص203.

(7)-انظر: تدوين القرآن في التمهيد.

مقدمة من كتب المصاحف في العهد الأموي وفرّقها على الأمصار[1]، وكان في زمن الوليد خالد بن أبي الهيجاء[2] يكتب المصاحف والشّعر والأخبار للوليد، وتأنّق في كتابه المصاحف وتذهيبها، وقد كتب في قبله مسجد النّبي في المدينة: والشمس وضحاها إلى آخر القرآن بالذّهب[3].

وأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث خوفا من ضياع السنّة، كما عرف العهد الأموي تدوين اللغة والشعر والعلوم، وجدّ خالد بن يزيد بن معاوية في نقل كتب الطبّ والكيمياء والنّجوم والحرب على العربية، وأغدق الأموال على التّراجمة والفلاسفة، وهو أوّل من أنشأ خزانة للكتب في الإسلام[4].

وفي سياق الحديث عن أهمّية الكتابة لا ينبغي أن نغفل أهمّ وظيفة لها وهي كونها وسيلة للاتصال[5]، ومن هذا المنطلق استخدمها الخلفاء والولاّة وغيرهم لتبليغ أوامرهم وتوجيهاتهم لغيرهم[6]، وهذه من العوامل التي جعلت الخلفاء يهتمون بها، يقول إبراهيم جمعة في ذلك: «وعندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ولزم التكاتب مع الأمصار في شؤون الدّين والدّنيا، ظهرت للكتابة فائدة أخرى لم تكن في الحسبان، وذلك أنّها غدت وسيلة من وسائل الحكم، بها كانت تصدر المكاتبات من الخلفاء إلى عمالهم على الأقاليم، وتدون الدواوين وتضبط أمرور الدولة»[7]. ومن خلال تعامل الخلفاء بها ودورها في السياسة يمكن القول أنّ عليها مدار سلطان[8]، ويشير الدكتور حسين عبد الرحيم إلى وظيفة أخرى للكتابة –بالإضافة إلى وظيفة تدوين النّصوص المهمة– وهي وظيفة الزّخرفة، فقد حقّقت الكتابة جمالا زخرفيّا للأعمال الفنّية[9].

كما جعلها المسلمون في صدر الإسلام دعامة من دعائم الدّعوة الإسلامية[10]، وبذلك

---

(1)–جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج3، ص67.

(2)–سيأتي ذكره في الفصل الثالث.

(3)–يحي وهيب، الخط والكتابة، ص99.

(4)–محمد كرد علي، أمراء البيان، ص27، 28.

(5)–فكتورالكك، صناعة الكتابة، ص41.

(6)–انظر المبحث الثاني، من هذا الفصل.

(7)–قصة الكتابة العربية، ص22.

(8)–أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص136.

(9)–الكتابات العربية الأثرية، المجلّة التاريخية المصرية، مج30–31، ص207.

(10)–معتصم زكي، مرجع سابق، ص47، 48.

أسهمت في بناء الأمّة، وتطوّر الحياة الفكرية، يقول الدكتور عبد الخضر جاسم في ذلك: «لقد فرض ظهور الإسلام توجّها خاصّا في بناء الأمّة، وصار التّأكيد على تعلّم الكتابة والتشجيع على استعمالها أساسا للتّطوّر الكبير في الحياة الفكريّة ولمّا كانت الكتابة إحدى الوسائل التي يمكن أن تحفظ العلم، وتثبت حقائق الأشياء، فقد صار الاعتماد عليها أمرا ظاهرا، من خلال تأكيد القرآن على استخدامها في تنظيم حياة الأمّة، إذ جاء قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282]» [1].

وقد لعبت الكتابة أيضا دورا مهمّا في تحديث الثّقافة العربية، ومزجها بالثقافات الأخرى، وهذا ما أكّد عليه الدكتور علي أومليل بقوله: «لقد كان لفئة الكتّاب دور تحديثي في الثّقافة العربية، فقد طعّموها بعناصر مهمّة من التّراث الأجنبي الفارسّي، وخصوصا اليوناني، وقد روّجوا أدبا سياسيا فارسيّ المرجع، لا مجرّد تشنيق أسماع نخبة الحكام به، بل لتقديم نموذج في السيّاسة منافس لنموذج سياسة الفقهاء، أي السياسة وفقا للشريعة» [2].

1-2-2-عوامل ازدهار الكتابة في العصر الأموي

هناك العديد من العوامل نهضت بالكتابة، وساعدت على تطوّرها في الدولة الأموية ومن هذه العوامل:

1-نمو الثقافة العربيّة، فقد كثر حملة القرآن والشعر والعارفين بالأنساب والأخبار والعلوم وجمع الكتب[3]، فالإدارة الإسلامية قامت على مرتكزات أوّلها القرآن والسنّة النبّوية، وكذا الاجتهاد الذي يعتبر أحد الأسس المهمة أيضا[4].

«فالفكر الإداري الإسلامي فكر إداري فذو فريد من نوعه بين الأفكار الإدارية التي عرفها العالم قديمه وحديثه، مردّ ذلك أنّ الفكر الإداري الإسلامي يستند –كما ذكرنا– إلى توجيهات القرآن الكريم والسنّة النبّوية المطهّرة»[5]، وذلك يعني أنّ حكومة الإسلام خاضعة للقرآن من حيث

---

[1]-أثر مكاتبات الرسول، ص20.

[2]-السلطة الثقافية، ص54.

[3]-أحمد الحوفي، أدب السياسة، ص433

[4]-محمد مهنا العلي: الإدارة في الإسلام، ص90،91.

[5]-المرجع نفسه، ص209.

كونه دستور الدولة الإسلامية، ونظامها السياسي، فهو الذي يحكم تصّرفات الحكومة ويحدّد واجباتها وحقوقها، ويرسم لها الطّريق الذي يجب أن لا تتعدّاه[1]، وبذلك لا نبالغ إن قلنا أنّ الإسلام دين ودولة والقرآن دستور حياة، دستور يجد فيه الاقتصادي أروع النّظم الاقتصادية، ويجد فيه السيّاسي أعدل وأحكم النّظم السياسية، ويجد فيه الإداري أفضل النّظم الإدارية، كما يجد فيه الاجتماعي أسلم وأرقى النّظم الاجتماعية[2].

وكذلك ساهمت اللّغة العربيّة بشكل أو بآخر في تطوّر الإدارة، والكتابة منها بالخصوص، وهناك عاملان سهّلا على العربية أن تدخل جميع الميادين بالعراق خصوصا، أوّلهما أنها لغة الدين الإسلامي، فأتباعه متحمسين لمعرفة العربية، أما العامل الثاني فهو تجاور العربية مع الفارسية، لتجاور العرب مع الفرس[3].

أمّا بالشام فقد التقت العربيّة والرومانية لقاء صراع، وكان طبيعيّا أن ينتهي الصّراع بتغلب العربية، فقد كانت لغة الدّين ولغة الدولة معا، بل لغة الثقافة[4]. كما نشير إلى أنّ العربية لعبت دورا في ربط عرب الشام بالنّواحي الأخرى، أي مساهمة في اللامركزية الإدارية[5].

وكانت الفتوح أيضا سببا في اتساع الآفاق أمام اللغة العربية والكتابة، بعد أن كانت الرومانية والفارسية، ومن هنا مضى التّعريب بالشام والعراق كأول خطوة لهذا الاتساع والتّطوّر[6]، وبذلك دخلت اللغة العربيّة ميدان الإدارة، وأثارت مع ذلك نشاطا أدبيّا خصبا في العصر الأموي.

2-ومن عوامل تطوّر الكتابة أيضا صيرورتها صناعة، فبعد أن كان يشرف عليها الخلفاء، فوضوا أمرها إلى كتاب متخصصّين وأفردت بها دواوين[7].

3-تقدير الكتاب وعلوّ منزلتهم[8].

---

(1)-المرجع نفسه، ص155.

(2)-المرجع نفسه، ص65.

(3)-شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ص108.

(4)-المرجع نفسه، ص69.

(5)-المرجع نفسه، ص68.

(6)-المرجع نفسه، ص68.

(7)-انظر في ذلك الفصل الثاني.

(8)-لمعرفة ذلك انظر: الفصل الثاني والثالث.

4-الاتصال بالثقافة الأجنبية من إغريق وسريان، وظهور الترجمان التي أنمت المعرفة لدى العرب والكتّاب منهم بالخصوص، وتعدّدت لغاتهم[1]، ومن مظاهر التأثر بالفرس والرومان، ظهور الدواوين في الإسلام، ولعلّ من أبرز سمات العصر الأموي الإدارية تطويره لنظام الدّواوين مع تطوير وظائف الحكومة، وذلك لاختلاط الدولة الإسلامية بغيرها عن طريق الفتوحات، لهذا نرى أنّ الخريطة التنظيمية للإدارة في العصر الأموي قد بلورت الإدارة الإسلامية، وأعطتها شمولية أكثر مما كانت عليه من قبل[2].

ولعلّ هناك من يتساءل عن الأسباب التي جعلت بدايات الفعل الحضاري الإسلامي تتأخر لعدة عقود، الأمر الذي دفع القيادة الرّاشدة إلى استعارة بعض المفردات الإدارية والفنية من الفرس والروم، بل حتى قبول اللّغات السائدة في البيئات المفتوحة في العديد من الأنشطة، إذ لم يتم الانتقال إلى مرحلة تجاوز النّقل المباشر والاعتماد على الآخر، وتشكيل الخصوصيات الحضارية، إلا في منتصف العصر الأموي، حيث تمّت عملية التّعريب المعروفة[3] في سياقي الإدارة والمال، ومع هذا كانت هذه الممارسات امتدادا طبيعيّا للتأسيسات النبوية والراشدية في إطار القرآن والسنّة[4].

وقد يكون من الضّروري هنا أن نشير إلى أنّ المنهج المعكوس الذي يبدأ من الحديث عن اقتباسات المسلمين عن الآخرين ثم يستنتج أو يوحي بأنّ الحضارة الإسلامية لا تعدو أن تكون مجموعة من قطع الغيار استعيرت من الحضارات والثقافات الأخرى، وشكّلت بها حضارة الإسلام، وكأنّ المسلمين خرجوا من جزيرتهم لا يحملون بذرة التحضّر أو أي شيء يمتّ إليها بصلة.

والخطأ الذي يقوم عليه هذا الافتراض هو أنّ من يعتقد هذا يغفل حقيقة في غاية الأهمية: وهي أنّ المسلمين خرجوا وهم يحملون رؤية جديدة قديرة، -إذ انصبّت على الحضارة الأخرى- أن تصنع حضارة متميزة أصيلة، تعرف كيف تفيد من الآخر، ولكن بعد أن تخضع عناصر الأخذ للرؤية المتفردة، بمواصفاتها الإيجابية التي لم تجتمع بهذا القدر والغنى والتوافق في أية حضارة أخرى على الإطلاق[5].

---

(1)-أحمد الحوفي، مرجع سابق، ص341.

(2)-محمد مهنا العلي، مرجع سابق، ص81، 82.

(3)-انظر: التعريب في الفصل الثالث.

(4)-عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص55.

(5)-المرجع نفسه، ص57.

فعلى مستوى النّظم الإدارية تجد الحضارات الناشئة –ومنها الحضارة الإسلامية– في البداية ألاّ وقت لديها لتسيير المؤسسات، فتقتبس عن الآخرين، لكنّها ما تلبث أن تبدّل وتحوّر، وتنقص وتزيد وتؤصل في نهاية الأمر نظمها الخاصة بها، ونذكر دائما على سبيل المثال ما حدث بالنّسبة لنمو الدّواوين وتوزيع تخصصاتها، فضلا عن حركة التّعريب المعروفة التي استهدفت المؤسسة الإدارية بالدرجة الأولى[1].

5–اتساع رقعة الدولة الإسلامية والحاجة إلى التكاتب، يقول إبراهيم جمعة: «وعندما اتسعت رقعة الدّولة الإسلامية، ولزم التكاتب مع الأمصار في شؤون الدّين والدنيا، ظهرت للكتابة فائدة أخرى لم تكن في الحسبان، ذلك أنّها غدت وسيلة من وسائل الحكم، بها كانت تصدر المكاتبات من الخلفاء إلى عمالهم على الأقاليم وتدون الدواوين وتضبط أمور الدولة»[2].

ونختم كلامنا في هذا المجال بالتّحدث عن مظاهر تطوّر الكتابة في العصر الأموي، ولعلّ أول مظهر هو التّجويد، حيث اعتمد كتاب الرسائل خصوصا على التنميق والتجويد وكذا اختصاص كاتب بها، حيث اختص بكل ديوان كتاب وموظفون، فلم تعد من عمل الخلفاء كما كانت من قبل، وكذلك من المظاهر غلبة الإيجاز، حيث يؤدّي المعنى بأقصر عبارة[3].

2–أغراض الكتب المتبادلة في العهد الأموي:

ذكرنا أنّ اتساع رقعة الدّولة الإسلامية دفع بالخلفاء إلى التكاتب مع الأمصار في مختلف الشؤون، وهنا ظهرت فائدة أخرى للكتابة، ذلك أنّها غدت وسيلة من وسائل الحكم، بها تصدر المكاتبات من الخلفاء إلى عمالهم على الأقاليم.

وعلى هذا تنّوعت الكتب المتداولة في العصر الأموي –كغيره من الفترات– فالملاحظ من خلال استقراء النّصوص أنّها استخدمت في أمور شتّى فكانت إمّا أوامر من الخليفة لغيره، وإمّا نصائح من طرف لآخر، وإما بيعة أو شكاوى، وغير ذلك من الأغراض التي سنضرب نماذج لكل منها، وكان الهدف من عرض نماذج لهذه الأغراض هو إبراز أهمية الكتابة، وكيف لعبت دورا في العلاقات وتسهيل الأمور الإدارية والسياسية وحتى الاجتماعية، ومن ثم كيف لعب الكتّاب دورا في

---

[1]–المرجع نفسه، ص58.

[2]–قصة الكتابة العربية، ص22.

[3]–أجمد الحوفي، مرجع سابق، ص415، 416.

تلك النّواحي، وتسيير أمور الدّولة، وكانت الأغراض كالآتي:

2-1-أوامر متعددة:

من الغايات التي كان الخلفاء الأموية يقصدونها من تبليغ أوامر الخليفة إلى الولاة والعمال وغيرهم، ومن الكتب في هذا المجال ما كتبه معاوية إلى زياد بن أبيه بفارس: «إنّ في يدك مالا من مال الله وقد ولّيت ولاية، فأدّ ما عليك من المال»[1]. وكذلك لما توفي أبو هريرة كتب معاوية إلى نائبه على المدينة: «أن انظر ورثته فاحسن إليهم، واصرف إليهم معروفا، فإنّه كان ممّن نصر عثمان وكان معه في الدّار»[2].

وكتب يزيد بن معاوية إلى عامله على المدينة لما ولي الخلافة، «إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزّبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا، فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما، وخذ النّاس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام»[3]. وهكذا يتضح جليّا دور الكتابة في تبليغ الأوامر ومن ثم توطيد السلطة.

التحريض على قتال الخوارج: وكتب عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القشري[4] وإليه على البصرة يأمره بقتال الخوارج واتّباع المهلب بن أبي صفرة[5]: «أرسل إلى المهلّب يستقبلهم، وقد بعثت إلى بشر بالكوفة ليمدّك بجيش، فسر معهم، ولا تعمل في عدوّك برأي حتى يحضره المهلّب والسلام»[6].

إرهاب الناس: وكتب عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بإرهاب الناس: «أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وأنت النّاصح النّجيب الأمين بالغيب، القليل العيب، فإذا أرابك من أهل العراق ريب،

---

[1]-تاريخ الطبري، ج5، ص168.

[2]-ابن كثير، البداية والنّهاية، ج8، ص100.

[3]-تاريخ اليعقوبي، ج2، ص241.

[4]-هو خالد بن يزيد بن أسد القسري من بجيلة، أحد خطباء العرب وأمير العراقيين في عهد هشام، ثم عزل وقتل في أيام الوليد بن يزيد سنة 126هـ بسبب رميه بالزندقة. الزركلي، الأعلام، ج2، ص297.

[5]-هو المهلب بن أبي صفرة بن ظالم بن سراق الأزدي ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وانتدب لقتال الخوارج الأزارقة 19 عاما، ثم ولاّه عبد الملك خراسان سنة 79هـ، ومات فيها سنة 83هـ. الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص315.

[6]-ابن الأثير، الكامل، ج4، ص20.

فاقتل أدناهم حتى يرعب منك أقصاهم والسّلام»[1].

الحث على إقامة العدل: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على خراسان: «أمّا بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنّ أهل خراسان قد ساءت رعيّتهم، وإنه لا يصلحهم إلاّ السيّف والسّوط، فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسّلام»[2].

أمر بوضع الجزية عمن أسلم: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على خراسان: «انظر من صلّى قِبَلَكَ من القبلة، فضع عنه الجزية»[3].

الأمر بإخراج زكاة الفطر: ونختم كلامنا عن الأوامر بما كتبه عمر إلى عمّاله: «مروا من كان قبلكم فلا يبقى أحدٌ من أحراركم ولا مماليكهم، صغيرا ولا كبيرا، ذكرا ولا أنثى إلاّ أخرج عنه صدقة فطر رمضان، مُدّين من قمح أو صاعا من تمر، أو قيمة ذلك نصف درهم، فأمّا أهل العطاء فيؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم، واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يقبضان ما اجتمع من ذلك، ثم يقسمانه في مسكنة أهل الحاضر، ولا يقسم على أهل البادية»[4].

ومن خلال هذه النّصوص يتضح تنوع الأوامر، واختلاف أهدافها، فكان بذلك للكتابة عظيم الأثر على الصعيد السيّاسي والإداري والاقتصادي وحّتى الاجتماعي.

2-2-نصائح وتوجيهات:

ومن أغراض الكتب المتداولة أيضا تبليغ النّصائح والتوجيهات، وقد شاع هذا في العهد الأموي، وهذا ما تبيّنه النّصوص الكثيرة في المصادر، وليس في العهد الأموي فحسب، بل حتّى قبله كانت شائعة ومتداولة، ومن ذلك ما يرويه ابن الجوزي أنّ عليّا بن أبي طالب كتب إلى ابن عبّاس: «أمّا بعد: فإن المرء يسوءه فوت ما لم يدركه، ويسرّه درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرنّ به فرحًا، وما

---

[1]-البلاذري، أنساب، ج7، ص292.

[2]-السيّوطي، تاريخ الخلفاء، ص244.

[3]-الطبري، مصدر سابق، ج6، ص559. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج2، ص291.

[4]-ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص436. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ص302- 303. محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص426. ولمزيد من الكتب حول الأوامر. انظر: ابن قتيبة، الإمامة، ج2، ص86. ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج4، ص381.

فاتك منها فلا تأس عليه حزنا، وليكن همّك فيما بعد الموت»[1].

أما عن العهد الأموي فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له ينصحه ببسط العدل: «أمّا بعد: فلتجفّ يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك من أعراضهم، فإن فعلت ذلك فليس عليك سبيل»[2]. فهذه نصيحة سياسية إدارية لأنّها صادرة من خليفة إلى عامله يحثه على العدل والاستقامة مع الرعية.

وكتب أحد العمال إلى عمر: «إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرمّة، فكتب إليه عمر: حصن مدينتك بالعدل ونقّ طرقها من الظلم»[3]، وكتب إلى بعض عماله أيضا: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتبّاع سنّة رسوله، وترك ما أحدث المحدثون بعده ممّا قد جرت سنّته، وكفوا مؤونته، واعلم أنّه لم يبتدع إنسان قطّ بدعة، إلاّ قد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنّة، فإنها لك بإذن الله عصمة، وأعلم أنّ من سنّ سنّة قد علم ما في خلافها من الخطإ والزلل والتعمق والحمق، فإنّ السّابقين الماضين على علم توقفوا، وببصر نافذ كفوا»[4]، وكتب عمر إلى رجل ينصحه: «اتّق الدّنيا فإنّ مسّهالين وارفض نعيمها لقلة ما يتبعك منه، واترك ما يعجبك منها لسرعة مفارقتها»[5]، ويذكر الطبري أن عمر كتب لأهل الشّام: «سلام عليكم ورحمة الله، أمّا بعد: فإنّه من أكثر ذكر الموت قلّ كلامه، ومن علم أنّ الموت حقّ رضي باليسير والسّلام»[6].

وهذه النصوص وإن كانت نصائح، فإنّها تحمل في طياتها نوعا من التوجيهات لأنّها صادرة من خليفة إلى ولاة وعمال.

2-3-تهديدات وتوبيخات:

شملت المكاتبات أيضا الكثير من التهّديدات والتّوبيخات، ومن ذلك ما يروى من أنّ معاوية كتب إلى مروان بن لحكم وإليه على المدينة يأمره بإبطال العقوبة على أحد العمّال: «أمّا بعد فإنّك

---

[1]-صفة الصّفوة، ج1، ص136.

[2]-أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص307.

[3]-ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج1، ص344. السيوطي، مصدر سابق، ص234- 235.

[4]-ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص63. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص300.

[5]-أبو علي القالي، كتاب الأمالي، ج2، ص45.

[6]-مصدر سابق، ج6، ص570.

أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس النّاس، والله لتبطلنّها عنه أو لا قيدنّه[1] منك»[2]، ويروى أيضا أن معاوية لمّا طلب من زياد –وكان على بلاد فارس– أن يدفع إله مالا رفض زياد، فأخذ معاوية أبناءه وكتب إليه: «لتقدمنّ أولأقتلنّ بنيك»[3].

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يتهدده: «أمّا بعد فإنّما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظَفِر أحبّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك، ونكّل بك، وقد كان أبوك وترقوسّة[4]، ورمى غرضه فاكثر الحزّ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه وأدركه يومه، ثم مات طريدا بحوران والسّلام»[5].

ويروى أنّ يزيد بن معاوية كتب إلى أهل المدينة يهدّدهم، ويدعوهم إلى الطاعة وصفّ الجماعة: «أمّا بعد فإنّي قد حملتكم على رأسي ثمّ على عيني، ثمّ على فمي، ثم على صدري، والله لئن وضعتم تحت قدميّ لأطأنّكم وطأة أقلّ منها عددكم، وأترككم أحاديث تنسخ مع أحاديث عاد وثمود[6].

أظنّ الحلم دلّ عليّ قومي وقد يستجهل الرّجل الحليم
ومارستُ الرّجال ومارسوني فمعوجّ عليّ ومستقيم
ولكنّي ألاقي منكرات فأنكر وما أنا بالظّلوم[7]

والله ما أدنى ما يأتيني من كتابي هذا إلا خلعكم ولا يأتينكم منّي إلا نقصكم، فإذا شئتم فلا افلح من ندم»[8].

ويذكر أنّ الحجّاج شتم أنس بن مالك، فشكاه أنس إلى عبد الملك، فكتب هذا الأخير إلى

---

[1]–من القود وهو القصاص. ابن منظور، لسان العرب، مادة قود، ج5، ص210.

[2]–أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني، ج2، ص80.

[3]–الطبري، مصدر سابق، ج5، ص168.

[4]–وترقوسه أي شدّ وترها، والوتر شرعة القوس ومعلّقها، والوترة مجرى السّهم في القوس. ابن منظور، مصدر سابق، مادة وتر، ج3، ص840.

[5]–ابن قتيّبة، عيون الأخبار، ج2، ص232.

[6]–الزبير بن بكار، الأخبار الموفّقيات، ص197، 198. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص177. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص388. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص86.

[7]–الأبيات مثبتة عند الزبير بن بكار، ص198.

[8]–المصدر نفسه، ص198. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص177.

الحجّاج: «أمّا بعد يا ابن أمّ الحجّاج، فإنّك عبد طمّت بك الأمور فعلوت فيها حتّى عدوت طورك، وجاوزت قدر، يا ابن المستفرمة بعجم الزّبيب[1] لأغمزنّك غمزة كبعض غمزات اللّيوث الثّعالب، ولأخبطنّك خبطة تودّ بها أنّك رجعت إلى مخرجك من بطن أمّك، أما تذكر كرحال آبائك في الطّائف، حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم، أنسيت حال آبائك من اللّؤم والدّناءة في المروءة والخلق؟... فأكرم أنسا وأهل بيته، واعرف له حقّه وخدمته رسول الله ﷺ ولا تقتصرنّ في شيء من حوائجه»[2].

ونختم كلامنا عن التوبيخات والتّهديدات بما كتبه يزيد بن الوليد النّاقص لمروان لمّا بلغه تردّده في البيعة له. فقد كتب إليه: «بسم الله الرّحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمّد، أما بعد: فإنّني أراك تقدم رجلا وتؤخّر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت والسلام»[3].

2-4-تولية ووصايا بولاية العهد:

ومن الأغراض التي استخدمت فيها الكتب أيضا تولية العهد فقد كتب معاوية لابنه يزيد يوليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ابنه يزيد، إنّه قد بايعه وعهد إليه، وجعل له الخلافة من بعده، وأمره بالرّعية والقيام بهم والإحسان إليهم، وقد سمّاه أمير المؤمنين، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل والإنصاف...» [4].

وكتب عبد الملك إلى الحجّاج لمّا ولاه العراقين[5]: «أما بعد يا حجاج فقد وليتك العراقين صدقة، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة، وإيّاك وهوينا الحجاز، فإن القائل هناك يقول ألفا ولا يقطع يهنّ حرفا، وقد رميت العرض الأقصى فارمه بنفسك، وأرد ما أردته بكل

---

[1]-يقصد عبد الملك بذلك أنّ أمّه تعالج بحب الزبيب فرجها ليضيق ويستحصف، وقيل إنما كتب إليه بذلك لأن في نساء ثقيف سعة فهنّ يفعلن ذلك يستضقن. لسان العرب، مادة : فرم، ج1، ص412.

[2]-الكامل في التاريخ، ج4، ص29. النويري، نهاية الأرب، ج21، ص219. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص214.

[3]-الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص302. ابن قتيبة، عيون، ج1، ص295.

[4]-ابن أعثم، الفتوح، ج4، ص256.

[5]-العراقيين هما الكوفة والبصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص104.

والسّلام»[1].

ويذكر الطّبري أنّ سليمان بن عبد الملك كتب كتابا عند وفاته يعهد فيه لعمر بن عبد العزيز ونصّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إنّي قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتّقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم»[2].

كما كتب الوليد بن يزيد كتابا يعهد فيه لابنيه الحكم وعثمان[3].

2-5-وصايا:

أما فيما يخص الوصايا فقد اخترت منها نماذج أيضا وأوّلها ما أوصى به معاوية يزيد ابنه عند وفاته: «انظر أهل الحجاز فإنّهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحبّ إليّ من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك...» [4].

وكذلك أوصى معاوية بني أمية، فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا بني أميّة، إنّه لما قرب منّي ما كان بعيدا، وخفتُ أن يسبق الموت إليّ، وسبقكم بي، سبَقتُه إليكم بالموعظة لأبلغ عُذرا وإن لم أردّ قدرا، إنّ الذي أخلّفه لكم من دنياي أمر تشاركون فيه، أو تقبلون عليه، وإنّ الذي أخلّف لكم من رأيي مقصور عليكم نفعه إن فعلتموه... فأوصيكم عندها بتقوى الله عزّ وجلّ الذي يجعل لكم العاقبة إن كنتم متّقين».[5]

وكتب عمر إلى وليّ عهد يزيد بن عبد الملك يوصيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى يزيد بن عبد الملك، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد:

---

[1]-تاريخ اليعقوبي، ج2، ص273. محمّد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص337، 338.

[2]-تاريخ الطبري، ج6، ص551. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج45، ص163. ابن الجوزي، سيرة عمر، ص47. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص265.

[3]-انظر: الكتاب مطوّلا: الطبري، مصدر سابق، ج7، ص219-224. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص496-500.

[4]-انظر: الكتاب كاملا: الطبري، مصدر سابق، ج5، ص323. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص145.

[5]-البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص207- 208.

فإنّي كتبت وأنا دنف[1] من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عمّا ولّيت، يحاسبني عليه مليك الدّنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئا، يقول فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: 7]، فإن يرضى عنّي الرّحيم فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطّويل، وإن سخط عليّ فياويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النّار برحمته، وأن يمنّ عليّ برضوانه والجنّة، فعليك بتقوى الله والرّعية الرّعية، فإنّك لن تبقى بعدي إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير والسّلام»[2]، وهناك رواية أخرى لهذه الوصيّة يوردها النويري وهي: «أما بعد: فاتّق يا يزيد الصّرعة بعد الغفلة، حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على الرّجعة، إنّك تترك ما تترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسّلام»[3].

2-6- كتب طاعة وأمان:

أمّا فيما يتعلّق بكتب الأمان، فنورد كتاب معاوية إلى زياد لمّا رفض زياد إحضار الأموال إليه: «علام تهلك نفسك؟ فأقبل إليّ فأعلمني علم ما صار إليك ممّا اجتبيت من الأموال، وما خرج من يديك وما بقي معك وأنت آمن، فإن أحببت المقام عندنا أقمت وإن أحببت أن ترجع إلى مأمنك رجعت»[4].

وكذلك لمّا طلب عبد الملك من محمّد بن الحنفية أن يبايعه، بعث إليه محمّد بأنّه لن يبايع قبل أن يقدم عليه رسول بالأمان من عنده، فكتب إليه عبد الملك: «أمّا بعد فقد قدم رسولك بكتابك فقرأته وفهمت ما فيه، وما نويت بذلك، وأنت لعمري عندنا البرّ المحمود، فأقبل مطمئنا مأمونا حبيبا قريبا، ولك بذلك عهد الله وميثاقه وذمّة رسوله محمّد ﷺ، وأشدّ ما أخذ الله على أنبيائه ورسله من العهود والمواثيق المؤكّدة الغليظة، أنك لا تهاج ولا تؤذي في سلطاننا أبدا...» [5].

2-7- طلب ومشورة:

---

[1]-دنف من وجعي: أي براه الشيب حتى أشفى على الموت. ابن منظور، مصدر سابق، مادة دنف، ج5، ص518.

[2]-أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص274، 275. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص314.

[3]-مصدر سابق، ج21، ص373. ولمزيد من كتب النّصائح. انظر: الجاحظ: البيان، ج3، ص170. العقد الفريد، ج4، ص432. تاريخ دمشق، ج50، ص202.

[4]-محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص156، 157.

[5]-ابن أعثم، مصدر سابق، ج6، ص285، 286. ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص400. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص139.

ومن الأغراض التي استخدمت فيها الكتب أيضا تبليغ الطلبات، والمشاورة في الأمور، ومن أمثلة هذه الأخيرة ما كتبه معاوية إلى مروان بن الحكم وهو على المدينة: «إنّي قد كبرت سنّي ورق عظمي، وخشيت الاختلاف في الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة، من عندك، فأعرض ذلك عليهم وأعلمني، بالذي يردون عليك»[1].

ويذكر الطبري أنّ الوليد لما عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز كتب إلى الحجّاج: «أنّ أشر عليّ برجلين» فأشار عليه الحجّاج بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله فولى عثمان المدينة وخالدا مكة[2].

وكتب عامل عمر على خراسان إلى عمر: «إنّ أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وإنّه لا يصلحهم إلاّ السيّف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك»[3]، فردّ عليه عمر بأنّه لا يصلحهم إلا العدل.

2-8-طلب البيعة:

ومن الكتب التي كانت معروفة أيضا كتب البيعات، ومن ذلك ما كتبه عبد الله من عمر لما قتل ابن الزبير: «لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر، سلام عليك، فإنّي أقررت لك بالسّمع والطاعة على سنّة الله وسنّة رسوله ﷺ وبيعة نافع مولاي، على مثل ما بايعتك عليه»[4].

ولمّا وليّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن المهلّب يأمره بأخذ البيعة له: «أما بعد، فإنّ سليمان كان عبدا من عبيد الله، أنعم الله عليه ثمّ قبضه، واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان، وإنّ الذي ولاّني الله من ذلك وقدّر لي ليس بهيّن، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقال أموال، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا، ومسألة غليظة، إلاّ ما عافى الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من

---

[1]-النووي، مصدر سابق، ج20، ص351. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص169.

[2]-مصدر سابق، ج6، ص482.

[3]-تاريخ الخلفاء، ص244.

[4]-ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص400.

قبلك»[1].

ويذكر صاحب تجارب الأمم أنّ الوليد بن يزيد عقد البيعة لابنيه الحكم وعثمان بعده، وجعلهما وليّي عهده وكتب بذلك إلى الأمصار، ونص البيعة: «نبايع لعبد الله بن الوليد والحكم بن أمير المؤمنين إن كان بعده، وعثمان بن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم، على السمع والطاعة، فإن حدث بواحد منهما حدث، فأمير المؤمنين أهلك في ولده ورعيته، يقدّم من أحبّ ويؤخّر من أحبّ»[2].

2-9-توضيحات واعتذارات:

عرف العهد الأمويّ استخدام الكتب لتوضيح أمور أو نقل الاعتذارات، ومن كتب التّوضيحات ما نقله المسعودي من أنّ الوليد لما سمع أن سليمان يتمنّى موته، كتب إليه يعاتبه، فرد عليه سليمان كتابا يوضّح له الأمور ونصّه: «فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنّيت ذلك لما يخطر بالبال، إنّي لأوّل لاحق به ومنعيٌّ إلى أهله، فعلام أتمنّى زوال مدّة لا يلبث متمنّيها إلا بقدر ما يحلُّ السّفر بمنزل، ثم يظعنون عنه؟ وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظي، ولا يرى من لحظي، ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النّميمة، ومن ليست له رويّة، أو شك أن يسرع في فساد النيّات، ويقطع من ذوي الأرحام:

ومن لا يغمض عينيه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتّبع جاهدًا كل عثرة ... يجدْها ولم يسْلم له الدّهر صاحبُ»[3]

ومن كتب التَوضيحات كذلك ما كتبه سليمان إلى الوليد لمّا هرب إليه آل المهلّب: «إنّ يزيد بن المهلّب عندي وقد آمنته، وإنمّا عليه ثلاثة ألاف ألف، كان الحجّاج أغرمهم ستّة ألاف الف فأدّوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف فهي عليّ»[4].

وكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجّاج أن صف لي سيرتك فكتب إليه الحجّاج: «إنّني

---

[1]-الطبري، مصدر سابق، ج6، ص567. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص441. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل، ج2، ص288-289.

[2]-مسكويه، ج2، ص467.

[3]-مروج الذهب، ج3، ص174. أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص255، 256.

[4]-أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص241.

أيقظت رأيي وأنمت هواي، فأدنيتُ السّيّد المطاع في قومه وولّيت الحرب الحازم من أمره، وقلّدت الخراج الموفّر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيته حظّا من لطيف عنايتي ونظري، وصرفت السّيف إلى النّطف المسيء، والثّواب إلى المحسن البرئ، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسّك المحسن بخطّة من التّواب»[1].

أما كتب الاعتذارات فنورد هنا ما كتبه مروان من محمّد لأهل مصر، يعتذر فيه عن قطع العطاء عنهم، فقد كتب إليهم: «إنّي حبست عنكم العطاء في السّنة الماضية لعدوّ حضرني، فاحتجت إلى المال، وقد وجّهت إليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السّنة، فكلوه هنيئا مريئا، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجرى الله قطع العطاء على يديه»[2].

2-10-معاهدات مع الملوك المجاورين:

عرف الخلفاء المسلمون تبادل الكتب مع الملوك الكفّار مثلهم في ذلك مثل النبي ﷺ حين أرسل إلى الملوك المجاورين[3]، وكانت الكتب بينهم متنوّعة، وعلى رأسها كتب الصّلح، وقد ثبت أنّ النبّي ﷺ صالح المشركين في الحديبية[4]، وللهدنة شروط كأن يكون فيها مصلحة للمسلمين، وألاّ تزيد على أربعة أشهر كما يذكر القلقشندي، ويؤكّد أنّ على الكاتب أن يعرف هذا الأمر ويقوم على الهدنة ويأتي ببراعة الاستهلال فيها، فيذكر سببها، وأن يذعن لأمر القرآن، ويحرّر التّاريخ بالعربي، ويشهد عليها، ويفتتح باللفظ هذا عقد صلح، أو هذه موادعة، وما كان على نحوها[5].

ولم أعثر -حسب إطّلاعي- على كتب مهادنة بنصها ترجع إلى العهد الأموي، وإنما أوردت بعض المصادر هذه المعاهدات إجمالا، حيث تذكر بنودها دون ذكر نص الوثيقة، ومما جاء في المصادر من معاهدات مع أهل الكفر: معاهدة معاوية مع أهل قبرس[6]، فقد غزاها معاوية وفتحها فتحا عظيما وغنم، ولم يزل المسلمون يغزونهم حتّى صالحهم معاوية في أيامه صلحا دائما على سبعة

---

(1)-المرجع نفسه، ص237.

(2)-المقريزي، الخطط، ج1، ص94.

(3)-سبق الكلام عنها في التمهيد.

(4)-انظر: التمهيد.

(5)-صبح الأعشى، ج14، ص 3-18.

(6)- قبرس أو قبرص: هي جزيرة في بحر الرّوم، وبعدها مسيرة ستة عشر يوما، ومعناها بالعربيّة النحاس الجيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص346.

آلاف دينار، وعلى النّصيحة للمسلمين، وإنذارا عدوّهم من الرّوم، ولما ولي عبد الملك زاد عليهم ألف دينار، وبقي الأمر حتى عمر بن عبد العزيز فحطّها عنهم، ولمّا ولي هشام ردّها[1].

ونذكر هنا أيضا معاهدة عبد الملك مع الرّوم، فقد صالحهم على ألف دينار في كل جمعة، وصالح طاغية الروم على مال يؤديّه إليه، لشغله عن محاربته، واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق، فإنّه صالحهم على أن يؤدي إليهم مالا، وارتهن منهم رهائن، وضعهم ببعلبك[2].

ومما نلاحظه من خلال هاتين المعاهدتين، وبالخصوص مع أهل قبرس هو التطوّر في المعاهدة والتّغيير فيها مع كلّ خليفة، فالمعاهدات قابلة للتّعديل بحسب ما تمليه الظروف، كما هو الحال في عصرنا.

2-11-رسائل عامة:

لقد عرف العصر الأموي رسائل لم تكن في شؤون سياسة رسمية، بل في نصائح عامة كالحرب مثلا أو غيرها، كرسالة عبد الحميد إلى ولي العهد عبد الله بن مروان[3]، وكذلك رسالته إلى الكتاب [4]، وهي تمهيد للرسائل الأخوانية.

2-12-أحكام القضاء:

يرى الدكتور ناهد حمدي أنّ أحكام القضاء لم تعرف التسجيل حتى العصر الأموي زمن معاوية، فكانت كل قضية تدوّن، ويحكم فيها في سجّل حتى يعاد النظر فيها. وفي الحكم إذا أنكره أحد المتاخصمين، وعرفت باسم المحاضرات أو السجلات، ويتخذ القاضي لذلك كاتبا حذقا[5].

ومما تذكره المصادر في هذا الجانبك مقاضاة سليمان بن عبد الملك لموسى نصير[6]، إلاّ أنّ المتأمل في الوثيقة والمستقرئ لأشخاصها وتواريخ ميلادهم ووفاتهم، يتبين له زيفها وبطلانها.

---

[1]-البلاذري، فتوح، ص210، 211.

[2]-المصدر نفسه، ص218.

[3]-انظر: الرسالة، ملحق 2.

[4]-انظر: الرسالة، ملحق 3.

[5]-المرجع في علم الديبلوماتيك، ص57.

[6]-انظر: نسخة المقاضاة: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص77. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل، ج2، ص261-262.

3-أدوات الكتابة في العهد الأموي:

3-1-القلم صناعته وأنواعه:

3-1-1-صناعة القلم:

لقد نقلت لنا المصادر بالتّفصيل كيفية صناعة القلم وإجادته، لأنّ عليه مدار صناعة الكتابة، ولذلك ينبغي على الكاتب أن يحرص على إجادة قلمه، فهو ترجمانه ولسانه وسنانه، وفساد القلم خدر في أعضاء الخط[1].

وقد اهتمت المصادر حتّى بأنواع القصب الذي تصنع منه الأقلام، فقد ذكر في ذلك أنّ أصلحها ما نشف ماؤه بحرارة الشّمس، وكان غشاءه خشنا يمنعه من الالتواء، ولذلك المقدّم من القصب ما نبت في الصحراء، بخلاف البحرية لأنّ الصّحراوية أجرى على القراطيس[2]، ويذكر أن ابن مقلة[3] قال: «خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه، ونشف ماؤه في قشره، وقطع بعد إلقاء بزره، وبعد أن اصفرّ لحاؤه ورقّ شجره، وصلب شحمه، وثقل حجمه»[4].

وعليه أفضل القصب كما وضّح القلقشندي، الفارسي والنّبطي [5]، أما طول القصب المقطوع فيكون ذراعا ذراعا ثم يقطّع قطعا صغيرة، ثم يحزم حزما لتصنع به الأقلام بعد ذلك[6]. ويذكر القلقشندي أنّ صلابة القلم ولونيته تكون حسب الصّحيفة التي يكتب عليها، فإذا كانت الصّحيفة ليّنة ينبغي أن يكون القلم ليّن الأنبوب، وفي قشرة صلابة، وإن كانت الصحيفة صلبة كان القلم يابس الأنبوب، لأنّ حاجته إلى كثرة المداد في الصّحيفة الرّخوة أكثر من حاجته إليه في الصّلبة[7].

وقد نقل لنا القلقشندي بالتفصيل كيفية براية القلم، فقد ذكر أنّ البري يكون من جهة نبات

---

[1]-الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص41.

[2]-النويري، نهاية الإرب، ج7، ص21. القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص480.

[3]-ابن مقلة: هو محمد بن علي بن الحسين أبو علي الوزير، من الشعراء والأدباء، يضرب بحسن خطّه المثل، استوزره المقتدر العباسي سنة 316، ثم القاهر والراضي وقتله هذا الأخير سنة 328. الزركلي، الأعلام، ج6، ص273.

[4]-القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص484.

[5]-المصدر نفسه، ص480.

[6]-النويري، مصدر سابق، ج7، ص22.

[7]-مصدر سابق، ج2، ص484

القصبة، ويمسك السّكين، باليد اليمنى والأنبوبة باليسرى، ويضع إبهام اليمنى على قفا السّكين، ثم يعتمد على الأنبوبة اعتمادا رفيقا، وينزل السكين مستويا، ثم يميل القطع إلى مايلي رأس القلم، ثم ينحت القلم من الحواشي والبطن، ثم يشق القلم حتّى لا يكثر الاستمداد، ولا يميل المداد إلى أحد الجنبين[1].

ومن خلال كل هذه التّفاصيل يتّضح جليا اهتمام الأوّلين بالأقلام، والكتابة عموما، فالقلم كما ذكرنا عليه مدار الكتابة، وصناعته مفخرة، يقول الدكتور عبد الحميد جيدة: إنّ بري الأقلام «صنعة سريّة يحتكرها صاحبها حتى لا ينافسه أحد بها، إنّها صنعة فنيّة تدخل في صلب مهنة الكتابة لأنّها تحقّق الجمال الفنّي للخط»[2]، لذلك كان مما يذم به الكاتب عدم إجادته للبري، كما قال الشاعر:

دخيل في الكتابة ليس منها فما يدري دبيرا من قبيل
إذا ما رام للأنبوب بريا تنكّب عاجزًا قصد السّبيل[3]

3-1-2-أنواع الأقلام المستخدمة في العصر الأموي

إن الصّعوبة الأساسية التي يواجهها الدّارس لهذا الموضوع –أنواع الأقلام–هي أنّ إيراد المصادر له كان مجملا، حيث يرد ذكرالأقلام وأنواعها دون تحديد لفترة ظهوره واستعماله، ولا تكاد تجد إلاّ القليل النّادر من الإشارات التي توحي باستعماله في زمن معيّن، وانطلاقا من هذه الإشارات والقرائن نحدد أنواع الأقلام التي كانت مستعملة في العهد الأموي.

ويعدّ قطبة المحرّر[4] الأموي أوّل شخص أبدع في الخطّ العربي وطوّره، وابتدع أقلاما هي الجليل والطّومار والثّلث والنّصف، وكان الخلفاء يكتبون رسائلهم بقلم الطّومار[5] الكوفي وهو قلم مبسوط ليس فيه استدارة[6]، وقيل أنّ قلم الثلث لم يظهر إلا في العصر العباسي مع ابن مقلة[1]، وكذلك

---

[1]–المصدر نفسه، ص487-490.

[2]–صناعة الكتابة، ص76.

[3]–الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج1، ص114.

[4]–قطبة المحرّر أول كاتب في أيام بني أمية، وهو اشتق الأقلام الأربعة المذكورة، بعضها من بعض، وكان اكتب الناس في عصره بالعربية، توفي سنة 154هـ. ابن النديم، الفهرست، ص18.

[5]–الطومار أو الطامور هو الصحيفة. لسان العرب، مادة طمر، ج3، ص469.

[6]–يحي وهيب، الخط والكتابة، ص98. أيمن فؤاد سيّد، الكتاب العربي المخطوط، ج1، ص52.

خط التّوقيع[2].

ونشير إلى أنّ الأساس في تحديد نوع القلم، واختلاف الأقلام هو رأس القلم، وأعظم الأقلام وأجلّها وأكثرها مساحة في العرض هو قلم الطومار، وهو قلم كانت تعلّم به المكاتبات وغيرها، ويستعمل من الجريد الأخضر أو القصب الفارسي، وتكون فيه ثلاثة شقوق لتسهيل الكتابة به ويجري المداد فيه، ومساحة عرض الطومار أربعة وعشرون شعرة من شعرات البرذون[3]، وهو أصل لما دوّن من الأقلام، فقلم الثلثين مثلا مقدر بستة عشر شعرة، أي ثلثي قلم الطومار، وقلم النصف اثنا عشر شعرة، والثلث ثمان شعرات[4]، فإلى قلم الطومار تنسب الأقلام كلها في المساحة[5].

والطومار في الأصل هو الكامل من مقادير قطع الورق، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه، وبه كتب الخلفاء الأمويون علاماتهم[6]، فقد حكي أنّه أُتي لعمر بن عبد العزيز بطومار ليكتب فيه، فامتنع وقال فيه ضياع للورق، وهو من بيت المال، وبالضرورة لا يكتب في الطّومار، إلاّ بقلم الطومار، وهذا دليل أنّه موجود حتّى قبل هذه الفترة، ويرى القلقشندي أنّه من الأمور التي رتّبها معاوية بن أبي سفيان، فهو أول من قدّر أمور الخلافة، ورتّب أحوال الملك[7].

ولكن يبدو أنّ الذي قدّر الأقلام على الأرجح هو الوليد بن عبد الملك[8].

وبخلاف القلقشندي يذكر ابن النّديم أنّ أعظم الأقلام قلم الجليل، فلا يقوى عليه أحد إلاّ بالتعليم الشّديد، به يكتب عن الخلفاء إلى ملوك الأرض في الطّوامير الصّحاح، ويخرج من الجليل قلمان: السجلاّت والدّيباج، وقلم السجلات الأوسط يخرج منه قلمان، وكذلك قلم الدّيباج يخرج منه قلم الطّومار الكبير، ثمّ تتفرع الأقلام إلى حوالي أربعة وعشرين قلما فيما بعد مخرجها كلها في

---

(1)-يحي وهيب، الخط والكتابة، ص130.

(2)-المرجع نفسه، ص152.

(3)-البرذون يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، وهو عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل عظيم الحوافر، وجمعه براذين. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص48.

(4)-القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص294.

(5)-المصدر نفسه، ج3، ص51.

(6)-المصدر نفسه، ص54.

(7)-المصدر نفسه، ص54. عبد الحميد جيدة، مرجع سابق، ص68.

(8)-الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص29. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص296.

الأصل من أربعة أقلام: قلم الجليل والطّومار الكبير وقلم النّصف الثّقيل وقلم الثّلث الكبير، ومخرج هذه الأربعة أقلام قلم الجليل، وهو أبو الأقلام على حدّ تعبير ابن النّديم[1].

وبالنّظر إلى كلام ابن النّديم يتبين أنّ قلم الجليل غير قلم الطّومار، وإنّ الجليل كانت حروفه أعظم، فقد روى أنّ ابن حكيمه أحد كتاب المصاحف في عهد علي بن أبي طالب كان يكتب فمرّ به علي وقال له أجلل قلمك[2]، فقصم من قلمه قصمة فقال علي: «هكذا نوّره كما نوره الله»[3].

وعرف أيضا قلم الثلث والرّقاع، وكان يكتب به على الرّقاع وهي الورقة الصّغيرة التي يكتب فيها المكاتبات اللّطيفة والقصص وغيرها، [4].

3-2-أوراق الكتابة وأنواعها:

قبل الحديث عن أوراق الكتابة في العهد الأموي نشير إلى أنّ الهنود كانوا يكتبون في خرق الحرير الأبيض، وكتب الفرس في اللّخاف والنّحاس والحديد، وفي عسب النّخل وعظم الأكتاف، وكتب الصينيّون في الورق، ويصنع من الحشيش وعنهم أخذت صناعته[5]، وهذه الأدوات الأخيرة غير الورق كتب عليها القرآن في بداية الأمر[6]، ولم تعرف صناعة الورق حتّى العصر العبّاسي[7].

أما الكتابة على العظام فقد كانت معروفة في العهد النبوي والراشدي كما ذكرنا، واستمرت في العهد الأموي، وكان يكتب عليها عند الضّرورة، وكتب عليها الشّعراء شعرهم[8]، بيد أنّ الخلفاء لم يعرفوا استعمالها لتوفر البردي والرّقوق، فقد عرف العصر الأموي الكتابة على هاتين المادتين كما

---

(1)-مصدر سابق، ص18، 19.

(2)-الجليل هو العظيم. ابن منظور، مصدر سابق، مادة جلل، ج6، ص225.

(3)-العقد الفريد، ج4، ص196.

(4)-القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص116.

(5)-المصدر نفسه، ج2 ص515.

(6)-المصدر نفسه، ص515. الكتّابي، نظام الحكومة النبوية، ج2، ص168.

(7)-القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص515.

(8)-يحي وهيب، الصحف والقراطيس، ص61.

عرف الكتابة على الزّجاج والنّحاس والخزف والنّسيج[1].

وعرفت بلاد الشّام في العصر الأموي الكتابة على الحجارة أيضا، فهناك مجموعة من النّقوش الحجرية وصلتنا من العصر الأموي، ولا يرقي الشّك إلى نسبتها للعصر الأموي وأهم هذه النّقوش نقش سدّ معاوية[2]، وجد بالحجاز على سدّ بناه معاوية سنة 58هـ، وهو قد أقدم ما وصلنا من الكتابات العربية على الحجارة[3] ونصّه: «هذا السّد لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، بناه عبد الله بن صخر، بإذن الله لسنة ثمان وخمسين، اللهمّ اغفر لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، وثبّته وانصره، ومتّع أمير المؤمنين به، كتب عمرو بن حبحاب»[4].

وكان هذا النّص مكتوبا بالخطّ الكوفي اليابس[5]، وكل جملة منه في سطر منفرد.

وعرف العهد الأموي أيضا الكتابة على القباطي –نسبة إلى أقباط مصر، وكانت الكتابة عليها نادرة– والقباطي قديمة دخلت الجزيرة منذ العصر الجاهلي، وهي ثياب كتّان رقاق تعمل بمصر وكانت بيضاء استعملت في الكتابة[6]، وتعرف أيضا باسم المهارق[7].

ولعلّ من أهم ما كتب عليه في العهد الأموي البرديات وتعرف أيضا باسم القراطيس وهي كلمة يونانية Chrtes، ومعناها ما يكتب فيه[8]، وقد شاع استخدام القرطاس أو البردي في العصر الأموي، وأصبحت أكثر مكاتبات الأمويين عليه، فكان مفضّلا عند معاوية[9]، وتكتب عليه دواوين الشّام وكتب الخلفاء[10].

ويذكر البلاذري في هذا أنّ دواوين الشّام كانت في قراطيس، وكذلك الكتب إلى ملوك بني

---

(1)–يحي وهيب، الخط والكتابة، ص79.

(2)–انظر: الملحق رقم 4.

(3)–يحي وهيب، الخط والكتابة، ص79. عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص44.

(4)–يحي وهيب: الخط والكتابة، ص79.

(5)–عبد الحميد جيدة، المرجع السابق، ص44.

(6)–يحي وهيب، الصحف والقراطيس، ص62.

(7)–المرجع نفسه، ص61.

(8)–المرجع نفسه، ص71، 86.

(9)–بخلاف النّحاس الذي يذكر أنّ أوّل من عملت له القراطيس هو الوليد بن عبد الملك. انظر: عمدة الكتاب، ص454.

(10)–يحي وهيب، الصحف والقراطيس، ص71.

أمية في حمل المال وغيره[1]، وقد ظلّ البردي مسيطرا زمنا من العصور الوسطى[2]، لتميّزه بالمتانة وخفّة الوزن والسّعة، حيث يصل طوله إلى مترين، وبذلك يمكن أن تكتب عليه مدوّنات طويلة، وكتبٌ بالمعنى المفهوم حاليّا[3]، لذلك كان رائجا في الكتابة قبل اكتشاف الكاغد، ويذكر الدّكتور السّامرائي أنّ مصر كانت أهم مركز لصناعته وتصديره، وقد عرف منذ ما قبل الميلاد، وكان يصنع من سيقان نبته تنمو في مستنقعات دلتا النّيل، وتصنع منها صحائف مقياسها بين 25 و30سم.

وإذا كانت القراطيس والصّحف التي كتب فيها المصحف تعني ورق البردي، كما كرنا فإنّ صناعته عرفت بالمدينة قبل مصر، لأنّ لفظة قرطاس وردت في القرآن، إلاّ إذا كانت تعني غير البردي، ممّا يكتب فيه، ومع هذا فإنّ مصر كانت المصدر الأوّل للبرديّات، وكتب عليها الخلفاء، وقد عثر على برديّات عليها آيات قرآنية تعود إلى عهد الحجّاج[4].

وقد عرف البردي في مصر قبل الإسلام، ولما جاء المسلمون أدخلوا على صناعته بعض التّحسينات خاصّة فيما يتعلّق بصناعة المادة اللاّصقة، وكانت أطوال البردي المصري 20سم والعرض بين 30 و50سم، وكانت الكتابة تتمّ على وجه واحد، وقليلا ما يكتب على الوجهين[5].

ويتّضح من خلال الرّوايات أنّ أحجام القراطيس لم تكن واحدة، فقد روى الصّولي أنّ الأئمة يكتبون في الثّلثين من الطّومار وكذلك يكتب عمّالهم إليهم، ويتكاتب الأكفاء في الأثلات والأرباع[6]. وروي أنّ عمر بن عبد العزيز أخذ قرطاسا قدر شبر أو أربع أصابع، فكتب فيه حاجة له[7]، وهذه القطع الصغيرة تعرف بالقصّة، وأطلقت أيضا على المظالم التي ترفع إلى الولاّة مجازًا، وإنّما هي رقعة صغيرة يكتب فيها، وتتّسم غالبا بالإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض[8].

ونشير هنا إلى أنّ صناعة البردي انتشرت بشكل كبير، فأصبح العامة يكتبون عليه كتبهم

---

(1)-فتوح البلدان، ص651.

(2)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص276.

(3)-صالح أحمد العلي، التدوين وظهور الكتب المصنفة، مجلة المجمع العلمي العراقي، نيسان، 1980، ج31-2، ص5.

(4)-السامرائي، علم الاكتناه، ص225، 232.

(5)-ناهد حمدي، المرجع السابق، ص278، 279.

(6)-أدب الكاتب، ص152، 153.

(7)-طبقات ابن سعد، ج5، ص377. يحي وهيب: الصحف والقراطيس، ص71.

(8)-ناهد حمدي، مرجع سابق، ص256.

ومراسلاتهم[1].

هذا عن البرديات التي كتب عليها في العهد الأموي، ورغم انتشارها وتوفّرها –كما ذكرنا– كانت أهم وسيلة كتب عليها هي الرّقوق، وقد عرف استعمالها قبل الميلاد بقليل، وسيطرت في العصور الوسطى[2]، فكانت الأكثر شيوعا، وقد كتبت العرب على الرّق المصاحف والمؤلفات في العصر الأموي، وحتى العباسي، والرّق عبارة عن جلد يرقّق ويكتب فيه، ويطلق علي أيضا اسم الأديم، وهو الجلد الأحمر المدبوغ[3].

وكانت دواوين بني أمية ورسائلهم تكتب على الرقوق، وهي المادة الأساسية التي استخدمت لفترة طويلة حتى بدأ البردي أو القرطاس[4].

أمّا إنتاج الرقوق فقد اشتهرت به بلاد فارس ومنها كانت ترد إلى العراق، ولذلك يبدو أنّ صناعة الرقوق ودباغتها قد نشأت في العراق والكوفة خاصة، فقد كانت رقوق هذه الأخيرة أجود من غيرها[5].

وكان الرّق يصنع من جلود الحيوانات كالماعز والخراف والعجول والغزلان، ولا تستعمل الدّباغة في هذه الجلود، ولكن تغمر قبل جفافها في ماء الجير حتّى تسهل إزالة الشّعر والشّحم واللّحم العالق بها، ثمّ يبسط الجلد بعد غسله من ماء الجير داخل إطار من الخشب أو المعدن، وتشدّ جوانبه بقوة في هذا الإطار، وينزع الشعر واللّحم والشحم بسكين[6].

وتعتمد جودة الرّق على نوع الحيوان وعمره، فكلّما كان الحيوان أقلّ عمرًا كان الرّق أجود[7]، أما الورق والكاغد فالظاهر أنّ العصر الأموي عرف الكتابة على الكتّان المسمّى بالخرساني[8]،

---

[1]–يحي وهيب، الصحف والقراطيس، ص72.

[2]–ناهد حمدي، مرجع سابق، ص276.

[3]–يحي وهيب، الصحف والقراطيس، ص63، 64.

[4]–المرجع نفسه، ص65.

[5]–المرجع نفسه، ص67.

[6]–السامرائي، مرجع سابق، ص 235–237. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص280، 281.

[7]–السامرائي، مرجع سابق، ص238.

[8]–ابن النديم، الفهرست، ص36. عبد الحميد جيدة، مرجع سابق، ص67.

ويذكر أن الشام أخذت في صنع الورق الخرساني في طرابلس ودمشق وحماه قبل بني أمية[1].

ويذكر الكتّاني أنّ الكاغد اتّخذ من القطن سنة 80 واتخذه موسى بن نصير من الكتّان، ويذكر أنّ مصاحف عثمان كانت من الكاغد[2].

أمّا الكاغد والورق بالمفهوم الحالي فلم يعرف إلاّ في العهد العباسي، وإنما كان قبله يكتب على الجلود والكتان –كما ذكرنا– وهذه تختلف عن الورق الذي ظهر فيما بعد، وانتشرت صناعته، واحتيج إليه لكثرة التأليف، وهو ما ذكره ابن خلدون حين يقول: «أما صناعة الكاغد واستعماله فلم يعرف إلاّ في الدولة العباسية، حين كثرت التآليف والرسائل فضاق الرّق»[3].

ومع ذكر الأدوات التي كُتب عليها يجدر بنا ذكر السّجلاّت، والتي كانت معروفة هي الأخرى في دواوين بني أميّة، والسّجلّ أو الكتاب هنا يقصد به الدّفتر وهو مجموعة من الأوراق توضع بين لوحين[4]، وتلصق ببعضها، ويعرّفها الدكتور ناهد جمدي بأنّها صحائف مستطيلة «مقسمة إلى عدّة أنهر تطوى بشكل عمودي في منتصفها، بحيث يكون من السّهل أن تخاط عند موضع الثنية لتصبح دفترا»[5].

وكانت معظم السّجلات تدوّن بصفة موضوعية، أي تبويب الوثائق حسب الجهات الواردة منها، وتبويب وثائق كل ديوان على حدى، وأحيانا تبوّب حسب مضوعاتها، كوثائق بيع لوحدها أو الأوامر وغير ذلك، أو تدوين السجلات حسب الأماكن والبلدان التي صدرت منها، ثم يرمز للسّجلاّت إما بحروف كسجلّ "أ" مثلا، أو باسم كاتبها أو لون غلافها، وترقّم الوثائق والصّفحات، وترد فيها توقيعات الكاتب والشهود[6].

ويستدل السّامرائي على وجود نظام السّجلات والدّفاتر في العهد الأموي بما رواه الزّهري «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السّنن فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض عليها سلطان

---

(1)–محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، ص242.

(2)–مرجع سابق، ج2، ص167.

(3)–المقدمة، ص404.

(4)–النّحاس، عمدة الكتاب، ص455.

(5)–مرجع سابق، ص156.

(6)–المرجع نفسه، ص171،170.

دفترا»[1]، ثم يقول السّامرائي تأكيدا لذلك: «وهل يكون الدّفتر أوراقا متفرّقة دون تجليد أو رزم؟ !»[2].

ويبدو أنّ الدّفاتر هي نفسها ما كان يُعبّر عنه بلفظ كنّاش[3]، أو على الأقل مثله في الصّناعة، فالكناش كان معروفا في العد الأموي وكتب فيه الأطبّاء كطبيب مروان، ويطلق عليه أيضا اسم التذّكرة[4]، ومن الأدلة أيضا على وجود الكناش في العهد الأموي، هو ما يذكر من أنّ كتب أهرون القسّي ترجمت في عهد مروان (65/64هـ)، وكانت التّرجمة في أوراق على شكل كنّاش، وعثر عليها عمر بن عبد العزيز فأعاد ترتيبها[5]، ويطلق على الكنّاش أيضا اسم الكرّاسة، وقد كان نظام الكرّاسات معروفا عند اليونان والرّومان، وكانت تتألف من عدة رقوق تقطع على شكل مربّع، ثم تربط ببعضها لتشكلّ كرّاسة، وتغطّى بغطاء جلد أو خشب خفيف للحفاظ عليها، واسم الكرّاس هذا كان معروفا في القرن الأوّل الهجري[6]، ومن خلال صناعته يبدو أنّه نفسه ما كان يطلق عليه اسم الدفتر.

وحتّى صناعة الكتاب كانت معروفة في هذا العهد، وهناك إشارات إلى أنّ معاوية كان يقرأ عليه غلمانه سير الملوك، وأخبار الحروب من دفاتر، وذُكر أنّ زياد بن أبيه أوّل من ألّف كتابا في المثالب، وأنّ الوليد بن يزيد جمع ديوان العرب[7]، وهذه كلّها أدلّة على وجود صناعة الكتب والسّجلاّت، واستخدامها إبان العصر الأموي في الدّواوين وغيرها.

3-3-الدّواة والحبر:

إنّ من أهم الأدوات التي يستخدمها الكاتب ولا بدّ له منها الدّواة، وهي الوعاء الذي يوضع فيه الحبر، وتشتمل على ثلاثة أصناف كما يذكر القلقشندي: الجونة وهي الظّرف الذي فيه الليقة

---

(1)-السّامرائي، مرجع سابق، ص184.

(2)-المرجع نفسه، ص184.

(3)-يعرف الكنّاش بأنّه أوراق تجعل كالدفتر تقيّد فيها الفوائد والشوارد. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة كنش، ج9، ص189.

(4)-الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج2، ص184.

(5)-DM Dunlop, Arabic civilization AD 1500, P38.

(6)-السّامرائي، مرجع سابق، ص187.

(7)-المرجع نفسه، ص 341-343.

والحبر، والليقة المسمّاة بالكرسف، والمداد والحبر[1]. أما حجم الدّواة فيذكر الصّولي أنّ حكمها أن تكون متوسّطة في قدرها، لا بالصغيرة فتصغر أقلامها ولا بالكبيرة فيثقل حملها، لأن الكاتب مضطرّ أحيانا لحملها، ولا يكون بها ثقوب لكي لا تحمل القذى والدّنس، وأن لا تحمل رسما أو صورة لأنّ ذلك فعل أهل التوضع[2].

واختلف في شكلها بين المدوّرة والمربّعة، فكتاب الإنشاء يتّخذونها مستطيلة مدوّرة الرّأسين، وكتاب الأموال يتّخذونها مستطيلة مربّعة الزّوايا[3].

ومما يلحق بالدّواة الكرسف من صوف أو خرقة[4]، أو يكون قطنا يلصق بالمداد وهو الأكثر استعمالا[5]، ويتعيّن على الكاتب تجديد اللّيقة وتفقّدها مرارا[6]، لأنّ صلاحها من صلاح الخطّ، ويلحق بالدّواة أيضا الملواق وهو ما تلاق به الدّواة، أي تحرّك به اللّيقة، ويكون مستديرا مخروطا عريض الرّأس كما يذكر القلقشندي [7].

هذا عن الدّواة وتوابعها، أما ما يمكن قوله عن المداد والحبر، فأنّه عرف منذ عهد قديم يرجع إلى ما قبل التّاريخ، فقد استعمل الإنسان المواد الطبيعية الملوّنة، أمّا العهد الإسلامي فهناك إشكالية لا تستطيع الإجابة عليها —على حد قول السامرائي– هي أي نوع من المداد كان يستعمل في صدر الإسلام والعصر الأموي؟

ولمّا كانت معلوماتنا ولم تزل قاصرة حتّى عن معرفة مصدر المداد الذي استعمل في كتابة الرّسائل النبّوية والمصاحف، أو رسائل الخلفاء الرّاشدين، فإنّ الإجابة عن هذا السّؤال تبقى معلّقة في باب الحدس الآن على الأقل، فلعلّه كان يُصنع محليّا أو يستورد من الصّين والهند عبر اليمن أو الشّام، ويبدو أنّه كتب بالمداد الزّاجي Vitriol وهو ملح المعادن، أو المداد الذي يصنع من

---

(1)–صبح الأعشى، ج2، ص 498، 500.

(2)–أدب الكاتب، ص93. القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص471.

(3)–القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص471، 472.

(4)–الصولي، المصدر السابق، ص98.

(5)–المصدر نفسه، ص98. النّحاس، مصدر سابق، ص129.

(6)–القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص499.

(7)–المصدر نفسه، ص508.

الدّخّان المتراكم[1].

والمعلوم عبر مسار التاريخ الإسلامي أنّ ألوان الحبر متعددة، فقد استخدم اللون الأسود والأحمر الذي تكتب به الحسابات والتواريخ والأزرق والبنّي، وكذلك حبر الذهب[2]، وكان اللّون الأسود مفضلا لمضادته لون الصحيفة البيضاء[3].

3-4-المقلمة والسّكين وأدوات أخرى:

أمّا المقلمة فهي المكان الذي يوضع فيه الأقلام، سواء كان من نفس الدّواة أو أجنبيّا عنها، وقد لا تُعدّ المقلمة من الآلات، لكونها من جملة أجزاء الدّواة غالبا[4].

أما السّكين فهو حديد يقطع به[5] القلم ويحسّن رأسه إذا تآكل[6] وممّا يجب على الكاتب أن يستجيد سكينه، ويحدها ليسهل البري والقط[7] وقد يطلق على السّكين أيضا اسم المبراة[8] أو المقراض[9] أو المقط[10].

ومن الأدوات التي كانت تستخدم المسطرة وكانت تصنع من الخشب أو المعدن، وعرفها الورّاقون منذ القدم، فكانت إحدى آلات صنعتهم، وكانوا يسطّرون قبل الكتابة حتّى لا تعوجّ السّطور، واستعملت هذه الطريقة في كتابة المصاحف[11].

وكذلك استعملت المسحة، وهي عبارة عن خرق يمسح بها باطن القلم عند الفراغ من

---

(1)-السّامرائي، علم الإكتناه، ص333، 334.

(2)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص289،288.

(3)-النحاس، مصدر سابق، ص452.

(4)-القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص495.

(5)-النّحاس، مصدر سابق، ص123.

(6)-الصّولي، مصدر سابق، ص116.

(7)-الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص42. السّمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ج2، ص571. القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص495.

(8)-الصّولي، مصدر سابق، ص83.

(9)-الكلاعي، مصدر سابق، ص43.

(10)-صبح الأعشى، ج2، ص510.

(11)-السّامرائي، مرجع سابق، ص175.

الكتابة لئلاّ يجفّ عليه الحبر فيفسد[1]، والمفرشة وهي آلة تتّخذ من خرق كتّان توضع تحت الأقلام في بطن الدّواة[2]، والمرفع ويستعمل لرفع الدّواة إذا عجز الكاتب عن الاستمداد من الدّواة على الأرض[3]، والمنفذ وهو آلة تشبه المخرز تتّخذ لخرم الورق وثقبه ويحتاجها كتّاب الدّواوين[4]، واستخدموا المسنّ ليُحدّ به السّكين[5]، والمرملة وتسمّى المتربة، وتكون كالدّواة يوضع فيها الرّمل أو التّراب الذي تترّب[6] به الكتب بعد الفراغ من كتابتها[7].

ومن الأدوات المساعدة في الكتابة أيضا، والتي استعان بها الكتّاب في العهد الأموي السّراج والشّمع، فيروى ابن عساكر أنّ عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يكتب في حوائج المسلمين أضاء السّراج، وكان يكتب إلى النّاس على الشمع ويكتب لنفسه على المصباح[8]، وهناك رواية يوردها ابن الجوزي وهي أنّ أحد أصحاب عمر بن عبد العزيز قال: «دخلت على عمر يوما وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهر، وهو ينظر في أمور المسلمين، قال فخرج الرّجل، فأطفئت الشّمعة وجيء بسراج إلى عمر فدنوت منه فنظر في أمري»[9].

كما استخدم الشمع أيضا لإلصاق الكتب بعد لفها والختم عليه[10].

4-الخطوط المستعملة وظهور الإعجام والشكل

4-1-الخطوط:

سبق الحديث عن الأقلام التي استخدمت في الكتابة إبّان العصر الأموي، والمعلوم أنّ اللغة العربية جليلة الحروف، متنوعة الخطوط، وفي ذلك يقول ابن النديم: «لا أعلم كتابة تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما يحتمل من الكتابة العربيّة، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من

---

(1)-القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص510.

(2)-المصدر نفسه، ص510.

(3)-الصّولي، مصدر سابق، ص111.

(4)-القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص510.

(5)-المصدر نفسه، ص508.

(6)-المصدر نفسه، ص508.

(7)-ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص97.

(8)-تاريخ دمشق، ج45، ص217.

(9)-صفة الصفّوة، ج1، ص404.

(10)-انظر: تقاليد الكتابة في هذا الفصل.

الكتابات»[1].

وتنوّع الخطوط وحسنها يرجع إلى أنّ العرب كانوا يعظّمون قدر الخطّ، ويعدّونه من أجلّ نافع، لذلك يروى أنّ الرجل من أسرى بدر يفادي بتعليم الخط «لما هو مستقرّ في نفوسهم من عظم خطره، وجلالة قدره، وظهور نفعه وأثره»[2].

وقد نقلت لنا المصادر كثيرا من الأحداث والأقوال تدلّ على اهتمام العرب بتحسين الخط وتزيينه، وليس هنا موضع ذكرها[3]، ولكن الذي يهمنا هو أنواع الخطوط المستعملة في العصر الأموي، وقبل الحديث عن هذا نشير إلى أنّ العرب لمّا فتحوا الأقطار واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعمل المسلمون الخطّ وطلبوا صناعته وتعلّمه، وتداوله، فتفرّقت الإجادة فيه وبلغ رقيّه[4].

وقد نال الخطّ العربي قسطا من التّجويد في بلاد الشّام والعراق أوّل الأمر، حيث فرغ العرب إلى تحسينه والابتداع فيه، بعد أن فتح الله عليهم كثيرا من الأنحاء، وغدت لهم عمارة وفنون، واحتاجوا إلى التّدوين، وما يقال عن العراق يمكن أن يقال مثله عن الشام، ولا شك في أنّ الأمويّين في الشّام قد أولوا الكتابة عناية فائقة فأضافوا إليها مبتكرات وتحسينات[5].

ومما أثر أيضا في تجويده قيام الدولة، وتفرغ النّاس لهذه المهنة، «أمّا قبل ذلك فإنّهم كانوا مشغلين بأمورهم المعاشية فلم يتطوّر»[6].

وممّا يدل على تقدّم ورقي الخطّ في العصر الأموي أنّه في الكتابات التي وصلتنا بدئ بمراعاة المسافات بين الكلمات والأسطر بشكل جيّد، وكذلك المسافة بين الحروف، مع الاهتمام بمنح كلّ حرف نصيبه المعقول من الطّول والقصر والدّقة والغلظ، وظهرت في الكتابة مدّات بعض الحروف

---

[1]-الفهرست، ص22.

[2]-الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص47.

[3]-انظر في ذلك: العقد الفريد، ج4، ص173. الصّولي، أدب الكتاب، ص32، 33. محاضرات الأدباء، ج1، ص96، 97.

[4]-صلاح حسين العبيدي، الخط العربي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع43، أكتوبر 2003، ص85.

[5]-إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، ص18.

[6]-وقد ربط ابن خلدون جودة الخطّ بتقدم العمران فيقول: «وخروجها –أي الكتابة– في الإنسان من القوة إلى الفعل، إنّما يكون بالتعليم، وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطّلب، لذلك تكون جودة الخط في المدينة، إذ هو في جملة الصنائع، وقد قدّمنا أنّ هذا شأنها وأنّها تابعة للعمران، ولهذا نجد أكثر البد وأميين لا يكتبون ولا يقرأون، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة». المقدمة، ص397.

أضافت إلى الكتابة حسنا وتفخيما[1].

ولننتقل الآن إلى الكلام عن أنواع الخطوط التي عرفت في العهد الأموي، فالمعلوم أنّ ما يسمّى بالخطّ الحجازي أو المدني والخط الكوفي كانا شائعين حين جاء الإسلام، وأوّل ما نقل الخط العربي من الكوفي إلى الأقلام المستعملة الجديدة كان في أواخر بني أمية، وزُعم أنّ علي بن مقلة هو من ابتدع ذلك، وهذا غلط –حسب رأي الدكتور السّامرائي- فنحن نجد الكتب بخطّ غير الكوفي قبل سنة 200هـ، وإن كان قريبا منه، وهذا ما توضّحه خطوط البرديّات التي وصلت من القرن الأوّل الهجري[2].

فالخطّ الكوفيّ والمدنيّ كانا معروفين إبّان العصر الأموي، ورجّح ابن خلدون أن يكون الخطّ الكوفيّ أجود الخطوط في العصر الأموي[3]، فقد نال عناية كبيرة عند أهل الشّام[4] ويذكر أنّه في أيّام بني أميّة تفرّع الكوفي إلى أربعة أقلام[5]، وهذا دليل أيضا على الاهتمام به وتطويره، فقد كان الخطّ المستعمل في كتابة المصاحف آنذاك، ويذكر ابن النّديم أنّ أوّل من كتب المصاحف في الصّدر الأوّل ويوصف بحسن الخطّ خالد بن أبي الهيجاء[6]، وكان يكتب المصاحف والشعر للوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتب في قبلة مسجد النّبي بالذهب من: والشّمس وضحاها إلى آخر القرآن، ويقال أنّ عمر بن عبد العزيز قال له أريد أن تكتب لي مصحفا على هذا المثال، فكتب له مصحفا تنوّق فيه، فأقبل عمر يُقبّله ويتحسّنه[7].

ونشير هنا أنّ المصاحف كتبت بالخطّ الكوفيّ اليابس[8]، فالمعلوم أن الخط الكوفي ينقسم إلى يابس –وهو من صور الخط النّبطي- وليّن ويسمّى خطّ الدّيونة، وممّا يدلّ على أنّ العرب عرفوا الخطّ الليّن أيضا البردية المصريّة التي تعود إلى سنة 22هـ. مكتوبة بالعربية واليونانية، وكانت هذه

---

(1)-يحي وهيب، الخط والكتابة، ص96.

(2)-علم الإكتناه، ص215، 216.

(3)-المقدمة، ص400.

(4)-إبراهيم جمعة، مرجع سابق، ص44.

(5)-جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ص60.

(6)-سيأتي ذكره في الفصل الثالث.

(7)-ابن النّديم، مصدر سابق، ص17.

(8)-صلاح حسين، مرجع سابق، ص89.

البرديّة جازمة بأنّ العرب عرفوا الخطّ الليّن وتراسلوا به[1].

وقد تطوّر الخط الكوفي اليابس في القرون الأولى وهو ما سمّاه الدّكتور غانم قدوري بالخطّ الكوفيّ البسيط، وقد استخدم في العديد من الأغراض غير كتابة المصاحف، كالكتابة في الدّواوين[2]. وقد وجدت نقوشات حجرية بالعراق وعليها كتابة عربيّة ترجع إلى العهد الأموي كانت مكتوبة بالخطّ الكوفيّ اليابس، وظهر هذا الخطّ على شواهد القبور، وفي النّصوص الرسميّة التي وضعها الخلفاء على العمارات والأبنية، فكان هذا الخطّ هو الغالب في الكتابات وبه أيضا كتب على النّقود[3].

وسبب ظهور الخطّ الليّن الحاجة إليه للسّرعة في الكتابة، وخاصة في المراسلات والعقود التي لا تتطلّب التّجويد، فتكون الحروف فيه مقورة تتصف بالتدوين، فهو الأنسب للسرعة في الكتابة، بخلاف اليابس الذي تكون الحروف فيه مبسوطة، تتصف بالتربيع والزوايا [4].

ومن الخطوط التي عرفت أيضا آنذاك خطّ النّسخ وهو الخطّ المدوّر، ومن أقلامه خط الثّلث ويسميّه بعضهم بالخطّ العربيّ، وقد ظهر هذا النّوع أواخر الدّولة الأموية[5]، ويذكر الدّكتور حسين عبد الرحيم بأنّ خطّ النّسخ كان معروفا من البدايات الأولى لاشتقاق الخطّ العربي من الخطّ النّبطي، وإنّما كان مستخدما في الكتابات اليوميّة العادية التي لها صفة السّرعة[6]، فاستعماله في القرون الأولى كان في مجالات مستترة ليس لها صفة الوضوح والعلانية[7]. وبخلاف هذا الرأي يرى الدّكتور يحي وهيب أنّ خطّ النّسخ لم يعرف إلاّ في العصر العباسي[8]، والذي يظهر أنه عرف منذ فترة متقدّمة للحاجة إلى السّرعة في الكتابة، وإنّما –كما قال الدّكتور حسين عبد الرّحيم– كان استعماله على نطاق ضيّق.

والخلاف نفسه يدور حول خطّ الثّلث فيذكر ابن النّديم أنّ ظهوره كان إبان العهد الأموي

---

(1)–إبراهيم جمعة، مصدر سابق، ص16–20.

(2)–الخط العربي– تطوّره وأنواعه، مجلة الحكمة، ع12، ص434.

(3)–يحي وهيب، الخطّ والكتابة، ص 81–84. حميد آدم ثويني، الأمالي في أصول الكتابة العربية، ص11.

(4)–يحي وهيب، الخطّ والكتابة، ص 96، 97. حميد آدم، مرجع سابق، ص45. غانم قدّوري، مرجع سابق، ص426.

(5)–صلاح حسين، مرجع سابق، ص93.

(6)–الكتابات الأثرية، ص137.

(7)–المرجع نفسه، ص208، 209.

(8)–الخط والكتابة، ص137.

وعلى يد قطبة المحرّر بالتحديد[1]، وبخلاف ذلك يذكر الدّكتور يحيى وهيب أنّ ظهوره كان على يد ابن مقلة العبّاسي[2].

وعرف أيضا خطّ الطّومار[3] وخطّ الجليل[4]، والظاهر أنّهما خط واحد، وإنما سمي الجليل جليلا لعظم حروفه وجلالته، وسمي الطومار طومارًا نسبة إلى صحيفة الطّومار الذي يكتب عليها، ويذكر الجهشياري وغيره أنّ الوليد بن عبد الملك أوّل من كتب على الطّوامير وأمر أن يجلّل الخطّ فيها[5] فخط الجليل هو الذي كتب به على الطوامير فيتضح من ذلك أن خط الجليل أطلق على خط الطّومار، ويعد هذا الأخير من أنواع خطّ النّسخ، ويتميز –كما ذكرنا– بضخامة حجم الحروف ووضوحها واستخدم هذا الخطّ في ديوان الإنشاء لدى الخلفاء، وتقدر مساحته بأربع وعشرين شعرة من شعر حيوان البرذون[6]، وكان الوليد بن عبد الملك كما أسلفنا أوّل من كتب من الخلفاء على الطّوامير، وعظّم الكتب وجلّل الخطّ وقال لتظهر كتبي عن كتب غيري[7]. فكان بذلك للسلطة أثر في تطوير الخط وتحسينه.

وعرف أيضا خطّ الطومار وبه كان يكتب الخلفاء علاماتهم على المكاتبات والولايات[8]، وهذه –حسب إطلاعي– هي الخطوط التي كانت معروفة في العصر الأموي، وغيرها كانت متأخرة الظهور، هذا ونشير إلى أنّ الخطوط التي ذكرناها في العهد الأموي قد تختلف تسميتها، فمثلا يرد اسم خط المشق وهو خط النسخ المذكور، وخطّ المحقق والمقصود به خط اليابس[9].

ومما ينبغي ذكره في الأخير أنّ شكل الخطّ يختلف حسب نوعية استخدامه، فالخط الذي يكتب به مراسلة الملوك والسّلاطين والخلفاء يختلف عن غيره الذي يستخدم في الكتابات العامّة في

---

(1)–الفهرست، ص18.

(2)–الخط والكتابة، ص130.

(3)–الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص29. صبح الأعشى، ج3، ص81. صلاح حسين، مرجع سابق، ص94.

(4)–القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص16.

(5)–مصدر سابق، ص29. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص269.

(6)–صلاح حسين، مرجع سابق، ص94.

(7)–الجهشياري، مصدر سابق، ص29. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص269.

(8)–القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص51.

(9)–يصف أيمن فؤاد سيّد خط المشق وخطّ المحقّق، ومن خلال هذا الوصف يتبين أنهما خط النّسخ واليابس اللذين وصفناهما سابقا، وعلى هذا حكمنا بأنّها خطوط واحدة. انظر: الكتاب العربي المخطوط، ص51.

الحياة اليوميّة[1]، ويوضّح القلقشندي ذلك بقوله أنّ ما صحّت أشكاله وحروفه يستعمل في الكتب الجسيمة كالعهود ومكاتبات الملوك الدّالة على قدر المكتوب عنه وإليه، أمّا المطلق وهو ما تداخلت حروفه فيستعمل في الأمور العامّة، والمكاتبات المستعجلة[2]، ويضيف ابن درستويه: «وأعلم أنّ لكلّ ضرب من الكتب ضرباً من التّقدير في الخطّ، وقد كان التّقدير في كتب الرّسائل خاصة أن تنبذ حروفها فتجعل متفرّقة، ويقارب بين سطورها، فتكون متدانية، وكان التّقدير في السّجلاّت على ضدّ ذلك من الجمع بين الحروف، والمباعدة بين السّطور»[3].

ويستقبح في الكتب أن يكون هناك خطان مختلفان، وهو بذلك أشبه باختلاف أعاريض الشعر[4].

4-2-الإعجام والشّكل:

المعلوم أنّ الإعجام أو النّقط «زيادة تلحق الحرف فرقا بينه وبين غيره، كما يزاد على الكلمة فرقا بينها وبين غيرها، ولذلك أجمعوا على إغفال ما لا نظير له من الحروف من النّقط والرقم وذلك الألف واللاّم والواو والهاء والكاف، لأنّ عدم نظرائها، وتفرّدها بصورتها قد أغنى عن ذلك»[5].

وعرّف النّقط أيضا بأنه: « تلك العلامات الصّغيرة التي توضع في العادة فوق الحروف المتشابهة في الرّسم أو تحتها لتمييزها عن بعضها، ومن ثمّ إزالة اللّبس والغموض عنها»[6].

أمّا الشّكل فهو التقيّد بالإعراب[7]، ويعرف بأنّه: «زيادة تلحق الحروف للحاجة إليها وهو على ضربين: ضرب هو صور الحركات والسّكون اللّذين تعرف بهما الحروف وتبيّن كما كان المعجم صورا للحروف، وضرب هو زيادة يؤتى بها مع الحرف للفروق كما كان النّقط كذلك»[8].

---

(1)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص291.

(2)- مصدر سابق، ج3، ص27.

(3)-كتاب الكتاب، ص76.

(4)-الصولي، أدب الكاتب، ص48.

(5)-ابن درستويه، مصدر سابق، ص54،53.

(6)-ابن منظور: لسان العرب، مادة نقط، ج4، ص823. صلاح حسين: الخط العربي، ص87.

(7)-ابن منظور، المصدر السابق، مادة شكل، ج6، ص448.

(8)-ابن درستويه، مصدر سابق، ص57.

وأغلب العلماء قالوا بأنّ أبا الأسود[1]، هو من وضع الإعجام والشكل، وقد أخذه عن علي بن أبي طالب، وقيل في سبب وضعه أنّ زيادا طلب منه أن يعمل للنّاس شيئا يفهمون ويعرفون به كتاب الله، فرفض ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: إنّ الله برئ من المشركين ورسولِه بالكسر، فقال: ما ظننت أنّ أمر النّاس قد آل إلى هذا، ورجع إلى زياد وطلب منه كاتبا لقنا، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي بالحرف فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[2].

وبهذا حقق أبو الأسود خدمة كبيرة للغة العربية وحفظها من الهجنة وتحريف غير العرب، فهناك سبب آخر يورده ابن النديم، وهو أن أبا الأسود سمع مولى من الموالي يقول إن فرسي ضالع يقصد ضالعًا، فضحك أبو الأسود وقال: «هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو علّمنا لهم الكلام»[3].

وقيل إن ابنة أبي الأسود لحنت في الكلام فأخبر عليّا بذلك، فأعطاه أصولا بني منها وعمل عليها بعد ذلك[4].

ومهما اختلفت الأسباب والروايات فكلّها تذكر أنّ أبا الأسود هو البادئ بوضع الإعجام والنّحو، وعلى هذا لم تعرف الكتابة العربية إعجاما قبل عصر بني أميّة، وهذا ما أكّد عليه الدكتور عبد الستّار الحلوجي، وقد شكّك في الوثيقة البرديّة التي ترجع إلى سنة 22هـ أي عهد عمر بن الخطّاب، والتي كتبت بالعربية واليونانية، ويقال أنّ بعض حروفها منقوط، فيقول الدكتور: «ولكنّنا ينبغي أن ننظر إلى تلك البردية باحتياط شديد، فليس يعقل مثلا أن يكون ما بقي لنا من الآثار الأولى المكتوبة على البردي والورق لا يعدو جذا ذات صَغيرة متآكلة، وأن تكون أقدم هذه الآثار جميعا بردية صحيحة سليمة لم تمسسْها يدُ الدّهر، ولم تعبث بها الأيّام، وفضلا عن ذلك فإنّ المتأمّل لأنسجة البردية وألِيافها يكشف تزييفها، وبعدها أن تكون من آثار القرن الأوّل الهجري، ومن ثمّ

---

[1]–ابو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، أحد سادات التّابعين المحدثين الفقهاء، ومن الشعراء الدّهاة، أوّل من وضع العربية ونقط المصحف على قول الأكثر، مات بالطاعون سنة 67هـ. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص433-436

[2]–ابن النديم: مصدر سابق، ص61، 62. ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص96، 97. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص278.

[3]–مصدر سابق، ص62.

[4]–ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص60. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص537. الذهبي، سير أعلام، ج4، ص83.

ينبغي أن لا تؤخذ تلك البرديّة دليلا على وجود النّقط في ذلك التّاريخ البعيد»[1].

وبغض النّظر عن هذا الخلاف نقول إنّ النّقط والشكل في العربية أثر من آثار الإسلام فيها، فاللّغة العربية لم تكن منقوطة في الجاهليّة ولا مشكولة، لعدم الحاجة، فقد كانت لهم ملكة اللّغة، ويتحكمون في زمامها، غير أنّه لمّا اختلط الأمر على العرب لاحتكاكهم بالعجم، ظهر جيل جديد فشى اللّحن في كلامه فوضع أبو الأسود النّحو سنة 67هـ، واستعان بعلامات السّريان التي كانت معروفة للدّلالة على الرّفع والنّصب والجرّ[2].

فكان بذلك لأبي الأسود فضل كبير ودور بارز في الحفاظ على سلامة اللّغة العربية والقرآن، ولا ريب أنّ لعبد الملك والحجّاج أيضا دور عظيم في الإشراف على نقط القرآن خاصة، ولم يتركز حرص الحجّاج على التّنقيط والإعجام فحسب، بل قسّم القرآن إلى أرباع وأثلاث وأسباع حسب عدد الحروف[3].

فقد بقي النّاس يقرؤون بمصحف عثمان حتى أيّام عبد الملك، ثم كثر التّصحيف بالعراق خاصّة، فأمر الحجاج كتابه بوضع علامات، فوضع نصر بن عاصم[4] النّقط إفرادًا وأزواجا، وكان مع النّقط يقع التّصحيف، فأحدث الشّكل[5].

وقيل أوّل من نقط المصاحف هو يحي بن يعمر[6]، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وأخذ ذلك عن أبي الأسود[7].

ونشير هنا إلى أنّ طريقة أبي الأسود في الإعجام لم تشتهر إلاّ في المصاحف، حرصا على إعراب القرآن، أمّا الكتب العاديّة، فكان شكلها نادرا، لأن المكتوب إليهم كانوا يعدّون ذلك تجهيلا

---

[1]-المخطوط العربي، ص84.

[2]-إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، ص38.

[3]-شحاذة النّاطور، تحديد الدّولة الأمويّة، ص270.

[4]-هو نصر بن عاصم اللّيثي من أوائل واضعي النّحو، كان فقيها عالما بالعربية، وله كتاب فيها، وقيل إنه أوّل من نقط المصاحف، توفّي بالبصرة سنة 83هـ. الزركلي، الأعلام، ج8، ص24.

[5]-ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص32.

[6]-هي يحي بن يعمر الوشقي العدواني أبو سليمان، كان من علماء التّابعين بالبصرة، أخذ اللّغة عن أبيه وعن أبي الأسود، وكتب الرسائل ليزيد بن المهلب، وولي قضاء مرو من طرف قتيبة بن مسلم، توفي سنة 129هـ. ابن سعد، الطبقات، ج7، ص368. الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص177.

[7]-الذهبي، سير أعلام، ج4، ص442.

لهم[1]، ثم شاعت بعد ذلك خاصة مع عاصم ويحي بن يعمر[2].

وعلى هذا يلاحظ أنّ وضع أبي الأسود للإعجام كان أوّل إصلاح للعربية، ثمّ تلاه إصلاح ثاني في عهد عبد الملك، حين وضع الحجّاج النّقط في المصاحف، وجعلها جزءا من الحرف، ونقط الحروف بنفس مداد الكلمات، ثمّ كانت مرحلة ثالثة من الإصلاح على يد نصر بن عاصم ويحي بن يعمر، إذ كتبا الشكل والنّقط بلون غير لون المداد الذي كتبت به الحروف خوفا من الاختلاف[3]، ثم جاء بعدهم في مرحلة متأخّرة الخليل بن أحمد[4]، فوضع الهمز والتّشديد[5].

فالأشكال المأخوذة من صور الحروف هي من عمل الخليل[6]، والذي نعلمه من طريقة أبي الأسود أنّه جعل الإعجام والشكل بلون مختلف عن لون المداد الذي تكتب به الحروف[7]، وكان وضعه للحركات كالآتي: رمز الضم يرسم أمام الحرف أو بين يديه، ورمز الكسر تحت الحرف ورمز الفتح فوقه[8].

وبالنّظر إلى صور الحركات الأولى ومواضعها يرى الدكتور رمزي بعلبكّي أنّها مقتبسة من السريان فيقول: «إننا لا نستطيع أن نستبعد استبعادا كلّيا احتمال أن تكون أشكال الحركات في العربية –أو ربمّا مواضعها بالنسبة إلى الحرف– مأخوذة من مصدر آخر، ومن السّريانيّة بالتّحديد»[9].

وخلافا لهذا الرّأي يستبعد السّامرّائي أن يكون الإعجام مقتبسا من السّريانية، لأنّ السّريانية كما يذكر، لا تعرف إلا وضع بعض النّقاط تحت الحرف إن كان ليّنا، وفوقه إن كان قاسيا، والظاهر

---

(1)–أيمن فؤاد سيّد، مرجع سابق، ص53.

(2)–عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص49.

(3)–إبراهيم جمعة، مرجع سابق، ص40. هاني العمد، أدب الكتابة، ص10. حميد آدم، الأمالي، ص12.

(4)–هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهدي، من أئمة اللّغة وواضع علم العروض، ولد ومات بالبصرة، له كتاب العين في اللّغة وكتاب العروض والنّقط والشكل، اصطدم بسارية المسجد وهو غافل فمات سبب ذلك، سنة 170هـ. الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص314.

(5)–القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص154.

(6)–النحاس، عمدة الكتاب، ص196، 197.

(7)–رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ص360.

(8)–المرجع نفسه، ص362.

(9)–المرجع نفسه، ص361.

أنّ السرّيان كانوا يجهلون نظام الإعجام[1].

ويعضّد السّامرائي رأيه بالبردية المؤرخة سنة 22هـ فهي تؤكّد أنّ نظام التّنقيط العربي لم يكن تقليدا للسّرياني[2]، وهذه البرديّة كنّا ذكرنا أنّ الدكتور عبد السّتّار الحلوجي قد حكم بتزييفها، وفي هذا يقول السّامرّائي: «وقد حكم بعض الباحثين على أنّ الوثيقة المكتوبة سنة 22هـ مزوّرة، لأنّ الباحث الفاضل أعوزته الأدلّة على تزييفها فلجأ إلى ما يقنع به نفسه؟ !»[3].

ولكننا إذا أخذنا برأي السّامرائي في البردية نردّ قولنا بأنّ الإعجام ظهر مع أبي الأسود، وهذا مخالف لما أجمعت عليه المصادر.

ونشير في آخر كلامنا أنّ النّحويّين كانوا أكثر استعمالا للشّكل والنّقط، بخلاف كتّاب الدّواوين الذين من شأنهم التّخفيف، وإغفال الشّكل في كل ما وضح ولم يلتبس[4]، وفي استحسان الشكل والإعجام واستهجانه يقول الدكتور إبراهيم جمعة: «...أما إن الشكل والإعجام يظلم اللّغة العربية، فأمر يتوقّف على مقدار جودة الكتابة، ومقدار الملاءمة بين النّقطات والشّكلات، ومواضعها الطّبيعية، فإذا ما وضعت النّقطة في مكانها أبانت وأزالت لبسا، وعصمت من وقوع تصحيف، وإذا اكتفى من الشكل بالقدر الضروري لسلامة القراءة، كان العجم داعيا إلى إشراق المعنى في الأذهان»[5].

فالشّكل والإعجام يمنع اللّبس، ويبلغ القصد، ولا تزال تستعمل رموز الأوّلين في زماننا، وهنا يتجلّى أنّ الكتّاب المتقدّمين كان لهم عظيم الأثر في زمانهم وزماننا، فتراثهم لا يزال ساري المفعول في المجتمع حتى اليوم، «ولا نزال نكتب لغتنا في القرن الخامس عشر الهجري برموز القرنين الأول والثاني لا لشيء إلاّ لأننا درجنا على اعتبار تلك الرّموز تراث الأوّلين الذي لا تمسّه يد الآخرين»[6].

5-القواعد والأساليب المتّبعة في الكتابة والمراسلات:

---

[1]-علم الاكتناه، ص196.

[2]-المرجع نفسه، ص196، 197.

[3]-المرجع نفسه، ص198.

[4]-ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص59. القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص157.

[5]-مرجع سابق، ص74.

[6]-المرجع نفسه، ص130.

5-1-الافتتاحات والدعاء:

عرف العهد الأموّي مجموعة من القواعد والتّقاليد في الكتابة، فحرص عليها الكتاب وأوردوها كتبهم، مستنيرين في ذلك بما ورثوه من العهد النّبوي والراشدي، ونحن هنا نبدأ بذكر التّقاليد التي كانت معروفة ومطبّقة في الافتتاحات، وقبل ذلك نشير إلى أنّ الكتاب أو الوثيقة تمرّ بمراحل قبل الوصول إلى النّسخة النّهائية، وهذه المراحل تبدأ بالأمر الذي يصدر بتحريرها من الحاكم أو الخليفة، ثمّ يطلب من الكاتب تدوينها، وبعدها تأتي مرحلة الكتابة الأوّلية أو المسوّدة، ثم تدوين الوثيقة في شكلها النّهائي، ثمّ تأتي مرحلة التّأشيرات القانونية، حيث يتأكّد الدّيوان الصادرة عنه الوثيقة من مطابقتها للشّكل الأوّل والأمر، ثمّ مراعاة القوانين والأحكام السائدة في إخراجها، ثم تأتي مرحلة التّوقيعات والنسخ والأختام كمرحلة نهائية[1].

وتقسم أجزاء الوثيقة إلى مضمون أو ما يعرف بالنّص، وصيغة ابتدائية، أي علامات الابتداء، وصيغة ختامية، أي علامات الختام[2]، وذلك كمايلي:

علامات الافتتاح	النّص	علامات الختام
-البسملة	-المدخل والاعتبارات العامّة	-أمارات الإثبات
-اسم الشّخص المرسِل والمرسَل إليه	-التّنويه	-الدّعاء والمشيئة
-التحيّة.	-العرض	-التاريخ
-أما بعد.	-فقرات ختامية	
-السلام.		

وسنتناول هذه التّقاليد بشيء من التفصيل في هذا المبحث:

وبداية بحسن الافتتاح، فقد كانوا يفتتحون كتبهم بالحمد والسّلام[3]، وبعدها الصّلاة على النّبي، ثم أما بعد، ويدعو للمرسل إليه ثم يكتب حاجته أو كلامه[4].

وقد اهتمّ الكتّاب بتحسين الابتداءات لما يظهر عليها من حسن البيان، ولذلك يقول أبو

---

[1]-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبوماتيك، ص261.

[2]-المرجع نفسه، ص181.

[3]-صبح الأعشى، ج6، ص263.

[4]-النّحاس، مصدر سابق، ص211.

هلال العسكري: «أحسنوا معاشر لكتّاب الابتداءات فإنّهنّ دلائل البيان»[1].

ويشترط في الافتتاح أن يكون مختصرا[2]، بيد أننا نجد نماذج وردت فيها الافتتاحيات مطوّلة، مثل ما كتبه الحجّاج إلى عبد الملك: «بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، المؤيّد بالولاية، والمعصوم من خاطئ القول لقول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوي أمره، من عبد اكتنفته الزّلّة ومدّ به الصّغار إلى وخيم المرتع ووبيل المركع، من جائل قادح، ومعترّ فادح، والسّلام عليك ورحمة الله التي اتّسعت فوسعت، وكان بها التّقوى إلى أهلها قائدا، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو راجيا لعطفك بعطفه، أما بعد:....» [3].

فنلاحظ هنا إطالة في الافتتاح، وهذا كان مكروها، لأنّه يدعو إلى الملل، ولكن الغالب –كما ذكرنا– هو الاختصار، ونضرب لذلك مثالا، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الكوفة: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:...» [4]، ونلاحظ أيضا هنا ذكر عبارة أمير المؤمنين إلى جانب اسم الخليفة وهو تقليد أيضا كان معروفا.

وكذلك نلاحظ ذكر الحمد في الافتتاح وعبارته فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، و« لا خفاء في أنّ الحمد أفضل الافتتاحات وأعلى مراتب الابتداءات»[5]، ولذلك تبّركوا بالحمد حتّى أنّهم سموا الخطبة التي لا يحمد فيها الله بتراء أو قطعاء، ومن ذلك خطبة زياد البتراء[6].

ومن الافتتاحات أيضا البسملة وأمّا بعد، وهذه سنعرض إليها بالتفصيل في حينها، وكانوا أيضا يكتبون الصلاة على النبي في الافتتاحات، ويقرنونها بذكر الله[7]، وكذلك الدّعاء للمرسل إليه، ويكره الإطالة فيه[8]، وأن يتضمن الكتاب الواحد دعاءين متناقضين، كأن يدعو له في بداية الكتاب

---

(1)–الصناعتين، ص431.

(2)–العقد الفريد، ج4، ص174. ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص151.

(3)–ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج5، ص25 . أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص225.

(4)–تاريخ الطبري، ج6، ص569. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص286.

(5)–القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص320.

(6)–الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص59.

(7)–القلقشندي، مصر سابق، ج6، ص218.

(8)–الكلاعي، المصدر السابق، ص72.

بأكرمك الله ثم في وسطه بلعنك الله وأخزاك، ويكون الدّعاء بحسب ما توجبه الحال أي تابعا لمضمون الكتاب[1]، إن عزاء فيدعو بالعزاء، وإن نصر كذلك يدعو بالنّصر وغيرها، فالدعاء والافتتاح عموما تكون فيه عبارات توضّح أو تشير إلى مضمون النص[2].

ويكون الدّعاء أيضا في الاختتام، فهذا الأخير يتضمّن: الحمد ويأتي بعد ذكر التآريخ غالبا، وصيغة الحمد تكون: الحمد لله وحده، أو الحمد لله رب العالمين[3]، ويقرن الحمد أحيانا بالصلاة على النبي، كما يتضمن الختام الحسبلة، وتأتي بعد شهادة الشهود، وصيغتها حسبنا الله ونعم الوكيل أو حسبنا الله وحده، والصلاة على النبي، وهذا أيضا شائع في الاختتام، ثم تورد المشيئة، وهي من التّعاليم الإسلاميّة، ويحرص الكتّاب على كتابتها عند انتهاء ما يكتبه وصورتها إن شاء الله تعالى[4].

5-2-البسملة:

كان الكتّاب يفتتحون بالبسملة اقتداء بالنبّي ﷺ[5]، وكانت البسملة أوّل ما يكتب، وتبدأ كتابتها من حاشية القرطاس، ثمّ يكتب الدّعاء تحتها متساويا[6]، ومن مظاهر الاهتمام بها أنّها كانت ترد في سطر منفرد ويبذل الجهد لتحسينها[7]. وقد تحدثت المصادر كثيرا عن كيفية كتابة البسملة وتحسينها، وإثبات حروفها، فيذكر ابن دستويه أنّ كتّاب الرّسائل والحساب قد يختصرون الحروف فيختمونها فيكتبون باسم بغير باء ولا سين، إلاّ خطّا وميما "ـم"، وهذا كما قيل جائز في حق كتاب الدواوين ومن نحا نحوهم، ولكنّ من الأحسن إثبات ذلك[8].

فتحسين البسملة ممّا كان مهتمّا به عند الكتّاب، وروي أنّ الحسن البصري قال: «من حسّن اسم الله أحسن الله إليه»[9]، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله يحثهم على تحسين البسملة وتفخيم اسم الجلالة عند كتابتها في الرسائل: «إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد

---

(1)-ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص19. النحاس، عمدة الكتاب، ص205.

(2)-أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ص159. المثل السائر، ج1، ص151. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص198.

(3)-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص254، 255. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص229.

(4)-ناهد حمدي، مرجع سابق، ص230-231.

(5)-ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص76.

(6)-الصّولي، أدب الكاتب، ص25.

(7)-ناهد حمدي، مرجع سابق، ص186.

(8)-المصدر السابق، ص56.

(9)-النّحاس، مصدر سابق، ص63. الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج1، ص102. الكلاعي، مصدر سابق، ص48.

الرحمن» [1].

وقد وردت البسملة في جلّ الكتب المتداولة في العهد الأموي، فمن ذلك لمّا كتب عمر إلى وليّ عهده يزيد افتتح بسم الله الرحمن الرحيم[2]، وكذلك كتب يزيد الناقص لمروان لمّا تباطأ عن البيعة وافتتح بالبسملة[3].

5-3-المرسِل والمرسَل إليه في الكتاب:

وتعرف كتابة المرسِل والمرسَل إليه أيضا باسم العنوان أو العلامة، والمستحسن فيها أن يعظّم خطّها ويفخّم إذا كان إلى الرئيس[4]، أمّا محلّه ففي بداية الكتب بعد البسملة، وهو ما تشير إليه النصوص وتذكره، وقد يكتب على الكتاب بعد طيّه وهذا معروف أيضا، فقد روي أنّ أحد العمّال كتب إلى معاوية ثمّ طوي الكتاب وكتب العنوان، وكذلك كتب معاوية إلى علي، فكتب العنوان بعد لفّ الطّومارين: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب، وهذا ما كان يحدث في المكاتبات اليونانية[5].

ولكنّ الغالب حسب النّصوص هو ذكر المرسِل والمرسَل إليه ضمن الكتاب في الافتتاح.

والمعلوم أنّ الرّسول كان يكتب إلى أصحابه وجنوده من محمّد رسول الله إلى فلان، وكذلك كانوا يكتبون إليه يبدؤون بأنفسهم، فالمرسِل يبدأ بنفسه ثمّ المرسَل إليه[6]، يقول الجهشياري: «وكانت العرب إذا كتبت إلى أحد شريفا كان أو مشروفا بدأ الكاتب بنفسه إلى المكتوب إليه، وكتب من فلان إلى فلان»[7].

ويوضّح ابن درستويه أنّ عنوان الكتاب وهو قولنا من فلان إلى فلان حقّه أن يُبدأ فيه باسم الكاتب ثمّ اسم المكتوب إليه، وذلك أنّ من داخلة عن اسم الكاتب وإنّما هي لابتداء الغايات، وإلى

---

(1)-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص213. محمد فرقاني، رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003-2004، ج1، ص440.

(2)-النويري، نهاية الإرب، ج21، ص373.

(3)-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص302. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص295.

(4)-الصّولي، مصدر سابق، ص184.

(5)-السامرّائي، علم الإكتناه، ص205.

(6)-ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص158. النّحاس، مصدر سابق، ص140. صبح الأعشى، ج6، ص315-316.

(7)-الوزراء والكتاب، ص15.

داخلة على اسم المكتوب إليه وهي لانتهائها، فالكتاب إنّما يبتدئ من الكاتب وينتهي إلى المكتوب إليه[1].

ولكن الغالب المتداول في العهد الأموي هو الابتداء بالأعلى رتبة، «وكان من القواعد المرعيّة في مكاتبة الخلفاء، أن يبدؤوا بأسمائهم قبل مخاطبيهم، ويكلّفوا مكاتبهم أن يراعوا ذلك»[2]، وأمّا ما ورد من نصوص ابتدئ فيها بالأقل درجة فهي قليلة نادرة، وفي حالات خاصة، كالخصومات مثلا، فإذا كان المرسِل والمرسَل إليه متخاصمين، يبدأ المرسِل بنفسه، كما كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية: «من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر...» [3].

وأحيانا يبدأ المرسل بنفسه من غير سبب، كما كتب ابن عمر إلى عبد الملك: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عمر إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين...» [4]. ولما فعل ابن عمر هذا غضبوا عليه غضبا شديدا[5]، وما نستشفه من هذه الرواية هو حرصهم الشديد على الابتداء بالأعلى رتبة ومنزلة، وعدم مخالفة ذلك، ولعلّ خير دليل يوضح ذلك أيضا هو ما ذكره صاحب العقد الفريد من أنّ ابن الزبير لمّا أراد أن يكتب لعبد الملك، اقترح رجل على الكاتب أن يكتب: من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان، فقال الكاتب إنّ عبد الملك لا يقبل هذا أبدا، أكتب لعبد الملك بن مروان من أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير[6].

وكذلك نستدل بما رواه صاحب الأغاني من أنّ الحسن البصري كان يكاتب عمر بن عبد العزيز قبل تولّيه الخلافة فيبدأ بنفسه، ولما تولّى عمر الخلافة كتب إليه الحسن وبدأ بنفسه: من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز، فقيل له إنّ الرّجل قد تولّى وتغيّرت مكانته فابتدء به[7].

فهذا يوضح أنّهم حرصوا على الابتداء بالأعلى رتبة في كتبهم، وكان الخلفاء إذا كتبوا لغيرهم ابتدؤوا بأنفسهم، ومن ذلك أن معاوية كتب إلى ابن الزبير: «من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى

---

[1]-مصدر سابق، ص98.

[2]-النحاس، مصدر سابق، ص226. جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج3، ص248.

[3]-المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص20. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج3، ص188.

[4]-ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص132.

[5]-أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة، ج2، ص73. ابن عساكر، المصدر السابق، ج68، ص16.

[6]-ابن عبد ربه، ج4، ص415.

[7]-أبو الفرج الأصفهاني، ج8، ص151.

عبد الله بن الزبير...» [1]، وكتب عبد الملك إلى الحجاج: «من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف...» [2].

وكذلك إذا كتب غيره إليه بدؤوا بذكر الخليفة ثم اسم المرسِل، فقد كتب زياد إلى معاوية: «لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان...» [3]، وكتب أنس إلى عبد الملك: «إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك...» [4]، وهناك نصوص كثيرة في المصادر توضح الابتداء بالأعلى رتبة، لا نستطرد كثيرا في ذكرها[5].

يقول النحاس في ذلك إنّه إذا كتب الرئيس إلى مرؤوسه قال من فلان إلى فلان، وإذا كان العكس يقال: إلى فلان من فلان[6]، فالأصل أن يبدأ بالكبير ثم الصغير، والعظيم ثم الحقير[7].

هذا ونشير إلى أنّ المرسل إليه قد يحذف في الكتاب، ومن ذلك أنّ عبد الملك كتب إلى أنس: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان، أما بعد:...» [8]، وهذه الطريقة معروفة أيضا وشائعة، وتجدر الإشارة أيضا إلى أنهم استخدموا الكنى في كتبهم، وأوّل من استخدمها كما يذكر القلقشندي هو الوليد بن عبد الملك، والأصل على حد قوله أن لا يذكر الرجل كنيته إلاّ إذا كانت أشهر من اسمه، وتكون في صدر الكتاب[9]، كما يكتب عن الخلفاء من عبد الله ووليه الدالة على التواضع، أو ترد عبارة أمير المؤمنين، وقد اعتنوا بذلك في الزمن المتقدم، ولعلّ من الضروري أن نمثل لذلك حتى تتضح القواعد والأسس: فقد كتب معاوية إلى زياد: «من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد...»[10].

---

[1]-البلاذري، أنساب الاشراف، ج5، ص61.

[2]-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص376.

[3]-تاريخ الطبري، ج5، ص272.

[4]-أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص295. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص338.

[5]-انظر في ذلك: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص312. ابن قتيبة، الإمامة، ج1، ص158. ابن أعثم ، الفتوح، ج5، ص107. ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج4، ص400.

[6]-عمدة الكتاب، ص205، 206.

[7]-ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص58.

[8]-ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص338.

[9]-صبح الأعشى: ج5، ص410.

[10]-شرح نهج البلاغة، ج16، ص182. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية، ص155.

وكتب عبد الملك إلى الحجاج: «بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج...»[1].

وكتب سليمان إلى عمر بن عبد العزيز: «...هذا الكتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز...»[2]، كما كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين...» [3]، وكذلك كتب إلى الحرورية: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين...»[4].

5-4-السلام في الكتاب:

وممّا يذكر في تقاليد الكتابة هو إيرادهم السلام في الكتاب، ويكون في صدره وفي ختامه، وكانوا يستفتحون الكتب بـ: «سلام عليك»[5]، حيث يقع السّلام منكورا، إذ لم يتقدّم له ذكر حتّى يصير معرفة، أمّا إذا ختم به الكلام فيعرّف ويكتب: «السلام عليك»[6].ويوضح القلقشندي ذلك بقوله أن السّلام جعل في بداية الكتب لأنّه تحيّة الإسلام.

ويقال في أوّل الكتاب سلام عليك وفي آخره السّلام عليك، والمعنى فيه أنّ الأوّل نكرة، إذ لم يتقدّم له ذكر، والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأوّل، على حدّ قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمّل: 73]، فأتى في الأوّل بتنكير الرّسول وفي الثّاني بتعريفه، فسلام الابتداء يكون نكرة، وسلام الوداع يكون معرفة لرجوعه إلى الأوّل، ويجوز سلام عليك وسلاما عليك بالرفع والنّصب والاختيار الرّفع[7].

والمعلوم أنّ سلام الافتتاح يلي البسملة واسم المرسِل والمرسَل إليه، ولكن أحيانا يكون السّلام أوّل ما يكتب، ومن ذلك أنّ عمر كتب إلى بعض عمّاله: «سلام عليك أما بعد...»[8].

---

[1]-ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج5، ص21. محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص341.

[2]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج45، ص163.

[3]-الطبري، مصدر سابق، ج6، ص569.

[4]-ابن الجوزي، سيرة عمر، ص72.

[5]-النّحاس، مصدر سابق، ص236. ابن دستويه، كتاب الكتاب، ص77. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص159.

[6]-النحاس، مصدر سابق، ص236. ابن درستويه، المصدر السابق، ص77.

[7]-مصدر سابق، ج6، ص220، 221.

[8]-ابن الجوزي، سيرة عمر، ص76.

وأحيانا يكون السّلام بعبارة سلام على من اتّبع الهدى، كما كتب الحجاج إلى سليمان: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحجّاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد...» [1].

5-5-ذكر أمّا بعد:

ومحلّها بعد الحمد والدّعاء والمرسِل والمرسَل إليه[2]، فهي تُستعمل في صدور المكاتبات والولايات وفي بداياتها أحيانا[3]، يقول الكلاعي: «ونظرتُ -أعزّك الله- في صدور الرّسائل استفتاحاتها، فوجدتها أيضا تختلف فكانوا في الزّمان الأوّل يكتبون في صدور رسائلهم أمّا بعد، وهو فصل الخطاب الذي ذكره الله في كتابه العزيز، ورأيته أكثر ما تستعمله الكتاب في المخاشنة والعتاب، فيعوّلون في هذا الفنّ عليه، ويعدلون عن ليّن الكلام وخفيّ السّلام إليه»[4].

وكانوا يتبعون أمّا بعد بالدّعاء كفولك أمّا بعد أعزّك الله[5]، وكانوا أحيانا يستفتحون بها كتبهم، ومن ذلك ما كتبه معاوية إلى يزيد: «أمّا بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة...»[6]، وغير هذا الكتاب كثير، ونكتفي بالإشارة إلى مظانّة ليرجع إليها[7].

5-6-ذكر اسم الكاتب والتاريخ والإشهاد على الكتاب:

من التقاليد التي كانت معروفة في الكتابة إبّان العهد النبوي والراشدي -كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم-[8]، كتابة اسم الكاتب والتاريخ والشهود، وقد سار الكتاب الأمويون على هذه القواعد والأسس فأوردها كتبهم، إلاّ أنّ النصوص التي بيّن أيدينا وتتضمّن ذلك قليلة جدّا، ولكنها توحي وتؤكد بأنّ هذه التّقاليد، كانت معروفة آنذاك، فقد كتب الوليد إلى بعض عمّاله وجاء في آخر كتابه:

---

[1]-ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج5، ص42. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل، ج2، ص249.

[2]-الصولي، أدب الكاتب، ص26.

[3]-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص221.

[4]-أحكام صنعة الكلام، ص58، 59.

[5]-ابن دستويه، مصدر سابق، ص78، 79. القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص319.

[6]-ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص154.

[7]-انظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص254. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص80. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص323. القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص377.

[8]-انظر التمهيد.

«وكتب جناح مولى أمير المؤمنين»[1]، كما روي أنّ الصبّاح بن المثنى كتب عن عمر كتابا، وقال في آخره: «وكتب الصّباح بن المثنّى يوم الخميس لأربع خلون من ذي الحجّة سنة تسع وتسعين»[2].

كما كتب الوليد بن يزيد كتابا عهد فيه لابنيه، الحكم وعثمان، وجعل آخر كتابه: «وكتب سمّال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب ستة مئة وخمسة وعشرين»[3].

كما عرفوا أيضا الإشهاد على الكتاب، فيذكر الطبري أن زياد اكتب إلى معاوية كتابا يخبره فيه بخروج حجر بن عدي وأصحابه، وكتب في آخر كتابه شهادة الشهود[4]، ويذكر البلاذري أنّ عمر كتب إلى أحد الولاّة وأشهد على كتابه وبعثه مع كاتبه[5].

فنلاحظ من خلال هذا أنّهم كانوا يثبتون أحيانا –ولا نقول دائما– اسم الكاتب، والشهود، أمّا عن التاريخ فلا غنى عنه في المكاتبات، وبه يستدل على قرب مسافة الكتاب وبعدها[6]، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه، وتؤرخ الكتب الصّادرة عن الملوك والأمراء والنّواب والقضاة، بخلاف كتب عامة الناسن فإنّه لم تجر العادة بتأريخها[7].

ويكون التّاريخ باليوم والشّهر والسنة الهجرية، ووضعه بعد قول إن شاء الله، ويكتب في سطر واحد[8]، ومعنى هذا أن يكتب التاريخ في آخر الصفحة.

أمّا عن طريقة التأريخ في الكتب، فإنّ كتب للنصف من الشهر يقول لخمس عشرة ليلة خلت، أو مضت، فإنّ جاوزوا نصف الشّهر كتبوا لأربع عشرة ليلة بقيت، لأنّ الشهر قد يكون ناقصا، أي إذا كان بأقلّ من النصف أرّخوا بخلت[9]، ومثال ذلك ما كتبه عمر إلى بعض عمّاله، فقد جاء في آخر الكتاب: «كتب الصباح بن المثنى يوم الخميس لأربع خلون من ذي الحجة سنة

---

(1)–الجهشاري، الوزراء والكتاب، ص34.

(2)–البلاذري، أنساب الإشارف، ج8، ص72. الجهشياري، المصدر السابق، ص34.

(3)–تاريخ الطبري، ج7، ص224.

(4)–المصدر نفسه، ج5، ص272.

(5)–أنساب الأشراف، ج8، ص72.

(6)–صبح الأعشى، ج6، ص225. ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص221–226.

(7)–القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص226.

(8)–ناهدي حمدي، المرجع السابق، ص226.

(9)–المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص210. النحاس، عمدة الكتاب، ص168. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص102.

تسع وتسعين»[1]. وإن تجاوزوا نصف الشهر أرخوا بما بقي[2]، ومثال ذلك كتاب الوليد بن يزيد السابق الذي عهد فيه لابنيه الحكم وعثمان، فقد ورد في آخره «وكتب سمّال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة مئة وخمس عشرين»[3].

ويعطينا ابن درستويه نفصيلا لذلك، فيذكر أنّه إذا كانت أوّل ليلة من الشّهر كتب مستهل كذا أو لغرّة كذا، وإذا مضت ليلة من الشّهر كتبوا لليلة خلت من شهر كذا أو مضت، أو ليوم مضى، وتكتب كذلك لأربعة أيام أو خمسة حتى المنتصف فيكتب لأربعة عشر ليلة خلت، فإذا كان النّصف من الشّهر يكتب للنصف من كذا أو لخمس عشرة ليلة خلت، ولا تكتب لنصف مضى أو لنصف بقي، وإذا مضى النصف تكتب لأربعة عشر ليلة بقيت، أو لأربعة عشر يوما حتى آخر الشهر، فإذا لم يبق من الشهر إلا يوم أو ليلة يكتب: آخر يوم من كذا أو سلخ كذا، لأنّ العرب تقول سلخنا الشّهر أي خرجنا منه، وإذا كان آخر يوم دون الليلة يكتب ليوم بقي[4].

5-7-ختم الكتب:

الختم هو طبع الشيء، وآخر كل شيء خاتمة وختامه[5]، ويسمّى خاتم الكتاب أيضا لصيانته إيّاه، ومنع النّاظرين من معرفة مافيه[6]، والخاتم كان معروفا قبل الإسلام[7]، وبعده، وكانت تنقش عليه كلمات وأشكال ثمّ يغمس في الطيّن أو المداد، ويوضع على صفح القرطاس.

ومن المفيد هنا أن نذكر العلم الخاص بالأختام Sigillographie، وهو «علم يبحث عن أنواع وأشكال الأختام التي استعملها الحكّام، والنّقوش والرّسوم التي كانت مكتوبة عليها، والتي عن طريقها يمكن تحديد تاريخ صدور وثيقة ما، إذا وجد عليها ختم يعرف صاحبه»[8].

---

[1]-البلاذري، أنساب، ج8، ص72. الجهشاري، مصدر سابق، ص34.

[2]-المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص210. النحاس، المصدر السابق، ص168.

[3]-الطبري، مصدر سابق، ج7، ص224.

[4]-كتاب الكتاب، ص80. القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص235-240.

[5]-النّحاس، عمدة الكتاب، ص457.

[6]-الخزاعي: تخريج الدّلالات السمعية، ص192.

[7]-المعلوم أنّه كان لملوك فارس أختاما للسرّ، وخاتما للرسل، وخاتما للتخليد يختم به السجلاّت والأقطاعات، وخاتم للخراج. البلاذري، فتوح، ص250.

[8]-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص19.

وقد أنشأ معاوية لهذا الغرض ديوانا عرف بديوان الخاتم، ولم يكن قبله موجودا[1]، وكان الذي حمل معاوية على وضعه أنّه أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن أبيه وهو على العراق، ففض عمرو الكتاب وبدّل المائة مئتين، فلمّا رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر معاوية ذلك، وقال بأنّه لم يهبه غير مائة ألف، ثم استعادها من عمرو وحبسه، فأدّاها عنه أخوه عبد الله بن الزّبير، فأحدث عندها معاوية ديوان الخاتم، وحزم الكتب ولم تكن تحزم، وصارت التّواقيع تصدر منه مختومة لا يدري أحد ما فيها ولا يتمكّن أحد من تغييرها[2].

فسبب وضع معاوية لديوان الخاتم وحزم الكتب هو تجنّب التّزوير، واستمرّ الأمر بعده على حزم الكتب وختمها، فقد كتب الحجّاج إلى عبد الملك بعد أن لامه على إسرافه في الصّرف.

لعمري لقد جاء الرّسول بكتبكم قراطيس تملى ثم تطوى وتطبع

ولمّا ولّي الوليد بن يزيد الخلافة كتب إلى أهل المدينة:

محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم به يكتب الكتاب والكتب تطبع[3]

أمّا عن كيفية الختم فهناك طريقتان: الأولى أن يختم الكتاب في آخره بعد الفراغ من كتابته، ونظام ختم الصّحيفة في نهاية النّص كان متّبعا في عهد الرّسول والخلفاء، وكتب معاوية إلى الحسن صحيفة بيضاء مختومة في أسفلها[4].

وقد يكون هذا النّوع من الختم أوّل الكتاب أو آخره[5].

أمّا الطّريقة الثّانية للختم فهي التي وضعها معاوية، وهي أن يلفّ الكتاب كأنبوبة الرّمح، وتكون الكتابة من الدّاخل، ثمّ يلصق رأسه بنوع من اللّصاق الخفيف أو يحزم بخيط، ثم يختم بخاتم الخليفة بعد أن يغمس في طين أحمر، ويكون الختم على طرفي اللّصاق، وقد يلصق الكتاب بشمع يختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه، ويسمّى هذا النّوع من الختم الخزم، أخذا من خزم البعير، أي ثقب

---

(1)-تاريخ الطبري ، ج5، ص330. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص473.

(2)-الطبري، مصدر سابق، ج5، ص330. الوزراء والكتاب، ص15. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص185. الكامل في التاريخ، ج3، ص262. ابن طباطبا ، الفخري ص113.

(3)-السّامرائي، علم الاكتناه، ص373.

(4)-تاريخ ابن خلدون، ج1، ص221. السّامرّائي، المرجع السابق، ص364، 365.

(5)-جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج3، ص130. أحمد شلبي، السياسة في الفكر الإسلامي، ص221.

أنفه، وهذه الطّريقة كانت معروفة منذ صدر الإسلام[1]. وهو علامة عدم فتح الكتاب.

أمّا الوثائق التي على شكل كرّاس فجرت العادة على ختم الصّفحة الأولى[2]، والذي عليه الكتّاب أنّ الرّئيس والنّظير يختم كتبه وتوفيعاته، وأنّ من دونهم لا يختم وإن ختم وهو دون الرّئيس لزمه إثبات اسمه، وكتب بعضهم إلى رئيسه: «تختم رقاعك لأنّها مطايا بر، ولا أختم رقاعي لأنّها حوامل شكر»[3].

والمعلوم أنّ الخليفة الأموي، هو من يتولى التوقيع على القصص أحيانا ويصرف بقلمه ويختم بخاتمه[4]، وأحيانا يختم بختم صاحب الدّيوان وهذا ما ذكره ابن طباطبا حين قال: «إذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الأمور أحضر التّوقيع إلى ذلك الدّيوان، وأثبتت نسخته فيه، وحزم بخيط وختم بشمع... وختم بخاتم صاحب ذلك الدّيوان»[5].

فمن خلال هذا يتبيّن أن الكتب كان يتولى الختم عليها إمّا الخليفة بنفسه، أو صاحب الديوان[6]، ويذكر ابن خلدون أنّ ختم الكاتب يلغى بختم رئيسه [7].

وسنعرض تباعا نقوش أختام الخلفاء الأمويين، وبداية بمعاوية بن أبي سفيان، فقد كان نقش خاتمه لا قوة إلاّ بالله[8]، وقيل لا حول ولا قوة إلا بالله[9]، وقيل لكل عمل ثواب[10]، وكان نقش خاتم يزيد بن معاوية، "ربنا الله"[11].

---

(1)-القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 232-243. أحمد السيّد دراج، صناعة الكتابة، ص31. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص210.

(2)-ناهد حمدي، مرجع سابق، ص213.

(3)-الصّولي، مصدر سابق، ص144.

(4)-أحمد السيّد دراج، المرجع السابق، ص31،30.

(5)-مصدر سابق، ص113.

(6)-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص365. حسان حلاّق، تعريب النقود، ص97، 98.

(7)-العبر، ج1، ص205.

(8)-المسعودي، التنبيه والإشراف، ص262. ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص114. ابن رجبن أحكام الخواتم، ص69.

(9)-تاريخ دمشق، ج59، ص147. النويري، نهاية الإرب، ج20، ص375.

(10)-النويري، المصدر السابق، ج20، ص375. ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص114. ابن رجب، مصدر سابق، ص69.

(11)-التنبيه والإشراف، ص265. ابن رجب، مصدر سابق، ص69.

وكان نقش خاتم معاوية بن يزيد: بالله يثق معاوية[1]، وقيل الدنيا غرور[2].

ونقش خاتم مروان بن الحكم: العزّة لله[3]، وقيل آمنت بالله العزيز الحكيم[4]، وقيل الله ثقتي ورجائي[5].

ونقش خاتم عبد الملك، آمنت بالله مخلصا[6]، وقيل أؤمن بالله مخلصا[7].

ونقش خاتم الوليد بن عبد الملك: يا وليد إنّك ميّت[8]، وقيل يا وليد إنّك ميت ومحاسب[9] ونقش خاتم سليمان: آمنت بالله[10]، وقيل آمنت بالله مخلصا[11].

ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز: لكلّ عمر ثواب[12]،وقيل عمر بن عبد العزيز يؤمن وقيل كان نقش خاتمه لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وقيل آمنت بالله، وقيل الوفاء عزيز[14].

وكان نقش خاتم يزيد بن عبد الملك: قني الحساب[15]، وقيل قني السيئات يا عزيز[16]، وقيل الوفاء عزيز[17].

---

(1)–التنبيه والإشراف، ص265. تاريخ دمشق، ج59، ص303.

(2)–القضاعي، الإنباء، ص210. ابن رجب، مصدر سابق، ص69.

(3)–التنبيه والإشراف، ص269.

(4)–المصدر نفسه، ص269. تاريخ دمشق، ج57، ص265. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(5)–ابن رجب، مصدر سابق، ص69.

(6)–التنبيه والإشراف، ص273. القضاعي، مصدر سابق، ص219. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(7)–تاريخ دمشق، ج37، ص130.

(8)–التنبيه والإشراف، ص274. تاريخ دمشق، ج63، ص176. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(9)–القضاعي، مصدر سابق، ص224.

(10)–التنبيه والإشراف، ص175.

(11)–القضاعي، مصدر سابق، ص229. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(12)–التنبيه والإشراف، ص276. ابن الجوزي: سيرة عمر، ص129.

(13)–التنبيه والإشراف، ص276. القضاعي، مصدر سابق، ص231. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(14)–تاريخ دمشق، ج45، ص176،177.

(15)–التنبيه والإشراف، ص277. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(16)–القضاعي، مصدر سابق، ص234. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(17)–ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

ونقش خاتم هشام بن عبد الملك: الحكم للحكيم[1]، وقيل الحكم للحكم الحكيم[2].

وكان نقش خاتم الوليد بن يزيد: يا وليد احذر الموت[3]، وقيل بالعزيز يثق الوليد[4]، وكان نقش خاتم يزيد بن الوليد: يزيد قم بالحق[5]، وقيل يا يزيد قم بالحقّ تصبه[6]. ونقش خاتم إبراهيم ابن الوليد: توكّلت على الحيّ القيّوم[7]، وقيل إبراهيم يثق بالله[8]، ونقش خاتم مروان بن محمد: فوّضت أمري لله[9]، وقيل أذكر الموت يا غافل[10]، وقيل رضيت بالله العظيم[11].

ومن خلال عرض أختام الخلفاء يتّضح أنها كانت معبّرة وتحمل معاني عديدة، فإمّا أنّ تكون آية أو نصيحة للنفس أو دعاء، وهذا يدلّ على اهتمامهم بالعبارات في الخواتيم، والتي توحي بالنزعة الإسلامية للخلفاء وحرصهم على العدل والحقّ، ثم إنّ تعدّد ألفاظها دليل على تعدّد وظائفها.

أما مادة صنع هذه الأختام فالظاهر أنها كانت تصنع من الفضّة، والدليل على ذلك هو ما ذكره ابن الجوزي من أن خاتم عمر بن عبد العزيز كان من فضة، وفصه من فضة مربع[12].

كما أنّ هناك رواية أخرى مفادها أنّ عمر أمر أحد أبنائه باتخاذ خاتم من حديد صيني، وأمره أن يكتب عليه: "رحم الله امرأ عرف قدر نفسه"[13].

5-8-تنظيم الصفحة الكتاب:

المقصود بتنظيم الصّفحة هو الفراغات التي تترك ومقدارها، وبعدها بين السّطور، والعلامات

---

(1)-التنبيه والإشراف، ص279.

(2)-القضاعي، مصدر سابق، ص237. تاريخ دمشق، ج74، ص30. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(3)-القضاعي، مصدر سابق، ص240. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(4)-تاريخ دمشق، ج63، ص331. ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(5)-القضاعي، مصدر سابق، ص242.

(6)-ابن رجب، مصدر سابق، ص70.

(7)-القضاعي، مصدر سابق، ص244. ابن رجب، مصدر سابق، ص71.

(8)-السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص258.

(9)-التنبيه والإشراف، ص284.

(10)-القضاعي، مصدر سابق، ص248. ابن رجب، مصدر سابق، ص71.

(11)-تاريخ دمشق، ج57، ص339.

(12)-سيرة عمر، ص129.

(13)-المصدر نفسه، ص235.

المستعملة في فواصل الكلام، وحتّى يحفظ الكاتب الوثيقة من التزوير أو الدّس فيها، كان لا يترك راغا في أوّل السّطر ولا في نهايته، وإن حصل أن بقي فراغ فيملؤه بتكرار الكلمة التي توقّف عندها، أو إذا اقتضى الأمر برسم دائرة مفتوحة في المساحة الخالية، وإذا كان الفراغ في السّطر الأخير يذكر فيه الحسبلة والحمد[1].

ونرى ما يفيد هذا المعنى فيما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله يطلب منهم عند كتابتهم للأمور الهامّة أن يقاربوا بين الحروف للاقتصار في الورق[2]، كما يريد بذلك تنبيههم إلى التحرز والاحتياط من زيادة حرف أو نقصان في حروف كلمات الوثيقة فنقسد[3].

ورغم ما ذكرنا من ملء الصفحة إلاّ أنّ الكتّاب كانوا يتركون هوامش، وهي المساحات الخالية حول متن الوثيقة، والتي تستخدم أصلا بهدف إبعاد نص الوثيقة عن أطراف الورق، حتّى لا يفسد لكثرة الاستعمال، ثم استخدمت في وقت لاحق لأغراض أخرى كالتوقيعات والتصحيحات، وكانت الهوامش منتظمة، عرضها واحد في كل جوانب الوثيقة، وأحيانا يكون الأيمن أعرض من الأيسر للحاجة إلى الكتابة فيه[4].

هذا ونشير إلى أنّهم كانوا لا يقسّمون الكتاب إلى فقرات، ولا يميّزون بذكر باب أو فصل ونحوه، والنساخ يجعلون دائرة بين الكلامين، وكتّاب الرّسائل يجعلون للفواصل بياضا يكون بين الكلامين[5].

أمّا نظام ترقيم الصّفحات فالظاهر أنّه لم يكن معروفا في القرن الأوّل والثّاني، ويشير السّامرائي إلى أنّه كان معروفا في القرن الرّابع، مستدلاّ على ذلك بمخطوطات تعود إلى ذلك القرن[6]، كما نشير إلى أنّهم كانوا لا يكتبون على ظهر الصحيفة إلاّ للضرورة، فالأصل في كتابة الوثائق أن تكتب على وجه واحد[7].

---

(1)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص242، 243.

(2)-ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص357. محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص457.

(3)-ناهد حمدي، المرجع السابق، ص307، 308.

(4)-المرجع نفسه، ص303،302.

(5)-صبح الأعشى، ج3، ص143.

(6)-علم الإكتناه، ص195.

(7)-النحاس: عمدة الكتاب، ص234. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص299.

كما عرفوا أيضا التسّطير في الكتاب، وكانت المسطرة تصنع من الخشب أو المعدن، وهي أداة عرفها الورّاقون منذ القدم، وكانت إحدى آلات صنعتهم، وكانوا يسّطرون قبل الكتابة حتّى لا تعوجّ السّطور، ومثل هذه الطّريقة استعملت في كتابة المصاحف[1].

5-9-الإطناب والإيجاز والأسلوب في الكتاب:

لقد كانت السّمة الغالبة على الكتب في العهد الأموي هي الإيجاز والاختصار، وقلّما يُلجأ إلى الإطناب، فاستعماله كان للضّرورة كالإخبار بالفتوحات أو التّهاني، وكذلك كتب الولاّة إلى الخلفاء في أحوال الأقاليم[2]، ولعلّ الرّسائل نزعت إلى الإطناب في أواخر العهد الأموي خاصّة، حيث عرفت بطولها والتفصيل فيها[3].

ومن ذلك ما كتبه الوليد إلى سليمان لمّا سمع بأنّه تمنّى موته فأجاب عليه سليمان بكتاب مطوّل لا يسعنا ذكره هنا[4]، كما كتب هشام إلى أحد عماله كتابا أطنب فيه[5]، وكتاب آخر له أيضا إلى أحد عماله[6]، ومن كتب الإطناب كذلك كتاب الوليد بن يزيد بالعهد لابنيه الحكم وعثمان[7]، فقد جاء الكتاب مطوّلا، مفصّلا فيه.

وطول الكتب هنا لم يكن بالشيء الكبير، كما كانت رسائل عبد الحميد الكاتب، فقد عدّ عبد الحميد أول من أطال في الرسائل، وأطال التحميدات، ولم يلتزم الاختصار[8]، ومن ذلك كتابه إلى عبد الله بن مروان[9]، ولعلّ ذلك يرجع إلى كونه كتاب سياسة أوصاه بها ليتخذه مرجعا ويستلهم ما فيه.

ومع كلّ هذا يبقى الإيجاز هو السمّة لغالبة على العصر الأموي، حيث يؤدي المعنى بأقصر

---

(1)-السّامرائي، مرجع سابق، ص195. ناهد حمدي، مرجع سابق، ص307.

(2)-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص305-307.

(3)-أحمد محمّد الحوفي: أدب السياسة، ص420.

(4)-انظرالمسعودي، مروج الذهب، ج3، ص174. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص255، 256.

(5)-تاريخ الطبري، ج1، ص143 وما بعدها.

(6)-المصدر نفسه، ص145 وما بعدها.

(7)-انظر: الطبري، المصدر السابق، ج7، ص219-224. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية، ص496-500.

(8)-ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص228. هاني صبحي العمد، أدب الكتابة، ص28.

(9)-القلقشندي، مصدر سابق، ج10، ص198-241. انظر: ملحق رقم 2.

عبارة[1]، وكان مفضلا عن الكتّاب حتّى قيل: «إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا»[2].

وقيل إنّ الكاتب من إذا أخذ طومارا ملأه، وإذا اقتصر على شبر كفاه، والكتّاب الحذّاق لا يجاوزون في كتبهم قيد شبر[3].

ولذلك أمر عمر عمّاله بتقليل الكلام وترقيق القلم، وجمع المعاني العديدة في كلام مختصر، كلّ ذلك للحفاظ على الورق، ومنه الحفاظ على أموال المسلمين[4].

والمعلوم أنّ الحاجات كانت ترفع إلى ولاّة الأمور، وتسمّى رقاعا، ويجب فيها الاختصار مع تبليغ الغرض، فالإطناب يؤدّي إلى نفور الرؤساء، فيعرضون عن الكتب استثقالا لها[5].

ونضرب الآنّ بعض النّماذج عن الكتب المختصرة، تبرز الحرص الشّديد من الكتّاب على الإيجاز، ومن ذلك كتاب معاوية إلى المغيرة: «إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولا»[6]، وكذلك كتب عبد الملك إلى الحجاج: «صف لي الفتنة، فكتب إليه الحجّاج: إنّ الفتنة تشب بالنّجوى، وتحصد بالشّكوى، وتنتج بالخطب»[7].

وكتب الوليد إلى سليمان لمّا هرب إليه آل المهلّب: «والله لئن قدمت عليّ معهم لا أؤمنهم أبدا، فابعث بهم إليّ في وثاق»[8].

وكتب يزيد بن الوليد إلى رجل همّ بعصيانه: «أمّا بعد فإنّي أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى، فاعتمد على أيّهما شئت والسلام»[9].

---

(1)-أحمد الحوفي، مرجع سابق، ص416.

(2)-الصولي، أدب الكاتب، ص137. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص173.

(3)-الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص47.

(4)-أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص308. ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص357. محمد فرقاني، مرجع سابق، ج1، ص457.

(5)-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص193.

(6)-السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص207.

(7)-محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص345.

(8)-الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص498.

(9)-ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، ص23.

والنّماذج عن الكتب المختصرة في المصادر كثيرة[1]، ويتّضح من خلالها حرص الكتّاب على الإيجاز في المكاتبات مع تأدية الغرض.

أمّا أسلوب الرّسائل والمكاتبات في العهد الأموي، فقد كان بسيطا سهلا، لا تكلّف فيه، يطرق المرسل الغرض من رسالته طرقا مباشرا، دون واسطة أو تمهيد[2]، وخروج الكاتب من معنى إلى معنى يكون برابطة، لتكون المعاني متسلسلة مترابطة ولا يظهر انفصالها، ويختار لألفاظه أفكارا مناسبة ليست بالغريبة ولا الفاحشة[3].

5-10-التّوقيعات في الكتب:

من التّقاليد التي عرفت في الكتابة إبّان العصر الأموي التّوقيعات في الكتب، والتّوقيع معناه في اللّغة التّاثير القليل الخفيف، فيقال جنب النّاقة موقعٌ إذا أثّرت فيه حبال الأحمال تأثيرا خفيفا، وحكي أنّ أعرابية قالت لجارتها، حديثك ترويع وزيارتك توقيع، تريد أنّ زيارتها خفيفة، ويحتمل أن يكون من قولهم، وقع الأمر إذا حق ولزم، أو من موقعة الطّائر وهي المكان الذي يألفه، فللتوقيع مكان محدّد كحاشية القصّة ونحوها[4].

والتّوقيع في الاصطلاح: هو أن يفصل الخليفة في القصص المرفوعة إليه بأوجز عبارة وأبلغها[5]، وهو لذلك عبارة عن أمر أو نهي، ويثبت حرف الأمر في الأوامر وحرف النّهي فيما نهي عنه[6].

ونشير إلى أنّ التّوقيعات لم تعرف زمن الرّسول ﷺ، وأوّل ما عرفت زمن أبي بكر الصدّيق وانتشرت بعده[7]، وقد يكون التّوقيع كلمات أو كلمة واحدة كنعم أو لا[8]، وقد يكون أيضا آية

---

(1)-انظر في ذلك: البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص122. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص115. الطبري، مصدر سابق، ج5، ص380. ابن أعثم: الفتوح، ج7، ص125. ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص12.

(2)-محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص34.

(3)-ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص152.

(4)-صبح الأعشى، ج1، ص81.

(5)-ابن خلدون، العبر، ج1، ص83.

(6)-ابن درسّويه، كتاب الكتاب، ص99.

(7)-حمد بن ناصر الدّخيل، فن التّوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي الأموي والعباسي، مجلّة جامعة أمّ القرى، ع22، ماي 2001، ص1099.

(8)-الكلاعي، مصدر سابق، ص160، 161.

قرآنية أو بيت شعر أو مثلا شائعا أو عبارات غيرها[1].

وليست كل عبارة تصلح لأن تكون توقيعا، وإنّما يشترط فيها الإيجاز والبلاغة والإقناع والقوّة وجمال التّصوير[2]، وهذا ما تميّزت به توقيعات الخلفاء على ما سنذكر لاحقا، أمّا عن محلّ كتابة التّوقيع فقد خصّص له مكان معين من الرقعة المرفوعة إلى الخليفة، ويكتب بمداد مغاير للون الكتاب[3]، وموقعه أسفل الكتاب المرفوع أو على ظهره أو في عرضه[4].

ويعتقد بعض الباحثين إلى أنّ العرب أخذوا أسلوب التّوقيعات عن الفرس، فقد اشتهر الفرس بها ومارسوها، ولكن حسب رأي الدكتور أحمد الحوفي أنّ التّوقيعات ذات نشأة إسلامية عربيّة خالصة واستدل على ذلك بمايلي:

أ-إنّ العرب عرفوا التّوقيعات، ومارسوها في أحسن صورها قبل أن يتّصلوا بالفرس ويحاكوهم، وذلك منذ عهد عمر بن عبد الخطاب إلى غاية العصر العبّاسي.

ب-لأنّ التوقيع قائم على ما يلائم الفطرة العربية من ميل إلى الإيجاز ومقدرة على البيان وسرعة خاطر، وحضور بديهة، فليس العرب بحاجة إلى أن يحاكوا غيرهم فيما يلائم طباعهم أشدّ الملاءمة [5].

أما من يتولّى التوقيع فالظّاهر من خلال المصادر أنّه يتولى كتابته الخليفة بنفسه، وأحيانا يكلّف كاتبا بكتابته، فيذكر ابن الصيرفي أنّ التوقيع عن الملك أمر جليل، ويجب أن يكون الكاتب الموقّع مأمونا جيّد الخطّ عالما بما يوقّع[6]، ويقول ابن الأزرق: «ومن خطط الكتابة التّوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السّلطان في مجالس حكمه، ويوقّع القصص المرفوعة إليه أحكامها متلقّات من السّلطان بأوجز لفظ وأبلغه، فيصدر كذلك أو يحذو الكاتب على مثالها في سجّل يكون بيد صاحب القصّة، ويحتاج إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه»[7].

---

(1)-حمد بن ناصر، المرجع السابق، ص1096.

(2)-المرجع نفسه، ص1107، 1108. عفّت وصال حمزة، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص329.

(3)-أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص417.

(4)-حمد بن ناصر، المرجع السابق، ص1094.

(5)-مرجع سابق، ص419.

(6)-القانون في ديوان الرّسائل، ص38، 39.

(7)-بدائع السّلك في طبائع الملك، ج1، ص275.

فمن خلال هذا يتبيّن أنّ الكاتب هو من يتولى التّوقيع، ويذكر القلقشندي أنّ الخليفة هو الذي يوقّع على القصص ويحدثها بنفسه[1].

وجملة القول أنّ التوقيع يتولاه أحيانا الكاتب وأحيانا يباشره الخليفة بنفسه[2]، هذا ونشير في الأخير أنّ الوثائقيين يرون أنّ توقيعات عمّال الدّواوين والمسجّلين أهمّ بكثير من توقيعات الشّهود، فتوقيعات عمال الدّواوين اتخذت شكلا وطابعا مميّزا في كل ديوان منتظم[3].

ولنأخذ الآن نماذج لتوقيعات الخلفاء:

كتب عبد الله بن عامر إلى معاوية يسأله أن يقطعه مالا، فوقّع له معاوية: «عش رجبا ترى عجبا»[4]، وكتب مسلم بن عقبة المرّي[5] إلى يزيد بن معاوية بالذي صنع أهل الحرّة[6]، فوقّع في أسفل كتابه: «فلا تأس على القوم الفاسقين»[7]، كما وقع إلى عبيد الله بن زياد: «أنت أحد أعضاء ابن عمّك فاحرص أن تكون كلّها»[8].

ويذكر البيهقي أنّ متظلّما رفع رقعة إلى عبد الملك فوّقع فيها: «إن كنت كاذبا عاقبناك، وإن كنت صادقا مقتناك، وإن استقلتنا أقلناك»[9]، وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يشكو إليه أهل العراق، فوقّع له عبد الملك: «ارفق بهم فإنّه لا يكون مع الرّفق ما تكره، ومع الخرق ما تحبّ»[10]، ووقّع إليه في أهل السّواد لما اشتد عليهم: «ابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما»[11]، ووقع سليمان

---

(1)–صدر سابق، ج1، ص215. حمد بن ناصر، مرجع سابق، ص1094.

(2)–ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص215. حمد بن ناصر، مرجع سابق، ص1094.

(3)–ناهد حمدي، المرجع السابق، ص216.

(4)–العقد الفريد، ج4، ص206. جرجي زيدان: تاريخ التمدّن، ج3، ص246.

(5)–مسلم بن عقبة المرّي بن رباح قائد من الدّهاه في العصر الأموي، أدرك النّبي وشهد صفّين مع معاوية، وولاه يزيد قيادة الجيش الذي أرسله للانتقام من أهل المدينة لمّا أخرجوا عامله، ومات بعدها في طريقه لمواجهة ابن الزبير في مكان يسمّى المشلل سنة 63هـ. الزركلي، الأعلام، ج2، ص287، 288.

(6)–الحرّة: اسمها حرّة واقم تقع شرق المدينة، وفيها كانت الوقعة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة 63. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص287، 288.

(7)–ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص207.

(8)–المصدر نفسه، ص207.

(9)–المحاسن والمساوئ، ص120.

(10)–الثّعالبي، خاص الخاص، ص87.

(11)–المصدر نفسه، ص87.

رجل تهدّده:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعًا أبشر بطول سلامة يا مربع

ووقع له أيضا: «العاقبة للمتقين»[1].

وكتب أحد العمّال إلى عمر أن المدينة خربت واحتاج أموالا لترميمها، فوقّع له عمر: «أمّا بعد فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظّلم فإنّه مرمّتها والسّلام»[2]، ووقّع عمر إلى أحد عمّاله: «قد كثر شاكوك وقلّ شاكروك فإمّا عدلت وإما اعتزلت والسّلام»[3]. ووقّع يزيد بن عبد الملك في قصة رفعها إليه صاحب خراسان: «لا يغرّنّك حسن رأي فإنّما تفسده عثرة»[4]، ووقّع في قصّة متظلّم: «سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[5].

ووقّع هشام بن عبد الملك في رقعة متظلّم: «أتاك القوت إن كنت صادقا، وحلّ بك النّكال إن كنت كاذبا فتأخر أو تقدم»[6]، ووقع يزيد إلى مروان: «أراك تقّدم رجلا وتؤخّر أخرى، فإن أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت»[7].

وتكتفي بذكر هذه النّماذج[8]، التي يتّضح من خلالها الإيجاز في التوقيع وجمال الأسلوب مع تأدية المعنى، هذا ونشير إلى أنّ التّوقيعات أسهمت في توجيه السيّاسة العامة للدّولة في العهد الأموي وغيره، فالتّوقيع يحمل رأيا صائبا، أو فكرة جديدة، والذي جعل للتّوقيعات هذه القيمة السيّاسة هو ارتباطها منذ نشأتها بدواوين الخلفاء، وكانت إحدى الوسائل لتوجيه السيّاسة العامة للدّولة، وتزويد الولاّة والقادة والعمال عموما بالتوجيهات والإجراءات المناسبة[9]، مثلما لاحظنا.

---

(1)-ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص208.

(2)-تاريخ دمشق، ج45، ص202.

(3)-المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص196.

(4)-ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج4، ص209.

(5)-المصدر نفسه، ص209.

(6)-البيهقي، مصدر سابق، ص501.

(7)-ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص210.

(8)-انظر: توقيعات أخرى: ابن عبد ربه، ج4، ص207-210. عقّت وصال حمزة، مرجع سابق، ص330.

(9)-حمد بن ناصر، فن التوقيعات، ص1109.

5-11-تضمين الشّعر في الكتاب:

ظهر التأثر بالشّعر في الرّسائل إبان العهد الأموي في ثلاثة مظاهر: أوّلها أنّ بعض الرسائل كانت كلّها شعرا، وثانيها تذييل بعض الرّسائل بالشّعر ليكون خاتمة قوية الأثر، وهو ما كان يحصل في بعض الخطب، وثالثها أنّه في بعض الرّسائل نثر للشّعر واقتباس من معانيه، كما فعل معاوية في كتابه لزياد إذ قال: ادركك عرق الرّخاوة من قبل النّساء، فكنت كتاركة بيضها بالعراء، وملحقة بيض أخرى جناحها، وهو بهذا نثر قول ابن هرثمة:

وإنّي بتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زنادًا شحاحَا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسةً بيض أخرى جناحا[1].

وهذا يسمى اقتباس المعنى ونثر الشعر، أما بخصوص الكتب التي كانت كلّها شعرا فنمثل لذلك بما كتبه معاوية إلى ابن الزّبير:

رأيت كرام النّاس إنّ كفّ عنهم بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلّما
ولا سيما إن كان عفوا بقدرة فذلك أحرى أن يجلّ ويعظما
ولسْتَ بذي لوم فتعذر بالذي أتاه من الأخلاق من كان أَلْومَا
فما غشّ إلاّ نفسه في فعاله فأصبح ملعونا وقد كان مكرّما
وإنّي لأخشى أن أنالك بالذّي أردت فيجزي الله من كان أظلما[2]

وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير لمّا جاهره بالعصيان:

أدعو إلهك في السّماء فإنّني أدعو عليك رجال عكّ وأشعر
كيف النجاة أبا خبيب منهم فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر[3]

وكتب عبد الملك للحجّاج:

ولا تفش سرّك إلاّ إليك فإنّ لكل نصيح نصيحا
فإنّي رأيت غواة الرجال لا يتركون أديما صحيحا[4]

---

[1]-أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة، ص 422-425.

[2]-ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص154، 155. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص56.

[3]-مروج الذهب، ج3، ص79. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية، ص209.

[4]-العقد الفريد، ج1، ص65.

وكما ذكرنا أيضا أنّ الخلفاء كانوا يذيّلون كتبهم أحيانا بأبيات من الشّعر، ومن ذلك لما كتب عبد الملك إلى الحجّاج يقرعه على إسرافه في قتل أسرى دير الجماجم، جعل آخر كتابه:

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها ... وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
وتخش الذي يخشاه مثلك هاربا ... إلى الله منه ضع الدرّ حالبه
فإنّ ترمني عقلة قرشية ... فيا ربّما قد غصى بالماء شاربه
وإن ترمني وثبة أموية ... فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
ولا تلمني والحوادث جمّة ... فإنّك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك منّي وإن تعد ... تقوم بها يوما عليك نواد به
ولا تنقص للناس حقا علمته ... ولا تعطين ما ليس لله جانبه[1].

وبلغ الوليد أنّ أخاه سليمان تمنّى موته، فكتب إليه كتابا ذيله بأبيات من الشعر:

تمنّى رجالٌ أن أموت وإن أُمُتْ ... فتلك سبيل لست فيها بأوحدِ
لعلّ الذي يرجو فنائي ويدّعي ... به قبل موتي أن يكون هو الرّدي
فما موت من قد مات قبلي بضائري ... ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلَدي[2]

ونكتفي بذكر هذه النّماذج على أنّ المصادر أوّردت الكثير منها[3]، ويظهر من خلالها التأثّر بالشّعر وتضمينه، وهي طريقة كانت معروفة ومتداولة.

5-12-العبارات المستعملة في الكتب الجوابيّة:

من المعلوم أنّ الرّسائل تنقسم إلى قسمين: أحدهما ابتداء خطاب والثّاني ردّ الجواب، ومن الألفاظ الدّالة على ابتداء الخطاب: كتبت، وهذا كتابي، ومن الألفاظ الدّالة على أن الكتاب جواب ورد: ألقي وورد ووصل[4]، والأصل فيها أنّ النبي ﷺ كان يكتب في بعض كتبه: «هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان»[5].

---

[1]-مروج الذهب، ج3، ص141. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص340.
[2]-مروج الذّهب، ج3، ص174،173.
[3]-انظر في ذلك: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص155. ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص164. الأغاني، ج4، ص48. تاريخ دمشق، ج63، ص369. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص36.
[4]-الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص69، 70.
[5]-صبح الأعشى، ج6، ص 321.

ونحن هنا نذكر نماذج لألفاظ دالّة على الكتب الجوابية في العهد الأموي، فقد كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: «جاءني كتابك تذكر فيه أنّه كبرت سنّك...» [1]، كما كتب إلى قيس بن سعد: «أما بعد فقد قرأت كتابك...»[2]، وردّ عبد الملك على كتاب أخيه عبد العزيز: «أمّا بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك...»[3]، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله: «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت من أنّ مدينتكم قد خرّبت...» [4]. وكتب هشام إلى رجل من آل عمرو بن سعيد: «أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك، وفهم ما ذكرت...» [5]، وكتب إلى أحد عماله: «قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت...» [6]. فعبارة قد جاءني، وبلغني، وقرأت كتابك، وأتاني كتابك، وفهمت كتابك وغيرها من العبارات كانت مستعملة في الكتب الجوابيّة، والنّصوص التي بيّن أيدينا وتوضح ذلك كثيرة، ولكنّنا نكتفي بما ذكرنا للاستدلال[7].

هذا ونشير في الختام أنّه ينبغي للمجيب اقتصاص ألفاظ المبتدئ أحيانا واتّباعها للإجابة عنها، وقد يكون انتظام كلامه أقلّ من انتظام المنشئ من غير إخلال[8]، فالمجيب إذًا يتتبّع ألفاظ الكتاب الذي يردّ عليه، حتى تكون الإجابة واضحة دقيقة متسلسلة، وهي طريقة كانت معروفة أيضا في العهد الأموي، وخير مثال نضربه لذلك هو ما ردّ به معاوية بن أبي سفيان على عامله المغيرة بن شعبة، يذكر صاحب العقد الفريد أن المغيرة بن شعبة كتب إلى معاوية لمّا كبر وخاف العزل: «أمّا بعد فقد كبرت سنّي ورقّ عظمي، واقترب أجلي، وسفّهني سفهاء قريش، فرأي أمير المؤمنين في عمله موفّق»[9].

فردّ عليه معاوية: «أما ما ذكرت من كبر سنّك فإنّك أكلت شبابك، وأمّا ما ذكرت من

---

[1]-تاريخ الطّبري، ج5، ص331.

[2]-شرح نهج البلاغة، ج5، ص61.

[3]-أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص144.

[4]-أبو نعيم حلية الأولياء، ج5، ص305.

[5]-الطبري، مصدر سابق، ج7، ص120.

[6]-المصدر نفسه، ص204.

[7]-انظر المزيد من الكتب الجوابية: البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص425. أبو نعيم، المصدر السابق، ج5، ص312. تاريخ دمشق، ج27، ص415. تاريخ الخلفاء، ص244. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص171.

[8]-القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص311-313.

[9]-ابن عبد ربّه، ج1، ص83.

اقتراب أجلك، فإنّي لو استطيع دفع المنيّة لدفعتها عن آل أبي سفيان، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش، فحلماؤها أحلوك ذلك المحل، وأما ما ذكرت من أمر العمل، فضح رويدا يدرك الهيجا حمل»[1].

5-13-إملاء الكتاب وكتابته:

من الأمور التي ينبغي ذكرها عند الحديث عن الكتابة هي أنّ الخلفاء الأمويين، كانوا أحيانا يباشرون كتابة الرسائل بأنفسهم، وأحيانا يملون على كتّابهم، أو يطلبون من الكتّاب أن يكتبوا عنهم ما يريدون[2]، وهناك آداب متبعة في الإملاء، ومنها ما يروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يدعو قبل الإملاء فيقول: «اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ لساني»[3].

ومع ذكر عمر بن عبد العزيز نشير إلى أنّه كان يكتب أحيانا رسائله بيده، ويبعثّ بها إلى الولاّة، ولكن أكثر طريقته في الكتابة أن يستدعي الكاتب فيملي عليه الأمر المراد تبليغه إلى الولاة، ثم نسخ عنه نسخ فترسل إليهم[4]، وهو بهذا أشرف على كتابة رسائله، فهو بخلاف من سبقه من الخلفاء خطّط لسياسة الدّولة مستنيرا بالكتاب والسنة، ومن ثم اقتضى الأمر أن يكون المشرف على التنّفيذ والتّوجيه، وممّا يزيد الأمر تأكيدا هو تقارب خصائص أسلوب رسائله برسائل الخلفاء الرّاشدين[5] في بدئها وختامها وفي إيجازها وقصر عباراتها، مع تأدية المعنى، حيث أنّه إذا جرّدت من إطارها الزّماني والمكاني وأحداثها التّاريخية خيّل للقارئ أنّها رسالة لأبي بكر أو عمر[6].

ومن الآداب التي كانت معروفة في الإملاء والكتابة اجتناب الحكّ لأنّه دليل على الشّك فيما يكتب، وقد قال الشّاعر في ذلك:

حذقك في الحكّ دليل على أنّك في الكتب كثير الخطأ[7]

ومن التقاليد أيضا وضع القلم على الأذن، فقد كان معاوية بن أبي سفيان يكتب الوحي

---

[1]-المصدر نفسه، ص83. محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص162.

[2]-عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، ص374، 375.

[3]-محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص350.

[4]-المرجع نفسه، ص350.

[5]-انظر: نماذج من رسائل عمر المبحث الثاني من هذا الفصل.

[6]-محمّد فرقاني، المرجع السابق، ص351.

[7]-الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج1، ص104.

للنّبي، فإذا رأى من النبي إعراضا وضع القلم في فمه فأمره النّبي أن يضعه على أذنه، وكانت هذه الطّريقة معروفة بعدها[1]، وهي علامة يتميّز بها الكتّاب[2].

لقد تكلّم علماء الكتابة كثيرا عن كيفية الإملاء والكتابة ومسك القلم، والاستمداد وحركة اليد بالخط وغيره، «إنّ هذه التّفاصيل تدلّ دلالة واضحة على الفكر المنتج المحلّل عند العربي المسلم، وتدلّ على الرّوح العلميّة، وعلى الذّهنيّة الصّافية، وعلى القدرة الخارقة الفائقة في وضع القوانين العلمية للصّناعة، إنّ العرب لم يتركوا حالة من حالات الكتابة إلا وضعوا لها قانونا، فأسّسوا بذلك علما جديدا نظريّا وعمليّا، ترك آثارا إيجابية في الحضارة الإنسانية جمعاء»[3].

5-14-نسخ الكتاب ومقابلته وطيّه:

من قواعد وتقاليد الكتابة في العهد الأموي مراجعة الكتابة ونسخه، ومقابلة النّسخ بالأصل، فقد نصّوا على أنّه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي أن يتفقّده من أوّله لآخره، ويتتبّع ألفاظه ومعانيه، ويصلح ما في الكتاب من أخطاء، «ليسلم من قدح القادح وطعن الطّاعن»[4].

ثمّ تأتي بعد المراجعة مرحلة النّسخ، وهي نقل الكتاب دون ترك أيّ حرف، وقيل أوّل من عمل الكتب نسخا زياد بن أبيه[5]، فقد كان اطّلع على نظم الفرس والروم، فأمر بنسخ الكتب بعد ختمها[6]، واعتاد زياد على الاحتفاظ بنسخ من أوامره، حتّى إذا تقاعس البعض عن تنفيذ أوامره أو شذّوا في تحقيقها، كانت هناك نسخة ثبوتية إضافية تدينهم[7]، وقد حذا الخلفاء حذو زياد بن أبيه، فعرفوا نسخ الكتاب، وقد كانت كتب عمر بن عبد العزيز تنسخ وترسل إلى الولاّة، مع الاحتفاظ بنسخة عنه في محفوظات ديوان الرّسائل[8]، وكذلك لمّا عقد الوليد بن يزيد البيعة لابنيه الحكم

---

(1)-الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج1، ص157.

(2)-المرجع نفسه، ج2، ص167.

(3)-عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص70.

(4)-صبح الأعشى، ج6، ص262.

(5)-الصولي،أدب الكاتب، ص123.

(6)-أحمد السيّد دراج، صناعة الكتابة، ص32.

(7)-حسان حلاق، تعريب النقود، ص98.

(8)-محمد فرقاني، مرجع سابق، ج1، ص350.

وعثمان، كتب إلى واليه على العراق يوسف بن عمرو[1] بذلك، فكتب يوسف بن عمرو بدوره إلى نصر بن سيّار[2] نسخة من الكتاب، وكتب له: «بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن عمرو إلى نصر بن سيّار، أمّا بعد، فإنّي قد بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين...»[3].

وبعد النّسخ تأتي مرحلة المقابلة، فالملاحظ أنّ كتّاب الوثائق كانوا يحرصون على مقابلة النّسخ بالأصول، وكان أحيانا يشترك في المقابلة أكثر من واحد، يرد توقيعهم في نهاية النّسخ، وتكون المقابلة في مجلس واحد، ويحرص الناسخ على إتمام الكتاب وحفظه من الضياع والتلاعب[4].

فالنُّسخُ ذات أهمية كبيرة خاصة عند فقد الأصول، وتدلّنا الوثائق على أنّه إذا حدث ولم توقّع النّسخة من الحاكم، فإنّه يتم مقابلتها مرة أخرى على الأصل للتأكد من مطابقتها، ثم توقّع[5].

وعرف المتقدّمون أيضا نظام لفّ ورق البردي، وكان معروفا عند اليونانيين وفي العهد النّبوي، حيث كان الرسول يختم كتبه ويطويها[6]، والدّليل على وجود نظام الطّي قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾ [الأنبياء: 104]، فالآية تدل على أنّ الكتاب بصورة اللّفاف كان مألوفا[7].

ومع ذكر لفّ الكتاب نذكر فضّه وقراءته، والمراد بفضّه فكّ ختمه وفتحه، وطريقته أن يشقّ ظاهره قرب محلّ اللّصاق بسكّين، ثمّ يفتح، أمّا قراءته فيجب أن يكون قارئ الكتب على الخليفة فصيح اللّسان في النّطق، متقنا لقراءة الخطوط واللّغات، ويكرهُ طرح الكتب بل المطلوب حفظها فيما خصّص لها، حيث تجمع ويلصق أطرافها، وتوضع في مكان تجمع فيه الكتب[8]، وأحيانا كان الخليفة يرسل كتبه إلى الأقاليم ويأمر شخصا بقراءتها على النّاس بدلا عنه، مثل ما فعل يزيد بن

---

(1)–هو يوسف بن عمرو بن محمد بن الحكم الثّقفي أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي، ولي اليمن لهشام ، ثم ولاه العراق سنة 121، وأضاف إليه خراسان، قتله يزيد بن الوليد سنة 127. الزركلي، الأعلام، ج8، ص243.

(2)–هو نصر بن سيّار الكناني، كان شيخ مضر بخراسان، وولي إمرتها سنة 120، فقتله أبو مسلم الخرساني سنة 131. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص23.

(3)–تاريخ الطبري، ج7، ص218.

(4)–ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص162، 163.

(5)–المرجع نفسه، ص160، 161.

(6)–السامرائي: علم الاكتناه، ص362، 363.

(7)–المرجع نفسه، ص241– 242.

(8)–القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص 347، 349.

معاوية لما كتب إلى أهل المدينة يأمرهم بالمبايعة له، فأمر عثمان بن محمّد أن يقرأه عليهم ففعل[1].

5-15-تضمين الكتب الأسرار:

لقد استخدمت الكتب في مختلف الأغراض من أوامر وتعازي، ونصائح وبيعات، كما تضمّنت الكتب أسرارا من المرسِل إلى من أرسلت إليه، وقبل الحديث عن كيفيّة تضمين الأسرار في الكتب نشير إلى كتب أرسلت بيضاء من غير كتابة عليها، والرواية الوحيدة التي تذكرها المصادر في ذلك –حسب إطلاعي– هو ما بعثه معاوية إلى الحسن بن علي، فقد ذكر الطبّري وغيره أنّ معاوية بعث إلى الحسين صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: «أن اشترط في هذه الصّحيفة التي ختمت أسفلها ماشئت فهو لك»[2].

فيعدّ هذا العمل من معاوية حقنا للدماء، وهو من أغراض ختم الصحيفة في أسفلها دون أن يشترط فيها شيئا.

أما عن تضمين الأسرار فمما نذكره في هذا الباب ما رواه البلاذري وغيره، من أنّ يزيد بن معاوية لمّا تولى الخلافة لم يكن له همّ سوى أخذ البيعة من النّفر الذين لم يبايعوا أباه معاوية، فكتب إلى واليه على المدينة في صحيفة كبيرة يعلمه بموت معاوية، وكتب إليه في صحيفة أخرى كأنّها أذن فأرة: «أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتّى يبايعوا والسّلام»[3].

وبلغ هشام بن عبد الملك أنّ خالد القسري واليه على العراق قد سبّه وشتمه، ثم جاء بعد ذلك كتاب من خالد إلى هشام فغاضه الأمر، وقدم إلى هشام في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف، فقرأه هشام ثم قال لسالم مولى عتبة بن عبد الملك أجبه على لسانك، وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا، ثم طلب كتاب سالم صاحب الديوان، فأدرج فيه الكتاب الصّغير، وطلب من سالم ختمه، ودعى برسول يوسف فمزق ثيابه وضربه، وهذا ليلبّس على أصحابه، فلمّا رجع رسول يوسف إلى يوسف قال إنّ أمير المؤمنين ساخط وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك، وهذا كتاب سالم صاحب الدّيوان، ففض الكتاب وقرأه، ولمّا انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه:

---

[1]–ابن قتيبة، الإمامة والسيّاسة، ج1، ص177.

[2]–مصدر سابق، ج5، ص162. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص203.

[3]–أنساب الأشراف، ج5، ص313. الوزراء والكتاب، ص39. البداية والنهاية، ج8، ص127.

«أن سر إلى العراق فقد وليتك إيّاه، وإياك أن يعلم بذلك أحد، وخذ ابن النّصرانية —خالد القسري– فاشفني منه»[1].

5-16-مكاتبة المسلم لغير المسلم:

تختلف مكاتبة المسلم لغير المسلم عن مكاتبة المسلمين فيما بينهم، فهناك ضوابط وتقاليد تتّبع في مكاتبة غير المسلمين، حرص عليها الخلفاء، وأوردوها كتبهم، ومن ذلك ما ذكره القلقشندي من أنّ المسلم يكتب لغير المسلم من فلان إلى فلان، ويكتب: السّلام على من اتبّع الهدى، ويتخلص من أمّا بعد أحيانا، وجرى الأمر على هذا في عهد بن أمية ومن تلاهم[2]، وقد اصطلحوا على الدّعاء لهم بطول البقاء وما في معناه، فيجوز الدّعاء للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين، «وربمّا كان في طول بقائه حمل جزية أو غنيمة، أو ثواب جهاد أو نحو ذلك»[3].

ويذكر الكلاعي أنّ كتب غير المسلمين يترك فيها تبجيلهم، ولا يتعدّى الكاتب في العنوان قوله من فلان إلى فلان —كما أشرنا سابقا– ويجرّد الكتاب من أمّا بعد والبسملة والحمد والدّعاء والصّلاة على النّبي، وأن لا يدعو أهل الكفر بكناهم، فهي رفعة لهم، وكذلك يكتب إليهم في السّلام: السّلام على من اتبّع الهدى[4]. ويجوز أن يعظمهم بالنسبة لأقوامهم كأن يقول عظيم الروم، أو كبير قومه[5]، ومثل هذا عرف في العهد النبوي والراشدي[6].

ومع كل هذا يحتاج الكاتب —في مراسلة المخالفين للّسان العربي– إلى اختيار ألفاظ بسيطة مفهومة من تلك اللغة، على خلاف مراسلة اللسان العربي، التي يكون فيها الأسجاع وحسن التّأليف[7].

ونمثّل لكل هذه التّقاليد في مراسلة غير المسلمين بما كتبه الحجّاج إلى رتبيل يطلب منه ابن

---

(1)-الطبري، مصدر سابق، ج7، ص146-149. الجهشاري، مصدر سابق، ص39. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص357.

(2)-مصدر سابق، ج6، ص330-331.

(3)-المصدر نفسه، ص 274.

(4)-أحكام صنعة الكلام، ص84-88.

(5)-ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ج2، ص773.

(6)-انظر: رسائل النبي إلى ملوك عصره.

(7)-ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص26.

الأشعث حين فرّ إليه: «إنّي قد بعثت إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشّام يطلبون ابن الأشعث»[1].

وكتب عمر إلى خاقان ملك التّرك: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى خاقان ملك التّرك وقومه، ثبت السّلام على أولياء الله»[2].

هذا ما جاء في المصدر الذي لم يشر إلى دواعي كتابة الخليفة إليه بالذي كتب، وهل هي جزء من رسالة دعاه فيها إلى الإسلام، أم أنّ الرسالة تتعلّق بشيء آخر.

فمكاتبة غير المسلم بسيطة الألفاظ، مجرّدة من أيّ شعارات إسلامية، كالسّلام والبسملة والآيات القرآنية، ونادرا ما نجد ذلك في كتب غير المسلمين، ونذكر هنا رسالة كتبها ملك الرّوم إلى الوليد لمّا هدم كنيسة دمشق: «إنّك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقّا فقد خالفت أباك، وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك، فكتب إليه الوليد: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: 78-79][3]، وقلّما نجد ذكر الآيات في مراسلة غير المسلمين، وذلك حفظا لها من الإهانة والابتذال، فالكفّار غير مؤتمنين على ذلك.

---

[1]-ابن الجوزي،المنتظم، ج6، ص260.

[2]-أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص309. محمد فرقاني، رسائل عمر، ج3، ص1077.

[3]-أحمد زكي صفوت، مرجع سابق، ج2، ص254.

الفصل الثاني:

الكتاب ومكانتهم في الدولة الأموية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الدواوين وكتابها:

1-1-أقسام الكتاب في الدولة الأموية

لقد بلغت الدولة الإسلامية في العصر الأموي أقصى اتساع لها وأخذت الخلافة طابع الملك، كما صاحب ذلك ازدياد العرب معرفة بأحوال الأمصار المفتوحة، وبمتطلبات التطور في نظم الحكم، ومن ثم فإن الجهاز الإداري للدولة الإسلامية في العصر الأموي أخذ يتطور وينمو تبعا لهذه المتغيرات والمتطلبات، وقد تمثل ذلك في تطوير نظم الحكم والدواوين التي وضعت في عصر الخلفاء الراشدين، وفي إنشاء دواوين جديدة دعت الحاجة إليها، فضلا عن تعريب الدواوين ليتمكن العرب من الإشراف التام عليها، ومن تثبيت سلطان الدولة الإسلامية.

وتمشيا مع هذه الأوضاع التي أدت إلى تطوير ونمو الجهاز الإداري للدولة الإسلامية، وإلى تعدد مصالح الدولة وتزايد أغراضها ظهرت الحاجة إلى تحديد اختصاصات الكتاب [1]. ومن هنا فالحديث عن أقسام الكتاب في الدولة الأموية يدفعنا إلى الحديث عن أنواع الدواوين آنذاك.

فقد عرفت الدولة ديوان العطاء وديوان الخراج، وديوان الجند، واستحدث معاوية ديوان الخاتم وديوان البريد، وديوان الصدقات والطراز [2]، فتنوع الدواوين وكثرتها دليل على تنوع الكتاب وتعدد اختصاصاتهم، فقد كان لكل ديوان كاتب خاص، فالدولة الأموية عرفت تعددا وتنوعا في الكتاب لتعدد مصالحها، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن أنه لما انتقلت الخلافة إلى بني أمية تعدد الكتاب لتعدد مصالح الدولة وصار الكتاب أقساما: كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة والمظالم والصدقات، وكان كاتب الرسائل أهم هؤلاء الكتاب في الرتبة [3].

فكاتب الرسائل يخاطب الملوك والأمراء والعمال وغيرهم [4]، لذلك يحتاج إلى معرفة الفصول والوصول، ويكون حاذقا بالصدور والفتوح [5]. ونشير إلى أن كاتب الإنشاء نال المرتبة العليا بين الكتاب ليس فقط في الدولة الأموية بل ويعدها، فكان منصبه في الدولة الأموية لا يتولاه إلا أجلّ كتاب

---

[1]- أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة، ص 27.

[2]- فتحية النبراوي، تاريخ النظم، ص 113.

[3]- تاريخ الإسلام، ج1، ص 360، نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص 12.

[4]- أحمد السيد دراج، المرجع السابق، ص 27.

[5]- البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 418. مصطفى الحياري، الدواوين من كتاب الخراج، ص 9.

البلاغة ويسمى بالأجلّ، وقد عرف في الدولة العباسية باسم الوزير [1].

أما كاتب الخراج فيدون حساب الخراج داخله وخارجه [2]، ويحتاج إلى أن يكون عارفا بالحساب والمقاسمات والزرع والمساحة وكذا التقسيط [3]، أما كاتب الجند فيقيد أسماء الجنود وطبقاتهم وأعطياتهم ونفقات الأسلحة وغير ذلك [4] وينبغي له أن يعرف مع الحساب رواتب الجند وأوقاتها، وصفات الناس وشيات الدواب [5].

أما كاتب الشرطة فيكتب التقارير عما يقع من أحوال القصاص والديات [6]، وينبغي أن يكون عالما بالجروح والقصاص والديات [7].

أما عن كاتب المظالم، فالمعلوم أنه لم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد، وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة يوضحها حكم القضاء، ولكن بعد ذلك تجاهر الناس بالظلم والتغالب فاحتاجوا إلى النظر في المظالم، فكان أول من أفرد يوما للظلامات، يتصفح فيه قصص المتظلمين عبد الملك بن مروان، وندب عمر بن عبد العزيز نفسه للنظر في المظالم فردّها، وقد كان ملوك الفرس يرون ذلك من قواعد الملك وقوانين العدل الذي لا يعمّ الصلاح إلا بمراعاته [8].

وكانت مهمة صاحب ديوان المظالم:

- النظر في تعدي الولاة على الرعية.
- جور العمال فيما يجبون من الأموال.
- مراقبة كتاب الدواوين الأخرى لأنهم مؤتمنون على أعمالهم.
- رد المغصوب [9].

أما ديوان الخاتم فقد جعل لتكون الكتب التي يحتاج إلى ختمها بخاتم أمير المؤمنين تمر به وتثبت

---

[1]- صبح الأعشى، ج1، ص 136.

[2]- أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص 27.

[3]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 177، مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 9.

[4]- أحمد السيد دراج، مرجع السابق، ص 27.

[5]- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج4، ص 177. مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 9.

[6]- أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص 28.

[7]- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج4، ص 177، البيهقي، مصدر سابق، ص 418.

[8]- الماوردي، الأحكام، ص 149،150.

[9]- المصدر نفسه، ص 152-154.

فيه، وهو رسم كانت الفرس تجري أمرها عليه، لأن الملك منهم إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وأثبت في تذكرة عنده، ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب العمل فيكتب فيه كتابا يبدأ بإثباته في ديوان الأصل، ثم يعرض على الملك ويقابل به ما في التذكرة ويختم بحضرة الملك، أو بحضرة أوثق الناس عنده. وأول من استأنف هذا الديوان ورسم هذا الرسم في الإسلام زياد بن أبيه [1].

ونشير إلى أن مرجع هذه الدواوين كلها إلى ديوان الإنشاء والخراج والجند، يقول المقريزي: «واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام: كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الإنشاء والمكاتبات، ولابد لكل دولة من استعمال هذه الأقسام الثلاثة» [2].

هذا عن أقسام الكتاب بحسب الدواوين، أما داخل الديوان الواحد فقد تعدد الكتاب وتنوعت ماصاتهم أيضا، فهناك كتاب رئيسيون يقومون بالإنشاء، وآخرون يساعدونهم في التلخيص والتبييض، وخازن يشرف على المحفوظات [3].

فالكاتب الرئيسي إذا يستعين بكتاب مساعدين له ويدعون كتابا، فهم وإن كانوا خدام الكاتب ومعاونيه فاسم الكتابة يجمع بينهم، وينبغي أنْ يخصّ بالنصيب الأوفر من إكرامه [4].

وسبب اتخاذ كتاب مساعدين هو أن صاحب الديوان يضيق زمنه عن استيعاب كل الكتب الواردة، فناسب ذلك أن يتخذ كاتبا يتصفح الكتب الواردة ويلخصها في ألفاظ قليلة غير مخل بالمعنى[5].

وكان هناك كتاب مساعدون يحررون الرسائل والجوابات، وآخرون يقومون بنسخها ومراجعتها [6]، كما أن هناك كتاب يشتغلون بمقابلة الكتب والحسابات وأمور النفقات [7].

ويعد المترجمون أيضا من الكتاب المساعدين لمتولي الديوان، وكذلك الشهود كانوا يتولون الكتابة أحيانا، ويكثر الشهود خاصة مع القضاة، فقد كانوا يشهدون بالكتاب وختمه، وقد تتعدى مهمتهم

---

[1]- مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 76.

[2]- الخطط، ج1، ص 91.

[3]-أحمد السيد دراج، مرجع سابق، ص 30، عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص 279.

[4]- القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 115.

[5]- المصدر نفسه، ج6، ص 203.

[6]- قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص 63، 64. ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص 15.

[7]-قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص 36.

إلى كتابة العقود بين الناس. وكذلك كتابة الأحكام في سجلات [1].

ويدفعنا الحديث عن الكتاب إلى الحديث عن حامل الكتاب الذي عرف باسم البريد، والمعلوم أن البريد معناه مسافة مقدرة، وكان موجودا عند ملوك الفرس مع اختلاف المقادير [2]. والبريد في اللغة العربية مشتق من برد، بمعنى أرسل، فهي بذلك عربية أصيلة لذكرها في شعر العرب والحديث النبوي، وإنما أطلق اسم البريد على الرسول تجاوزا [3].

وبالإضافة إلى نقل الكتب كان صاحب البريد ينقل الأخبار من المرسَل إليه إلى المرسِل، ومما يدل على ذلك ما كتبه عبيد الله بن زياد إلى أحد عماله يأمره، فقد جاء في كتابه: «وقد أمرت حامل كتابي هذا أن يخبرني بما كان منك في ذلك والسلام» [4].

والمعلوم أن أول من أنشأ ديوانا للبريد في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان [5]، فعندما استقرت له الدولة أصبح في حاجة إلى أن تكون لديه الأخبار من الولايات كافة، فأنشأ ديوانا، واستعان بأهل الخبرة من الفرس والروم والقبط، فكان ديوان البريد، ومهنته الأولى إيصال الأخبار بسرعة، وأنشئت له محطات [6].

وأصبحت وظيفة صاحب البريد من أهم الوظائف الإدارية في العصر الأموي، ويتمتع صاحبها بنفوذ كبير، ويتولى تنفيذ ما يصدر عن الخليفة إلى عمال الأقاليم، ويتلقى ما يرد منهم إلى دار الخلافة، ويعرض خلاصته على الخليفة، وكانت هناك طرق تربط العاصمة دمشق بعواصم الأمصار، فهناك طريق يربط الكوفة بدمشق، وكذلك طريق المدينة ومكة وطريق بين الشام وخراسان[7].

لقد كان لهذا الديوان إذن مكانة خاصة لأنه قام بدور فعال في الاتصال والإعلام، وبالتالي ربط مختلف ولايات الدولة الإسلامية ببعضها البعض، وبالسلطة المركزية التي كانت بذلك تمسك بقوة بحبال تسيير هذه الولايات، مما قوى لحمة الوحدة، كما مكن ديوان البريد السلطة من إصدار قراراتها السليمة،

---

[1]- ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص 245.

[2]- القلقشندي، مصدر سابق، ج14، ص 411.

[3]- شحاذة الناطور، تجديد الدولة الأموية، ص 373.

[4]- أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص 231.

[5]- شحاذة الناطور، مرجع سابق، ص 337. فتحية النبراوي، مرجع سابق، ص 113.

[6]- شحاذة الناطور، مرجع سابق، ص 373، 374.

[7]- أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة، ص 33، 34.

على ضوء المعلومات التي كانت تنقل إليها، وتتابع مدى تنفيذها وصلاحيتها، فبحق كانت للبريد سلطة قوية على الدولة.

وكل هذا يدل على حرص الأمويين على انضباط الأمور في أرجاء الدولة الإسلامية، كما يؤكد حرصهم على أن تكون علاقتهم بعمال الأقاليم علاقة وثيقة، هذا وكان بديوان البريد خرائط توضح عليها المواقع خدمة للمسافرين [1].

ونشير هنا إلى أن نظام البريد قد تقدم في عهد عبد الملك، فلم يعد مجرد طريقة تبادل الخيل في المحطات وتقل الرسائل، بل أصبح نظاما يستفاد منه في الحالات العسكرية والحربية [2]، مثل ما فعل عبد الملك في ثورة ابن الأشعث، فقد كانوا يرسلون كل من يجهزون ومن دفعات على البريد [3].

وحظي نظام البريد أيضا باهتمام كبير في عهد عمر بن عبد العزيز، وإن «رعاية أمير المؤمنين لخطة البريد يعد أمرا حيويا، لما له من دور حاسم في معرفة ما يجري في الأقاليم لمواجهة ما يحتاج إلى مواجهة وحسم، ونقل أوامره وتعليماته إلى عماله، وكذا يعد هذا الاهتمام البالغ منه به تكملة لبنائه الذي بدأ على عهد معاوية، وتوسعة لنشاطه ومهامه» [4].

وكان صاحب البريد أو الخبر أشبه برئيس البوليس السري، أو رقيب أصحاب الأعمال، أو هو عبارة عن جاسوس الخليفة أو الأمير، أو عينه الباصرة وأذنه الساعية، ينقل إليه أخبار عماله أو مساعي أعدائه، فالبريد من هذا القبيل أشبه بالمخابرات [5]. ولأهميته وخطورته أوصى عبد الملك حاجبه أن لا نع صاحب البريد من الدخول عليه ليلا أو نهارا، لأن عدم دخوله ساعة يفسد أعمال الولاية سنة كاملة [6]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الحرص الشديد من الخلفاء على انضباط الأمور في أرجاء الدولة وتوطيد علاقاتهم بعمال الأقاليم.

1-2- قائمة كتاب الخلفاء الأمويين على الدواوين:

---

[1]- فتحية النبراوي، مرجع سابق، ص 113.

[2]-حسان حلاق، تعريب النقود، ص 99، 100.

[3]- شحاذة الناطور، مرجع سابق، ص 374، 375.

[4]- محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص 442.

[5]- جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج1، ص 230.

[6]- صبح الأعشى، ج14، ص 413. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص 374.

نحن إذ نعرض هنا قائمة بالكتاب نتعرض إلى ترجمة قصيرة لهم، وما لم نحصل له على ترجمة اكتفينا بذكر اسمه وأعطينا لكل كاتب رقما، وكانت القائمة كالآتي:

*** كتاب معاوية بن أبي سفيان:**

I. **على ديوان الخراج:** كتب لمعاوية على ديوان الخراج:

1. عبد الله بن دراج[1]: ولاه معاوية الخراج بالكوفة، بعد استقرار الأمر له، واستعمل على صلاتها المغيرة بن شعبة [2].

2. عبد الرحمن بن دراج: كتب لمعاوية على الخراج [3]، وذكر ابن عساكر أنه كتب له على الرسائل [4].

3. سرجون بن منصور الرومي: كتب لمعاوية وابنه يزيد ومعاوية الثاني وعبد الملك [5]. ويذكر ابن عساكر انه كان نصرانيا فأسلم، والأصح أنه لم يسلم، ويقال له سرحة، وبنيت له كنيسة بدمشق بعد الفتح، وصار كاتبا لمعاوية فيما بعد [6].

4. مرداس مولاه [7].

II. على ديوان الجند:

عمرو بن سعيد بن العاص [8]: ابن أمية بن عبد شمس أبو أمية الأموي المعروف بالأشدق، وهو عمرو بن سعيد الأصغر، أما عمرو بن سعيد الأكبر، فعم أبيه من كبار الصحابة [9]، يقال أن له رؤية للنبي ﷺ [10]، أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص أخت مروان بن الحكم، وكان عمرو من رجال

---

(1)- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 15.

(2)- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج28، ص 35.

(3)- الجهشياري، المصدر السابق، ص 15.

(4)- المصدر السابق، ج34، ص 340.

(5)- تاريخ خليفة، ص 189. الجهشياري، مصدر سابق، ص 19، 20، ابن عساكر، المصدر السابق، ج20، ص 161.

(6)- ابن عساكر، المصدر نفسه، ص 161.

(7)- الجهشياري، مصدر سابق، ص 16.

(8)- المصدر نفسه، ص 15.

(9)- عمرو بن سعيد الأكبر أمه صفية بنت المغيرة، كان ممن هاجر إلى الحبشة مع امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية، وشهد مع النبي الفتح وحنين والطائف وتبوك،و قتل شهيدا في خلافة أبي بكر. ابن سعد، الطبقات، ج4، ص 100. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص 260، 261.

(10)- ابن عساكر، مصدر سابق، ج46، ص 29، المزي، تهذيب الكمال، ج22، ص 35.

قريش، ومن أحب الناس لأهل الشام، ويكنى أبا أمية [1]، قتله عبد الملك سنة 70 هـ [2].

III. كتاب ديوان الرسائل:

6. عبيد الله بن أوس الغساني [3]: وذكر ابن كثير أنه كتب لمروان بن الحكم [4]، وقيل كان على ديوان الخاتم وليس الرسائل [5].

7. عبيد الله بن نصر بن الحجاج [6]: وذكر أنه كان على دواوين معاوية كلها [7].

8. جبير بن حية [8]: هو جبير بن حية بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي، والد زياد، روى عن عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة، كان يسكن الطائف وكان معلم كتاب، ثم قدم العراق، وصار من كتبة الديوان، فلما ولي زياد عظم شأنه فولاه أصبهان، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان [9].

9. عبد الله بن أبي بكرة [10]: واسمه نفيع ويقال مسروح أبو حاتم الثقفي [11]، الأمير من أبناء الصحابة، ولي سجستان، وكان مولده سنة 14، وكان جوادا ممدحا شجاعا كبير القدر، وكان أسود اللون، مات بسجستان سنة 79هـ [12]، وقيل سنة 80، فقد روي أنه جاء إلى سجستان فوهن وخار وأهلك جنده، وكان سلك مضيقا فأخذ عليه فهلك جنده، وقالوا اشتكى أذنه فمات سنة 80هـ [13].

---

[1]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج46، ص 32.

[2]- المصدر نفسه، ج40، ص 34، المزي، المصدر السابق، ج22، ص 39.

[3]- تاريخ خليفة، ص 141، الجهشياري، مصدر سابق، ص 15. القضاعي، الإنباء، ص 203.

[4]- البداية والنهاية، ج8، ص 220.

[5]- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 202.

[6]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 16.

[7]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج38، ص 129.

[8]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 16.

[9]-المزي، مصدر سابق، ج4، ص 502. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص 54،55.

[10]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 16، والمثبت في تاريخ دمشق عبيد الله، ج38، ص 142. مختصر تاريخ دمشق، ج16، ص 5.

[11]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج38، ص 129، مختصر تاريخ دمشق، ج16، ص 5.

[12]- تاريخ خليفة، ص 175، ابن عساكر، مصدر سابق، ج38، ص 142. مختصر تاريخ دمشق، ج16، ص 10. الذهبي، سير أعلام، ج4، ص 138.

[13]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج38، ص 142. مختصر تاريخ دمشق، ج16، ص 11.

IV. على الأختام وبيوت الأموال والخزائن:

10. عبد الرحمن بن أبي بكرة [1]: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بحر البصري [2]. هو أول مولود بالبصرة في الإسلام سنة 14 هـ، وتوفي سنة 96هـ [3]، وكان ثقة كبير القدر مقرئا عالما جوادا ممدحا [4]، ولاه زياد بيت المال [5].

11. عبيد الله بن عمرو الحميري [6].

*** كتاب يزيد بن معاوية:**

I. على الخراج والجند: سرجون بن منصور الرومي [7].

II. على الرسائل: عبيد الله بن أوس الغساني [8].

12. زمل بن عمرو العذري: كتب ليزيد بن معاوية وابنه معاوية الثاني [9].

*** كتاب معاوية بن يزيد:**

I. على الخراج والجند: سرجون بن منصور الرومي [10].

II. على الرسائل:

13. الريان بن سلم [11].

---

[1]- ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص 134، 135.

[2]-الذهبي، سير أعلام، ج4، ص319، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص 134.

[3]-الذهبي، سير أعلام، ج4، ص320.

[4]- تاريخ الطبري، ج5، ص 176، تهذيب التهذيب، ج6، ص 134، 135.

[5]- سير أعلام، ج4، ص 320، تهذيب التهذيب، ج6، ص 134.

[6]- تاريخ خليفة، ص 141، وقال الجهشياري، عبد الله بن محمد الحميري، ص 15.

[7]- سبق أنظر رقم 3.

[8]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 19، سبق أنظر رقم 6.

[9]- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 265.

[10]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 20، سبق رقم 3.

[11]- المصدر نفسه، ص 19.

* **كتاب مروان بن الحكم:**

I. على الخراج والجند: سرجون بن منصور [1].

14. أبو الزعيزعة مولاه [2]: وكتب لمروان بن الحكم [3].

II. على الرسائل:

15. سفيان الأحول [4].

* **كتاب عبد الملك بن مروان**

I. على ديوان الخراج: سرجون بن منصور [5].

16. صالح بن عبد الرحمن [6]: كان أبوه من سبي سجستان، وسبي معه صالح سنة 30، في خلافة عثمان على يد الربيع بن زياد الحارثي، ولما أعتق صالح تعلم العربية والفارسية، وكان فصيحا جميلا حافظا [7]، وكان صالح مع زادان فروخ كاتب الحجاج، فلما مات زادان في أيام ابن الأشعث استكتبه الحجاج[8]، وهو من عرّب ديوان الفارسية، وقتل في خلافة يزيد ين عبد الملك على يد عمرو بن هبيرة [9].

II. على ديوان الجند: سرجون بن منصور [10].

17. سليمان بن سعد الخشني [11]: من أهل الأردن كتب لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر،

---

[1]–المصدر نفسه، ص 20، سبق رقم 3.

[2]– المصدر نفسه، ص 20.

[3]– ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 99.

[4]– الجهشياري، مصدر سابق، ص 20. تاريخ دمشق، ج21، ص 367.

[5]–تاريخ خليفة، ص 189، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 24، سبق رقم 3.

[6]–كان صالح من كتاب الحجاج وإنما أوردناه ضمن قائمة كتاب عبد الملك لأنه كان معربا لديوان الفارسية، الذي أشرف على تعريبه عبد الملك، فأدرجناه ضمن كتاب عبد الملك لماله من دور في عملية التعريب والإدارة، الجهشياري، مصدر سابق، ص 23.

[7]–تاريخ دمشق، ج23، ص 343. مختصر تاريخ دمشق، ج11، ص 32. الزركلي، الأعلام، ج3، ص 192.

[8]– البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص 288.

[9]–ابن عساكر، المصدر السابق، ج23، ص 344. مختصر تاريخ دمشق، ج11، ص 32.

[10]– تاريخ خليفة، ص 189، سبق رقم 3.

[11]–المصدر نفسه، ص 189. وذكر الجهشياري أنه كان على الرسائل، مصدر سابق، ص 24.

وكان ملازما لعبد الملك [1].

III. على الرسائل: أبو الزعيزعة مولاه [2].

18. روح بن زنباع الجذامي [3]: هو روح بن زعامة بن سلامة بن حداد بن حديدة أبو زرعة ويقال أبو زنباع الجذامي الفلسطيني، ولأبيه زنباع صحبة، أما روح فأدرك النبي ولا تصح صحبته [4]، أمّره يزيد بن معاوية على جند فلسطين وشهد مرج راهط مع مروان [5]، وولي فلسطين في زمانه [6]، وكان روح ممن بعثه يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة سنة 63هـ، واستخلف على المدينة بعد القتال [7]، مات بالصنبرة [8] سنة 84هـ في خلافة عبد الملك [9].

19. ربيعة الجرشي [10]: هو ربيعة بن عمرو بن الحارث الجرشي، كان فقيه الناس زمن معاوية، وفقئت عينه يوم صفين [11].

20. شمعل النصراني [12].

21. المغيرة بن أبي قرة [13]: هو المغيرة بن أبي قرة السدوسي البصري، واسم أبي قرة عبيد بن قيس، روى عن أنس بن مالك [14].

---

[1]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج22، ص 317.

[2]- تاريخ خليفة، ص 189، الجهشياري، مصدر سابق، ص 21، سبق رقم 14.

[3]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 21.

[4]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 240. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 61-63.

[5]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 240. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 63.

[6]- تاريخ الطبري، ج5، ص 531. ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 245.

[7]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 186-191.

[8]-الصنبرة: موضع بالأردن بينه وبين طبرية ثلاثة أميال كان معاوية يشتو بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 482.

[9]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 251، المزي، تهذيب الكمال، ج8، ص 207. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 63.

[10]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 22.

[11]- ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص 72، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص 113، 114.

[12]-الجهشياري، مصدر سابق، ص 24.

[13]- المصدر نفسه، ص 23.

[14]- المزي، مصدر سابق، ج28، ص 494.

22. يزيد بن أبي مسلم [1]: أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي مولاهم، كان كاتبا للوليد واستكتبه سليمان [2] ثم عزله وولاه إفريقية سنة 102 [3]، فوسم على حرس البربر في أيديهم كلمة حرس، فأنكروا ذلك وملوا سيرته، فقتلوه في مصلاه عند المغرب [4].

IV. على ديوان الأختام وبيوت الأموال والخزائن:

23. قبيصة بن ذؤيب [5]: بن حلحلة الخزاعي أبو سعيد المدني [6]، ويقال أبو إسحاق، ولد عام الفتح [7]، وأتى به بعد موت أبيه إلى النبي ليدعو له [8]، كان من فقهاء المدينة وانتقل إلى الشام [9]، ومات بها سنة 86 وقيل 87 وقيل 88 وقيل 89 [10] والأصح سنة 86 [11].

24. عمرو بن الحارث الفهمي [12]: هو عمرو بن الحارث بن عبد الله العامري مولى بني عامر بن لؤي، كان على خاتم عبد الملك، وكاتبه بعد قبيصة، وكان على خاتم الوليد، سمع الحديث عن عائشة وكتب لعبد الله بن الزبير [13].

25. جناح مولاه [14]: يقال له أبو مروان، ويذكر أنه كتب للوليد على الرسائل وكان صاحب خاتمه [15].

***كتاب الوليد بن عبد الملك:**

---

[1]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 23.

[2]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص 310، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 282.

[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص 310، الذهبي، سير أعلام، ج4، ص394.

[4]-البلاذري، فتوح، ص 324.

[5]- تاريخ خليفة، ص 190، الجهشياري، مصدر سابق، ص 20.

[6]- المزي، مصدر سابق، ج23، ص 476، ابن حبان، الثقات، ج5، ص 318.

[7]- ابن حبان، مصدر سابق، ج5، ص 318، 319،ابن عبد البر، الإستيعاب، ج3، ص 336.

[8]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 171.

[9]- ابن حبان، مصدر سابق، ج5، ص 319.

[10]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 178، المزي، مصدر سابق، ج23، ص 480، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج8، ص 311.

[11]- تاريخ خليفة، ص 185. تاريخ دمشق، ج49، ص 252.

[12]- تاريخ خليفة، ص 190. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 23.

[13]-ابن عساكر، المصدر السابق، ج45، ص 452.

[14]-الجهشياري، مصدر سابق، ص 23.

[15]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج11، ص 284.

I. على ديوان الخراج:

سليمان بن سعد الخشني [1].

يزيد بن أبي مسلم [2].

26. نافع مولاه [3].

II. على ديوان الجند:

سليمان بن سعد [4].

III. على ديوان الرسائل:

27. القعقاع بن خليد [5]: هو القعقاع بن خليد بن جزء بن الحارث أبو زهير، شاعر فارس من وجوه رجالات دولة بني أمية [6].

جناح مولاه [7].

28. المفضل بن المهلب [8]: بن أبي صفرة الأزدي أبو غسان، وال من أبطال العرب ووجوههم في عصره، ولي جند فلسطين لسليمان، ثم شهد مع أخيه يزيد قيامه على بني مروان بالشام فقتل سنة 102هـ [9].

IV. على ديوان الأختام وبيوت الأموال:

29. شعيب الصابي [10].

جناح مولاه [11].

---

[1]-تاريخ خليفة، ص 199. الجهشياري، مصدر سابق، ص 29، سبق رقم 17.

[2]-ابن عساكر، مصدر سابق، ص 197، سبق رقم 22.

[3]- تاريخ خليفة، ص 197.

[4]- المصدر نفسه، ص 197، سبق رقم 17.

[5]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 29. والمثبت عند الطبري القعقاع بن خالد، ج6، ص 180.

[6]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص 347.

[7]- تاريخ خليفة، ص 199، سبق رقم 25.

[8]- القضاعي، عيون المعارف، ص 172، النويري، نهاية الإرب، ج21، ص 354.

[9]- الزركلي، الأعلام، ج7، ص 280.

[10]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 29.

[11]- المصدر نفسه، ص 26، سبق رقم 25.

*كتاب سليمان بن عبد الملك:

I. كتاب ديوان الخراج:

سليمان بن سعد [1].

II. على ديوان الرسائل

المغيرة بن أبي قرة [2].

30. الليث بن أبي رقية [3]: يقال مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، كان كاتب سليمان وعمر بن عبد العزيز، وكان ملازما له وروى عنه الحديث [4].

31. سليم بن نعيم الحميري [5].

32. ابن بطريق [6].

33. قرة بن شريك [7]: بن مرثد بن حرام العبسي، أمير مصر من قبل الوليد. وكان ظالما فاسقا جبارا، مات على إمرة مصر سنة 96، بعد أن وليها سبع سنين [8]، قال عنه الصفدي: «كان ظالما فاسقا جبارا خليعا، أمره الوليد بزيادة جامع الفسطاط، فكان إذا انصرف الصناع دعا بالخمر والطبل والمزمار ودخل بهم الجامع وقال لنا الليل ولهم النهار» [9].

34. يزيد بن أبي كبشة [10]: هو يزيد بن أبي كبشة الدمشقي السكسكي، من كبار الأمراء، واسم أبيه جبريل بن سيار [11]، كان يلي الصوائف في عهد عبد الملك ثم استعمله الوليد وسليمان [12]، ومات في عهد هذا الأخير بعدما تولى خراج العراق شهرا [1].

---

[1]- تاريخ خليفة، ص 204، سبق رقم 17.

[2]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 31، سبق رقم 21.

[3]- تاريخ خليفة، ص 204، الجهشياري، مصدر سابق، ص 29.

[4]- ابن عساكر، مصدر سابق، ص 5031، ص339، 340.

[5]-الجهشياري، مصدر سابق، 29.

[6]- المصدر نفسه، ص 30.

[7]- القضاعي، عيون المعارف، ص 170، النويري، مصدر سابق، ج21، ص 336.

[8]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص 456.

[9]- الوافي بالوفيات، ج24، ص 172.

[10]- القضاعي، عيون المعارف، ص 170، النويري، مصدر سابق، ج21، ص 336.

[11]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 443. الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص 180.

[12]- تاريخ دمشق، ج65، ص 362. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11، ص 310، 311.

III. على الأختام وبيوت الأموال والخزائن

35. نعيم بن سلامة الحميري [2].

36. عبد الله بن عمرو بن الحارث [3]: مولى بني عامر بن لؤي كان على بيت مال سليمان وهشام بن عبد الملك وكان أبوه على خاتم عبد الملك بعد قبيصة [4].

***كتاب عمر بن عبد العزيز:**

I. على ديوان الخراج والجند:

سليمان بن سعد الخشني [5].

37. صالح بن جبير الصدائي [6]: أبو محمد الشامي الطبراني، ويقال الفلسطيني الأردني، كان كاتب عمر بن عبد العزيز على الخراج والجند، وكتب ليزيد بن عبد الملك أيضا، وروى الحديث عن كثير من التابعين [7].

38. أبو الزناد [8]: هو عبد الله بن ذكوان، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، فغلب عليه اسم أبي الزناد، وأصله من همذان [9]. وكان مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة، امرأة عثمان بن عفان، وقيل مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، ويسمى أمير المؤمنين في الحديث [10]، وقيل كان أخا أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب [11]، قال عنه الذهبي: «ثقة فقيه صالح الحديث، صاحب سنة، وهو ممن نقوم به الحجة

---

[1]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج65، ص 362.

[2]- تاريخ خليفة، ص 204، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 30.

[3]-تاريخ خليفة، ص 204، الجهشياري، المصدر السابق، ص 30.

[4]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج31، ص 236.

[5]- الجهشياري، مصدر سابق، ص33، سبق رقم 17.

[6]- تاريخ خليفة، ص 208، والمثبت في مختصر تاريخ دمشق، الصيدائي الطبراني، ج11، ص 27.

[7]- المزي، تهذيب الكمال، ج13، ص 23.

[8]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 34.

[9]-ابن قتيبة، المعارف، ص 263، ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص 44.

[10]- المعارف، ص 263، المزي، المصدر السابق، ج14، ص 476.

[11]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص 44، الذهبي، سير أعلام،ج5، ص 545، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص 86، ابن حبان، الثقات، ج7، ص 6.

إذا روى عن الثقات» [1]، وكان فصيحا بالعربية عالما بها [2]، توفي بالمدينة في رمضان سنة 130هـ وهو ابن ستة وستين سنة [3]، وقيل توفي سنة 131 [4].

39. ميمون بن مهران [5]: هو ميمون بن مهران أبو أيوب، ولد سنة 40هـ [6]، كان مملوكا لامرأة من أهل الرقة، ثم أعتق، وكان أبوه مكاتبا لبني نصر بن معاوية [7]، وعرف ميمون بأمانته حتى يروى عنه أنه قال مرة: «ما أذكر أني أعطيت درهما في لهو» [8]، توفي بالرقة [9] سنة 116، وقيل 117، وقيل 118 [10].

40. عدي بن الصباح [11].

صالح بن جبير الصدائي [12].

II. على ديوان الرسائل:

الليث بن أبي رقية [13].

41. رجاء بن حيوة الكندي [14]: هو رجاء بن حيوة بن جندل، ويقال حزول ويقال جرول،

---

[1]- سير أعلام، ج5، ص 446.

[2]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص 49، سير أعلام، ج5، ص 448.

[3]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص 44، المزي، مصدر سابق، ج14، ص 483، سير أعلام، ج5، ص 450، ابن حبان، مصدر سابق، ج7، ص 7.

[4]- ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص 290، الصفدي، مصدر سابق، ج17، ص 86، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص 782.

[5]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 33، ابن عساكر، مصدر سابق، ج29، ص 224-225، المزي، مصدر سابق، ج29، ص 210، ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص 184.

[6]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص 336.

[7]- ابن قتيبة، المعارف، ص 255، ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص 342، 343، المزي، مصدر سابق، ج29، ص210.

[8]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص 356.

[9]- الرقة: مدينة مشهورة على الفرات معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 67.

[10]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص 368. المزي، مصدر سابق، ج29، ص 210، سير أعلام، ج5، ص 78.

[11]- تاريخ الطبري، ج6، ص 182.

[12]- مختصر تاريخ دمشق، ج11، ص 27، سبق رقم 37.

[13]- تاريخ خليفة، ص 208، الجهشياري، مصدر سابق، ص 33، سبق رقم 30.

[14]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 33.

بن الأحنف بن أسمط بن امرئ القيس، أبو المقدام، ويقال أبو نصر الكندي الأردني، ويقال الفلسطيني الفقيه، ولجده جرول بن أحنف صحبة [1]، كان ثقة فاضلا كثير العلم، وقبل قدومه الشام كان قاضيا [2]، وكان من عباد أهل الشام وزهادهم [3]، مات سنة 112 زمن هشام [4].

42. الصباح بن المثنى [5].

43. إسماعيل بن أبي حكيم [6]: القرشي المدني مولى عثمان بن عفان [7]، وقيل مولى الزبير بن العوام [8]، وهو في الحقيقة مولى أم خالد بن سعيد بن العاص، تزوجها الزبير وكان معهم فقيل مولى الزبير [9]، كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز ومن خاصته [10]، توفي سنة 130 بالمدينة [11].

III. على الخاتم وبيوت الأموال

نعيم بن سلامة [12].

***كتاب يزيد بن عبد الملك:**

I. على ديوان الخراج

سليمان بن سعد [13].

صالح بن جبير الصدائي [14].

---

[1]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 96، المزي، مصدر سابق، ج9، ص 151.

[2]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 100، 101.

[3]- ابن حبان، الثقات، ج4، ص 237.

[4]- ابن قتيبة، المعارف، ص 267، ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص 115، المزي، مصدر سابق، ج9، ص 157، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 363.

[5]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 33.

[6]- المصدر نفسه، ص 33، ابن عساكر، مصدر سابق، ج8، ص 389.

[7]- المزي، مصدر سابق، ج3، ص 63، ابن حبان، مصدر سابق، ج6، ص 36.

[8]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج8، ص 338.

[9]- المصدر نفسه، ص 338.

[10]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 36.

[11]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج8، ص 389، المزي، مصدر سابق، ج3، ص 65، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 36، ابن حبان، مصدر سابق، ج6، ص 36.

[12]- تاريخ خليفة، ص 208، سبق رقم 35.

[13]- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 34، سبق رقم 17.

[14]- تاريخ خليفة، ص 215، سبق رقم 37.

44. أسامة بن زيد [1]: بن عدي أبو عيسى التنوخي الكاتب مولى سليح، ولي الكتابة للوليد بن عبد الملك ثم ولي الخراج لهشام بن عبد الملك، وكان قبل ذلك واليا على مصر ما بين 96 و 99هـ [2].

45. سعيد بن عقبة [3]: مولى الحارث بن كعب كاتب يزيد بن عبد الملك وهشام على الخراج والجند، ومكث واليا على ديوان العرب حتى مات هشام، فانصرف سعيد إلى طبرية، واستخلف ابنه محمد فأقره الوليد بن يزيد حتى مات [4].

II. على ديوان الجند

صالح بن جبير الصدائي [5].

أسامة بن زيد [6].

III. على ديوان الرسائل

أسامة بن زيد [7].

IV. على ديوان الخاتم وبيوت الأموال

46. مطير مولاه [8].

أسامة بن زيد [9].

***كتاب هشام بن عبد الملك**

I. على ديوان الخراج والجند

أسامة بن زيد [10].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 215، الجهشياري، المصدر السابق، ص 35.

[2]- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج8، ص 83، ابن حبان، الثقات، ج6، ص 74.

[3]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج21، ص 236.

[4]- المصدر نفسه، ص 236.

[5]- تاريخ خليفة، ص 215، سبق رقم 37.

[6]- المصدر نفسه، ص 215، الجهشاري، مصدر سابق، ص 35، سبق رقم 44.

[7]- الجمهشاري، مصدر سابق، ص 34، سبق رقم 44.

[8]- تاريخ خليفة، ص 215.

[9]- المصدر نفسه، ص 215، سبق رقم 44.

[10]- المصدر نفسه، ص 235.

47. عبيد الله بن الحبحاب [1]: كان كاتبا لهشام ثم ولاه مصر، ثم إفريقية، ثم عزل سنة 116هـ، قتله أبو جعفر المنصور يوم الإثنين لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 132هـ [2].

سعيد بن عقبة [3].

II. على ديوان الرسائل

48. جنادة بن أبي خالد [4]: من أهل الشام كان على الرسائل والطراز لهشام [5].

49. سعيد بن الوليد الأبرش [6].

50. سالم بن عبد الرحمن مولاه [7]: ويقال سالم بن عبد الله أبو العلاء مولى هشام، ويقال مولى سعيد بن عبد الملك، كتب لهشام والوليد بن يزيد على الرسائل [8].

51. إسحاق بن قبيصة [9].

III. على ديوان الخاتم وبيوت الأموال

52. الربيع بن شابور مولى بني الحريش [10]: وقال الطبري الربيع بن سابور جعله هشام على الخاتم والحرس [11].

53. عبد الله بن عمرو بن الحارث [12].

***كتاب الوليد بن يزيد**

I. على ديوان الخراج والجند

---

[1]- المصدر نفسه، ص 235.

[2]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج37، ص 415، مختصر تاريخ دمشق، ج15، ص 307، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 478.

[3]- تاريخ خليفة، ص 235، سبق رقم 45.

[4]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 38.

[5]-البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص 234، ابن حجر، لسان الميزان، ج2، ص 171-172.

[6]- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 37.

[7]- تاريخ خليفة، ص 235، الجهشياري، مصدر سابق، ص 39.

[8]- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج20، ص 79.

[9]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 38.

[10]- تاريخ خليفة، ص 235.

[11]- تاريخ الطبري، ج7، ص 148.

[12]- تاريخ خليفة، ص 235.

54. عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف [1].

55. الحجاج بن عمير [2].

II. على ديوان الرسائل

56. بكير بن الشماخ [3].

سالم مولى سعيد بن عبد الملك [4].

57. عبد الله بن سالم [5]: ويقال عبد الرحمن الكاتب، وهو ابن سالم مولى سعيد بن عبد الملك، استكتبه الوليد بعد أبيه [6].

58. عبد الأعلى بن أبي عمرة [7]: كان أبوه من سبي خالد بن الوليد لما نزل على عين التمر، وكان عبد الأعلى مولى لبني شيبان [8].

59. عمرو بن عتبة [9]: بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو سفيان القرشي الأموي العتبي، قدم على يزيد بن معاوية وعلى عبد الملك بن مروان، وكان من سكان البصرة [10].

III. على ديوان الخاتم وبيوت الأموال

60. بيهس بن زميل [11].

61. عبد الرحمن بن حنبل الكلبي [12]: وقال ابن عساكر عبد الرحمن بن جميل الكلبي [13].

---

[1]–تاريخ خليفة، ص 239، الجهشياري، مصدر سابق، ص 44.

[2]– تاريخ خليفة، ص 239.

[3]–الجهشياري، مصدر سابق، ص 43.

[4]– تاريخ خليفة، ص 239، سبق رقم 50.

[5]–المصدر نفسه، ص 239، الجهشياري، مصدر سابق، ص 44.

[6]– ابن عساكر، مصدر سابق، ج29، ص 3.

[7]– الجهشياري، مصدر سابق، ص44.

[8]– ابن عساكر، مصدر سابق، ج33، ص 416.

[9]– الجهشياري، مصدر سابق، ص44.

[10]– ابن عساكر، مصدر سابق، ج46، ص 272.

[11]– الجهشياري، مصدر سابق، ص 44.

[12]– تاريخ خليفة، ص 239.

[13]– مصدر سابق، ج49، ص 343.

62. رباح بن أبي عمارة [1].

*كتاب يزيد بن الوليد:

I. على ديوان الخراج

63. النضر بن عمر [2].

II. على ديوان الرسائل

64. عبد الله بن نعيم [3]: هو عبد الله بن نعيم بن همام القيني الشامي، وذكر أنه كتب لعمر بن عبد العزيز [4].

65. ثابت بن سليمان بن سعد الخشني [5]: كان أبوه كاتبا لعبد الملك،و في داره اختفى يزيد بن الوليد ليلة غلب على دمشق، وكان مولى لخشين [6].

66. ليث بن سليمان بن سعد [7].

III. على ديوان الخاتم وبيوت الأموال

عبد الرحمن بن حنبل الكلبي [8].

عمرو بن الحارث [9].

67. قطن مولاه [10].

68. النضر بن عمر [11].

*كتاب إبراهيم بن الوليد

---

[1]- تاريخ خليفة، ص 239.

[2]- المصدر نفسه، ص 242.

[3]- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 44.

[4]- تاريخ دمشق، ج33، ص 264، المزي، تهذيب الكمال، ج16، ص 223، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص 52.

[5]- الجهشياري، المصدر السابق، ص 44.

[6]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج11، ص 125.

[7]- تاريخ خليفة، ص 242، ابن عساكر، المصدر السابق ج50، ص 380،381.

[8]- تاريخ خليفة، ص 242، سبق رقم 61.

[9]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 44، سبق رقم 24.

[10]- تاريخ خليفة، ص 242، الجهشياري، المصدر السابق، ص 44.

[11]- تاريخ خليفة، ص 242، الجهشياري، المصدر السابق، ص 44.

I. على ديوان الرسائل

69. إبراهيم بن أبي جمعة [1].

***كتاب مروان بن محمد:**

I. على ديوان الخراج والجند

70. عمران بن صالح [2]: تولى الخراج والجند وبيوت الأموال والخزائن لمروان [3].

II. على ديوان الرسائل

71. عبد الحميد بن يحي [4]: عبد الحميد بن يحي بن سعد أبو يحي الكاتب مولى بني عامر بن لؤي، ويقال بني عامر من كنانه [5]، أصله أنباري ثم سكن الرقة،و كان في أول الأمر مؤدبا، فتنقل في البلدان، وعنه أخذت كتابة الرسائل [6]، قتل مع مروان سنة 132 على يد أبي العباس السفاح [7].

72. مصعب بن ربيع الخثعمي [8].

73. مخلد بن محمد بن الحارث [9].

III. على ديوان الأختام وبيوت الأموال والخزائن

74. زياد بن أبي الورد [10].

75. عبد الاعلى بن ميمون بن مهران [11]: مولى أزد كنيته أبو عبد الرحمن مات سنة

---

[1]- الجهشياري، المصدر السابق، ص 45. ابن عساكر، مصدر سابق، ج6، ص 376.

[2]- تاريخ خليفة، ص 267.

[3]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج43، ص 503.

[4]- تاريخ خليفة، ص 267، الجهشياري، مصدر سابق، ص 45. ابن عساكر، مصدر سابق، ج34، ص 92.

[5]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج34، ص 92.

[6]- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 470.

[7]- ابن عساكر، مصدر سابق، ج34، ص 95. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 471.

[8]- الجهشياري، مصدر سابق، ص 45.

[9]- المصدر نفسه، ص 52.

[10]- المصدر نفسه، ص 52.

[11]- تاريخ خليفة، ص 267.

147[1].

عمران بن صالح مولى هذيل [2].

هذه هي قائمة كتاب الخلفاء على الدواوين –حسب ما وصلت إليه– ونشير في الأخير إلى أن تقسيم كتاب الخلفاء على هذه الشكل ليس ابتداعا، وإنما اتبعنا فيه تقسيم خليفة بن خياط في تاريخه، وأشير أيضا إلى أنني لم أعثر على كتاب بعض الخلفاء في الدواوين خاصة ديوان الجند، ولعل ذلك تولاه كتاب الخراج أنفسهم، أو كتاب أي ديوان آخر.

ونشير أيضا أن بعض المصادر –مثل الجهشياري– لم تذكر تخصصات بعض الكتاب بل عبرت عنه بلفظ: كتب للخليفة فلان فلان، دون أن نشير هل هو كاتب رسائل أم خراج أم جند، ومثل هؤلاء الكتاب أدرجناهم ضمن كتاب الرسائل وديوان الإنشاء.

3.1 الكتاب من الموالي وأهل الذمة:

دخل الموالي الإسلام وتعلموا العربية وشاركوا العرب في ثقافتهم، ورأوا في دخولهم للإسلام انتماء للعرب بل عدوا العربية مرادفة للإسلام [3] وكان بنو أمية كثيرا ما يعتمدون على الموالي في كتابهم ودواوينهم، فلم تمنعهم أصولهم من تولي مناصب الدولة، فقد استعمل معاوية مولاه عبد الرحمن بن دراج في الكتابة، وكان على ديوان رسائل عبد الملك أبو الزعيزعة مولاه، وكتب للوليد على ديوان الرسائل جناح مولاه، وعلى المستغلات نفيع بن ذؤيب مولاه، وكتب لسليمان أيضا ليث بن أبي رقية مولى أم الحكم بنت أبي سفيان، وعلى ديوان الخاتم المولى نعيم بن سلامة، وكتب لعمر بن عبد العزيز ليث بن أبي فروة مولى أم الحكم وإسماعيل بن أبي الحكم مولى الزبير وغيرهم [4].

وقد نال هؤلاء الموالي مكانة كغيرهم من الكتاب، رغم ما ذكر من أنهم يشكلون طبقة ثانية في الدولة الأموية، وأنهم أدنى مرتبة في البيئة الاجتماعية، ولذلك سخط الموالي، وصاروا فيما بعد ميالين لاعتناق جميع الاعتقادات المعادية للإسلام [5]، كما وصفت معاملة الأمويين للموالي بأنها معاملة إذلال

---

[1]– البخاري، التاريخ الكبير، ج6، ص 70، ابن عساكر، مصدر سابق، ج33، ص 45، ابن حبان، الثقات، ج7، ص 129.

[2]– تاريخ خليفة، ص 276، سبق رقم 70.

[3]– عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، ص 145، 146.

[4]– الجهشياري، مصدر سابق، ص 15–54، محمد كرد علي، أمراء البيان، ص 30.

[5]– محمود المقداد، الموالي ونظام الولاء، ص 173، 174.

وهوان، تنم عن استعلاء واحتقار وتعصب شديد، وإهمال لأحكام الإسلام وشريعته وفكره، وحقوق هذه الشعوب التي دانت لهم، فقد تعصبوا للعرب دون غيرهم [1].

وليس هذا ما يقال فحسب بل ذكر أنهم كانوا غير راضين في الدولة الأموية، لأنهم كانوا ينتظرون مع اعتناقهم للإسلام المساواة مع العنصر العربي في كل النواحي، إلا أن المساواة لم تكن موجودة فقد كانت أجروهم منخفضة [2].

ولكن كل هذا الكلام مردود لأنه حتى وإن وجدت حالات اضطهاد للموالي –إن صح التعبير– لا تعبر عن رأي عام ولا عن رأي الإسلام، ثم إنه أيضا كان هناك في صفوف الموالي من غلبت عليه عصبيته، ورغم حالات التعصب في الجانبين فقد نال كثير من الموالي الذين أخلصوا للإسلام مكانة عالية عند الخلفاء والمسلمين من عرب وموالي [3].

أما القول بأن أجورهم كانت منخفضة فهو كلام لا يستند إلى أي دليل خاصة وأن المصادر لم تفصل لنا كثيرا في أجور العمال كما سنذكر [4].

ونذكر على سبيل المثال ما فرضه عمر لعماله، فقد فرض لهم ما بين المائة دينار إلى الثلاثمائة دينار في الشهر وذلك سعيا لتحريرهم من ضغوط الإغراء المادي [5].

ولا شك أن هذا الإجراء يشمل الموالي أيضا باعتبارهم عمالا، ويتصرفون في الأعمال والإدارة، فلا فرق بينهم وبين سائر العمال، بل بالعكس ففي خلافة هشام الذي يتهم بالتعصب للعرب، ولا يحسب حسابا للموالي كان كاتبه أحد الموالي عظيمي المنزلة عنده، هو سالم بن جبلة مولاه، وكان كثير الإذلال عليه، حتى لكأنه هو أمّر هشاما [6].

"إن حقائق التاريخ تثبت بغير شك أن كثيرا من الموالي قد احتل مكانة كبيرة في العصر الأموي، سواء كان ذلك في الحياة السياسية أو الإدارية أو العسكرية، وإن الأمويين قد أفسحوا لهم

---

[1]– حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص 351.

[2]- Juseph Burlot، La civilisation islamique, p. 38.

[3]– حمدي شاهين، المرجع السابق، ص 354، 355.

[4]– أنظر المبحث الثالث من هذا الفصل.

[5]– محمد فرقاني، رسائل عمر، ج1، ص 342.

[6]– حمدي شاهين، مرجع سابق، ص 373.

مكانا ظل يتسع تدريجيا للمشاركة في الحكم والإدارة" [1].

هذا عن الموالي، أما عن استخدام أهل الذمة فقد كنا أشرنا إلى أن أبا عبيدة كتب إلى عمر بن الخطاب كتابا، فوصله وعنده أبو موسى الأشعري، فقال عمر: يا أبا موسى أدع كاتبك يقرأ كتاب أبا عبيدة، فقال: إنه لا يدخل المسجد، قال: ولم أجنب هو؟ قال: لا، ولكنه نصراني، فصاح عليه عمر صيحة وانتهره، وقال: عزمت عليك إلا عزلته ثم قال: لا تقربوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله، فعزل أبو موسى كاتبه وطرده [2].

فهذا يبرز أن أهل الذمة كانوا في البداية مبعدين عن تولي الوظائف الإدارية، وذلك احتقارا لهم من جهة، وخوفا على أسرار الدولة وشؤونها من جهة أخرى.

ولكن مع مرور الزمن وتغير الظروف اضطر الأمويون إلى استخدام أهل الذمة في جميع الوظائف كالجيش ورئاسة الدواوين وغيرها، مما جعل أهل الذمة مساوين للمسلمين في جميع الحقوق السياسية، وهذا يعد مظهرا من مظاهر التسامح الإسلامي [3].

فقد عرف العهد الأموي إذن استخدام أهل الذمة في الشؤون الإدارية،و استعمل الخلفاء كتابا من غير المسلمين، فقد ثبت أن معاوية استعمل ابن أثال النصراني على خراج حمص [4]، وكتب لعبد الملك شمعل النصراني [5]، وكتب لهشام على ديوان حمص تاذرى بن أسطين النصراني [6].

نذكر في هذا المجال أن أهل الذمة حصلوا في ظل الإسلام على مكاسب جمة، ونخص بالذكر أسرة سرجون بن منصور في دمشق التي تولت الإشراف على ديوان الخراج منذ عهد معاوية إلى أيام خلافة عبد الملك، حيث تم إبعاد منصور بن سرجون بعد تعريب الديوان سنة 81هـ [7].

ولا يختلف حال ديوان خراج العراق على حال ديوان خراج الشام، فقد كان زياد بن أبيه قد ولى عليه أحد المجوس ويدعى زادان فروخ الذي بقي على إدارته حتى قتل في فتنة ابن الأشعث، فعرب بعدها

---

[1]- المرجع نفسه، ص 368.

[2]- ابن عبد البر، بهجة المجالس، ج1، ص 359.

[3]- حسن المي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، ص 131، 132.

[4]-تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 223. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 16.

[5]- الجهشياري، المصدر السابق، ص 24.

[6]- المصدر نفسه، ص 38.

[7]- محمد فرقاني، مرجع سابق، ج3، ص 1028.

على يد صالح بن عبد الرحمن [1].

وهذا لا يعني أن الخلفاء كلهم كانوا يحملون وجهات نظر مرنة تجاه أهل الذمة فاستعملوهم على الدواوين، بل كان هناك من الخلفاء الأمويين من تشدد في أمرهم، وأبعدهم عن الإدارة والكتابة، ولعل أكبر من شدد في ذلك عمر بن عبد العزيز، حيث كتب إلى عماله في الأقاليم ينهاهم عن استخدام غير المسلمين، وورد في كتابه: «... قد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى أنهم إذا قدموا بلدا أتاهم أهل الشرك فاستعانوا بهم في أعمالهم وكتاباتهم، لعلمهم بالكتابة والجباية والتدبير، ولا خيرة فيما يغضب الله ورسوله، وقد كان لهم في ذلك مدة، وقد قضاها الله تعالى، فلا أعلمن أن أحدا من العمال أبقى في عمله رجلا متصرفا على غير دين الإسلام إلا نكلت به، فإن محو أعمالهم كمحو دينهم» [2].

ولا هذا الإجراء من عمر يرجع إلى تغير الظروف وزوال أسباب الاستعانة بهم، خاصة بعد تعريب الدواوين في عهد عبد الملك.

هذا ونشير في جانب تشديد عمر على أهل الذمة أنه منع المسلمين من العمل عند غير المسلم [3]، وكان يعرض على أهل الذمة أن يختاروا بين العزل والإسلام، وهذا هو موقفه العام الصائب منهم، وفي تقديرنا أن هذا الإجراء تزامن مع عملية دعوته لأهل الذمة إلى الإسلام، الذي كان قد أمر ولاته أن يقوموا بها معه [4].

2. الشروط والصفات الواجب توفرها في الكتاب

1.2 الشروط العلمية والثقافية:

ليس كل شخص مؤهلا لتولي وظيفة الكتابة، وإنما ينبغي أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط، فلقد اشترط الفقهاء أن يكون الكاتب عالما بالطرق الرسمية، «ولا ينبغي أن ينتصب لكتابة الوثائق إلا العلماء العدول، ولا يكتب بين الناس إلا عارفا بها عدلا في نفسه، مأمونا على ما يكتبه» [5].

فالكتابة الجيدة إذن تحتاج إلى أدوات جمة وآلات كثيرة من معرفة بالعربية لتصحيح الألفاظ

---

[1]- المرجع نفسه، ص 1028، وسيأتي الحديث عن التعريب في الفصل الثالث.

[2]-ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ج1، ص 212، 213.

[3]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 436.

[4]- محمد فرقاني، مرجع سابق، ج1، ص 424.

[5]- ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص 240.

وإصابة المعاني، وإلى أدوات الحساب وعلم الأهلة والمساحة وغير ذلك [1].

وعلى الكاتب أن تكون له ملكة التمييز ما بين الرديء والجيد من الكلام أو الشعر، وأن يعرف فصيح الألفاظ وغريبها، وعلى الكاتب الإسلامي بالإضافة إلى ذلك أن يكون عالما بكتاب الله والفرائض، جيّد الخط، راويا للأشعار، ويكون عارفا بأيام العرب وأمثالها وتواريخها وسيرها [2]، وهو ما عبر عنه قدامة بن جعفر بقوله: «أن يكون كاتبا مرسلا خطاطا أديبا، حافظا للتواريخ وأيام الناس، وسير الملوك وأخبار المتقدمين من الأمم الماضية» [3].

ونجد في رسالة عبد الحميد إلى الكتاب ما يتعلق بعلم الكاتب وثقافته، فقد جاء فيها: «... فتنافسوا معشر الكتاب في صفوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم، ولا يضعفن نظركم في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج منكم» [4].

يقول الكلاعي: «ومما يستحب للكاتب أن يكون عالما بالمحاضر والسجلات مضطلعا بحمل الدعاوى والبيانات، حافظا لأحاديث الرسول، متفقها في الفرائض والأصول حسن الإيراد والقبول، عارفا بنعوت الرقيق من أهل الحساب والتدقيق» [5].

فحفظ كتاب الله تعالى من أول ما يبتدئ به الكاتب،و عليه مداومة قراءته وفهم معانيه ليستدل بها في الكتاب فتكون حجة قوية، ومن ذلك ما كتبه الحسن البصري إلى معاوية: «أما بعد فإن الله بعث محمدا ﷺ رحمة للعالمين ورسولا إلى الناس أجمعين، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين» [6].

ويحتاج الكاتب بعد حفظ القرآن إلى حفظ الحديث وقراءة كتب النحو، وحفظ خطب البلغاء،

---

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 154.

[2]- هاني العمد، أدب الكتابة، ص 19، 201.

[3]- الخراج وصناعة الكتابة، ص 481.

[4]- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 48. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 119، أحمد زكي صفوت، جهرة رسائل، ج2، ص 456.

[5]-أحكام صنعة الكلام، ص 211.

[6]- النويري، نهاية الإرب، ج7، ص 27-29.

وأشعار العرب وأمثالهم [1]، ويضيف القلقشندي أن الكاتب محتاج إلى مغرفة الطب والهندسة، والألفاظ الدائرة في كل علم ليوظف الألفاظ حسب الفن الذي يكتب فيه [2]، وعليه معرفة الأزمنة والأوقات والأيام والشهور والأعياد وأوصاف الأرض، والبحار والأقاليم والخلفاء والأسماء والكنى، وحتى مقادير الورق وما يناسبها من الأقلام [3].

وينبغي على الكاتب أيضا معرفة قواعد رسوم الخط من همز ومد وقصر ونقط وشكل[4].

ومن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الكاتب العلم بترتيب أعمال الدواوين لأنه هو المشرف عليها، وكذا الخبرة، بمجاري الأعمال والدربة بوجوه استخراج الأموال [5]، ويكون عالما بالفقه نلافات الفقهية، حتى لا يوجب ولا يسقط حقا،و عليه أن يكون عالما بفقه الوثائق ومصطلحاتها المناسبة، وعالما بمراتب أشخاص الوثيقة [6]، حتى ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام[7].

وعلى الكاتب أن يعرف مراتب الدعاء ليوقعها مواقعها، ويحسن الدعاء وينوعه [8]، وكذلك معرفة أنواع الكتب وأغراضها من عهود أو تقليد أو حرب أو ولاية ثغر، حتى يوظف لها ألفاظها المناسبة [9].

ويلزمه أن يكون بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة واليقظة والاستدلال بيسير القول عن كثيره، وببعض الشيء على جميعه، ويستغني عن التصريح بالإشارة، والإيماء، لا بل بالرمز والإيحاء[10].

وينبغي على الكاتب أيضا معرفة ما يتعلق بأهل الذمة فيما يجوز لهم توليته، ومن يعقد له عقدة

---

(1)–ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج4، ص 175، النويري، مصدر سابق، ج7، ص 28.

(2)–مصدر سابق، ج1، ص 181.

(3)– المصدر نفسه، ص 39-47.

(4)– ابن درستويه، كتاب الكتاب، ص 10-66.

(5)– النحاس، عمدة الكتاب، ص 28.

(6)– ناهد حمدي، مرجع سابق، ص 240-242.

(7)–ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 18، القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص 281-283.

(8)– القلقشندي، مصدر سابق، ج6، 272.

(9)– قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص 38-50.

(10)– ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص 19.

الذمة ومدته، وما يطلب منهم [1]، ومن شروط الكاتب أيضا المعرفة باللغة العجمية كالفارسية والرومية، فهو يحتاج إلى معرفة لغة الكتب الواردة، ليفهمها ويجيب عليها من غير ترجمان، فهذا أصون للسر [2].

وهذا ما فعله زيد بن ثابت كما ذكرنا [3]، حيث تعلم السريانية والعبرانية، وكان يقرأ كتبهم على النبي ﷺ ويجيبهم عنه، وكذلك كان كتاب الخلفاء الذين عربوا الدواوين فقد كانوا على معرفة بلغات الدواوين الأصلية، من فارسية ورومية وقبطية [4].

ونشير أيضا أنه على الكاتب معرفة الألفاظ الفصيحة من العامية السوقية حتى لا تنحط مرتبته من الخاصة إلى العامة [5]، وعليه كما يذكر ابن الصيرفي: «أن يكون شديد الذكاء جيدا الاستخراج سائر الخطوط الغريبة مقاربها وصالحها» [6]، ويقول السامرائي في ذلك: «وهنا لابد من كلمة توضيحية، وهي أن كل كاتب ليس بالضرورة خطاطا، فإن بعض الناس أوتوا موهبة فيه، وبعضهم عاطل عن هذه الموهبة» [7].

ويحتاج الكاتب مع ذلك إلى خلال منها جودة بري القلم وإطالة جلفته وتحريف قطته [8].

ومع كل ما ذكرنا ينبغي أن يكون حسن القراءة وطلق اللسان، لأنّ مجلس الخليفة تحضره الأعيان والعلماء، فإذا لم يكن طلق العبارة فصيح اللسان تعذرت قراءته، فتمرقه العيون، ويتكلم عنه القوم [9].

ونستعرض الآن الشروط العلمية للكتاب كما وردت عند ابن الأثير، فعنده أن الكاتب يحتاج إلى معرفة علم العربية من النحو والتصريف والغريب والمستنكر فيها، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم، والإطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة، وعليه معرفة

---

[1]- القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص 359-361.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص 202.

[3]- أنظر التمهيد عند الكلام عن كتب النبي ﷺ.

[4]- أنظر الفصل الثالث عند الكلام عن التعريب.

[5]- القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص 267.

[6]- مصدر سابق، ص 21.

[7]- علم الاكتناه، ص 218.

[8]- النويري، مصدر سابق، ج7، ص 20.

[9]- المصدر نفسه، ج9، ص 3.

الأحكام السلطانية كالإمامة والقضاء والحسبة، وعليه حفظ القرآن وتوظيفه في الكلام، وحفظ ما يحتاج إليه من أخبار الرسول، وعلم العروض والقوافي [1].

ونشير في الأخير أن هناك شروطا خاصة لمتولي كل ديوان، فأما متولي ديوان الخراج فيقول عنه مصطفى الحياري: «أما المعرفة الضرورية لكتاب هذا الديوان فتتعلق بمعرفة أصول الأموال،و تفصيلها التي تحمل إلى بيت المال،و كيفية جبايتها وتحصيلها، وأحكام الأراضي ووظائفها وأملاك أهلها، وما يجوز للإمام أن يقطعه منها، ووجوه إنفاق الأموال وسبل توزيعها» [2].

أما كاتب الرسائل فيحتاج إلى معرفة الفصول والوصول، ويكون حاذقا بالصدور والفتوح [3]، ما كاتب الجند فينبغي له أن يعرف مع الحساب رواتب الجند وأوقاتها، وصفات الناس وشيات الدواب [4].

هذا ما يمكن قوله عن الشروط العلمية والثقافية للكتاب، وسيتضح جليا توفرها في كتاب الخلفاء الأمويين خاصة عند عرضنا لأهم وظائفهم وأدوارهم [5] وكذلك أبرزنا توفر بعض هذه الصفات عند ترجمتنا لكتاب الخلفاء الأمويين، فقد ذكرنا على سبيل المثال أن عبد الرحمن بن أبي بكرة كاتب معاوية على ديوان الخاتم كان مقرئا عالما [6]، وكان صالح بن عبد الرحمن عالما بالفارسية فصيحا بالعربية [7]، وكان ربيعة الجرشي فقيه الناس زمن معاوية [8]، وكان قبيصة بن ذؤيب فقيها محدثا [9]، وكان أبو الزناد كما قال عنه الذهبي: «ثقة فاضلا صالح الحديث» [10]، وقس على ذلك بقية الكتاب.

ورغم ما ذكرنا من علمهم وثقافتهم نجد الجاحظ يحتقرهم ويقول عنهم: «أغزرهم علما أمهنهم، وأقربهم من الخليفة أهونهم، فكيف بكاتب الخراج الذي علمه ليس بمحظور، وإشراك الناس فيه ليس

---

[1]- المثل السائر، ج1، ص 57، 58.

[2]- الدواوين من كتاب الخراج، ص 17.

[3]- البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص 418، مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 9.

[4]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 177، مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 9.

[5]- أنظر الفصل الثالث.

[6]- تاريخ الطبري، ج5، ص 176، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج6، ص 134، 135.

[7]- تاريخ دمشق، ج23، ص 343، مختصر تاريخ دمشق، ج11، ص 32، الزركلي، الأعلام، ج3، ص 192.

[8]- ابن عبد البر، الإستيعاب، ج2، ص 72، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص 113، 114.

[9]- ابن حبان، الثقات، ج5، ص 319.

[10]- سير أعلام، ج5، ص 446.

بممنوع، يصلح لموضعه كلّ من عمل وعمل عليه، أحمد أحواله عند نفسه التعقد على الخصوم، وأسعد أموره التي يرجو بها البلوغ الشره ومنع الحقوق» [1].

ولكن الجاحظ لم يمثل لكلامه، بل إننا سنجد أن عمال الخراج كان لهم دور رئيسي في الحفاظ على الأموال وتسيير بيت المال، وكانت فيهم أمانة كبيرة لا نجدها عند غيرهم من الموظفين، وسنورد ذلك في حينه [2].

2-2- الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة

من الشروط اللازمة في الكاتب أن يكون دينه الإسلام [3]، لأن الكاتب بمنزلة الوزير، ولا يجب أن يتخذ لهذا الأمر من يخرج عن دين الإسلام، لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**﴾ [المائدة: 51]، ثم إن الكاتب محتاج إلى الاستشهاد بكتاب الله في مكاتباته وغير المسلم ليس له ذلك[4]، ولكن أحيانا يضطر الخليفة إلى استخدام أهل الذمة خاصة في كتابة الخراج لحذقهم بالحساب [5].

ويجب أن يكون الكاتب ومن يختار لهذه الرتبة ممكّنا في عقله، فالعقل أسّ الفضائل، وإذا كان الكاتب كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته ومخاطباته مواضعها وخاطب كل شخص بما يستحقه وبما يقتضي الحال [6].

وقد عدد عبد الحميد في رسالته إلى الكتاب مجموعة من الخصال ينبغي لكل من يتولى الكتابة التحلي بها فيقول: «ارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها، ومساوئ الأمور ومحاقرها فإنه منزلة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم، واربؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الدناءة والجهالة، وإياكم والكبر والعظمة، ما عداوة مجتلبة بغير إحنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم

---

[1]-رسائل الجاحظ، ج2، ص 206.

[2]- أنظر في ذلك الفصل الثالث.

[3]- ابن الصيرفي، مصدر سابق، ص 8، القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 93.

[4]- ابن الصيرفي، مصدر سابق، ص 8، 9.

[5]- أنظر المبحث الأول من هذا الفصل عند الحديث عن أهل الذمة.

[6]- ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص 10.

وتواصلوا عليها، فإنها شيم أهل الفضل والنبل في سلفكم» [1].

ويقول أيضا: «فإنّ الكاتب محتاج... إلى أن يكون حليما في موضع الحلم، فقيها في موضع الحكم... لينا في موضع اللين، شديدا في موضع الشّدة، مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف...» [2].

ومن الشروط أيضا ما ذكره ابن قتيبة بقوله: «ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب، ويجانب قبل مجانبته اللحن وخطل القول شنيع الكلام ورفث المرح» [3].

ويقول القلقشندي: «ولا يقوم بآدابها –أي الكتابة– وأكمل رسومها إلا من علت في الأدب درجته، وسمت في رجاحة العقل منزلته، وتميز بغريزة فاضلة وأدب مكتسب، وصبر على المشاق في التحلي بالهمم الشريفة، والسمو إلى المنازل اللطيفة» [4].

كما يجب على الكاتب أن يكون صاحب ورع وأمانة، لأنه إن لم يكن كذلك امتدت إليه خيانة أو رشوة، ووقعت الدولة حينها في ورطة، وكان الضرر أكثر من الانتفاع به [5]، ونمثل لذلك بما ذكره الجهشياري من أن سليمان بن سعد كاتب سليمان وعبد الملك والوليد على الخراج كان عفيفا في صناعته [6]، أي صاحب ورع وأمانة وحفظ للأموال.

ومن الشروط أيضا الحرية والتكليف حتى لا يعول على الصبي، وكذا العدالة فلا يجوز أن يكون فاسقا لأنه في رتبة خطيرة، والبلاغة وجزالة الرأي، والكفاية لما يتولاه [7].

يقول الماوردي: «وأما كاتب الديوان، وهو صاحب ذمامه فالمعتبر في صحة ولايته شرطان: العدالة والكفاية، فأما العدالة فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية، فاقتضى أن يكون في العدالة

---

[1]– الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 48، القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 119، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص 256، 257.

[2]– الجهشياري، المصدر السابق، ص 48، القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 119، أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ج2، ص 256.

[3]– أدب الكاتب، ص 14.

[4]– مصدر سابق، ج1، ص 106.

[5]– ابن الصيرفي، مصدر سابق، ص 8، 9.

[6]–المصدر السابق، ص 34.

[7]– القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 94–99.

والأمانة على صفات المؤتمنين، أما الكفاية فلأنه مباشر لعمل يقتضي أن يكون في القيام مستقلا بكفاية المباشرين» [1].

ونشير عند الكلام عن الصفات أن الخلفاء كانوا يتحرون عند اختيار الكاتب أن يكون من أهل الطاعة والنصيحة [2] والإخلاص فهذا الأخير هو قوام في المصاحبة والوفاء،و التمسك بآداب الخدمة والمواظبة عليها، وكذا كتمان السر [3].

وفي كتمان السر نذكر رواية تبرز حرص الكتاب على ذلك، فقد روى ابن سعد وغيره أنه لما مرض سليمان بن عبد الملك كتب بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز، وترك الكتاب عند رجاء بن حيوة، ثم جمع أهل بيته وأمرهم أن يبايعوا من ولي في الكتاب، دون أن يعلمهم من هو، فبايعوا رجلا رجلا، ثم خرج رجاء بالكتاب في يده مختوما، فجاءه هشام بن عبد الملك يستعطفه من أجل أن يخبره عن ولي العهد، فرفض رجاء وقال: «والله لا أخبرك حرفا مما أسر لي، فانصرف هشام وقد يئس وضرب بإحدى رجليه الأرض وهو يقول: فإلى من إذا نحّيت عني أتخرج من بني عبد الملك» [4].

فهذه الرواية تدل على الحرص الشديد من رجاء على كتمان السر، وهي شيمة تحلى بها الكتاب في الدولة الأموية وعرفوا لها حقها.

وقد كان الكتاب حريصين على الأخلاق والفضائل، واجتهدوا في التحلي بها، ونذكر هنا قول سليمان بن سعد كاتب خراج عبد الملك: «لو صحبني رجل وقال لي اشترط خصلة واحدة لا تزيد عليها، لقلت لا تكذبني» [5].

وأضاف ابن عبد ربه إلى ما ذكرنا من صفات، اعتدال القامة وصغر الهامة، وخفة اللهامز[6]، وكثافة اللحية، وصدق الحسن ولطف المذهب وحلاوة الشمائل وحسن الإشارة والزي الحسن[7].

---

[1]- الأحكام السلطانية، ص 356، الفراء، الأحكام السلطانية، ص 253.

[2]- محمد ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 190.

[3]- القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 107-111.

[4]- الطبقات الكبرى، ج5، ص 336،337، تاريخ الطبري، ج6، ص 551، ابن الجوزي، سيرة عمر، ص 47، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 381.

[5]- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص 31.

[6]- اللهامز من اللهمزة وهو عظم ناتئ في اللحى تحت الحنك. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج2، ص 842.

[7]- العقد الفريد، ج4، ص 171، النويري، نهاية الإرب، ج7، ص 12، القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 99.

«وهذا منتهى القول فيما نختاره لكتاب، فمن تكاملت فيه هذه الأدوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر، وخفض الجناح، فذلك المتناهي في ضل، العالي في ذرى المجد، الحاوي قصب السبق، الفائز بخير الدارين إن شاء الله تعالى» [1].

3- تعليم الكتاب ورواتبهم:

3-1- تعليم الكتاب في الدولة الأموية:

المعلوم أن كل صناعة تحتاج إلى التعليم والمعلم سواء أكانت حدادة أو نجارة أو وراقة ونسخ كتب وتجليدها، وحتى تعليم العلم والكتابة [2]، فخروج هذه الأخيرة في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم [3].

والصعوبة التي يواجهها الباحث في موضوع تعليم الكتاب في الدولة الأموية هي أن المصادر أغفلت الحديث عنه، ولا توجد إلا إشارات قليلة نستشف من خلالها أن تعليم الكتاب كان يتولى مباشرته والإشراف عليه الكتاب أنفسهم، فالكاتب يتخرج على يد كاتب قبله.

وبتطور المؤسسات الإدارية وتفرعها في الدولة ازدادت الحاجة إلى الكتاب المدربين العارفين باللغة وبأصول صناعة الكتابة، ولم تكن هذه الحاجة ملحة في فترة اقرن ونصف القرن الأوليين من الهجرة، وكان تدريبهم حتى القرن الأول العباسي يتم في الديوان، وكان أغلب المتدربين من أبناء الكتاب الذين في خدمة الدولة [4].

ومن أمثلة ذلك أن صالح بن عبد الرحمن –كاتب الحجاج الذي عرب ديوان العراق- تتلمذ على يديه عدد كبير من الكتاب الذين تولوا الدواوين في العراق حتى نهاية الدولة الأموية، فكتاب العراق كلهم غلمانه وتلاميذه [5]، وكان صالح هذا يكتب بالعربية والفارسية، ولقن هو الآخر الكتابة عن زادان فروخ كاتب الحجاج [6]، وروي أن قبيصة بن ذؤيب كاتب عبد الملك كان معلما للكتابة [1].

---

[1]- ابن قتيبة، أدب الكتاب، ص 20.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص 334.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص 397.

[4]- مصطفى الحياري، الدواوين من كتاب الخراج، ص 4.

[5]- الصولي، أدب الكاتب، ص 200، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص 110، ابن خلدون، العبر، ج1، ص 203، مصطفى الحياري، المرجع السابق، ص 4.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص 203.

وكاتب الرسائل المشهور سالم مولى هشام بن عبد الملك تعلم أيضا في الديوان على عهد عبد الملك [2]، وكان سالم بدوره أستاذا لعبد الحميد بن يحي كاتب مروان [3]، ويذكر ابن عبد ربه أن عبد الحميد كان معلما أيضا [4].

فهذه بعض النماذج التي بين أيدينا والتي يتضح من خلالها أن الكتاب أنفسهم كانوا معلمين للكتابة، فكل كاتب إنما تخرج على كاتب قبله وأخذ عنه الصنعة.

3-2-رواتب الكتاب في الدولة الأموية:

قبل الحديث عن رواتب الكتاب في الدولة الأموية، نشير إلى أن المؤرخين الإسلاميين لم يعنوا بأمر الرواتب التي كان يتسلمها من يؤدي خدمة للدولة، وإنما كان اهتمامهم في أغلب الأحوال مصروفا إلى ذكر الحروب، وقيام الدول وسقوطها، فأهملوا ذكر الجانب الاجتماعي، ذلك الجانب ذو الأهمية الكبرى في التاريخ، لأنه أقوى الأسباب في سير الدولة وتقلب الأحوال عليها، فالرواتب إذن من جملة ما أهملوه في الجانب الاجتماعي، بالإضافة إلى كلفة المعيشة وأثمان الأشياء، عقارا كانت أو مالا، وإذا ذكر شيء من ذلك فإنما يذكر عرضا ضمن خبر أو قصة [5].

ويذكر صاحب تجارب الأمم أن الكتاب على عهد كسرى كانوا يقطعون الأراضي، فهذا هو راتبهم [6] أما في العهود الإسلامية فيذكر ابن خلدون أنهم كانوا لا يتقاضون من المال إلا ما يكفي حاجتهم، فهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم، فلا يخضعون لأهل الجاه، فهم بمعزل عن ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب [7].

ونذكر هنا أن الكتاب في أيام الخلفاء الراشدين كانوا يقومون بعملهم حسبة، إلا من اضطر إلى الرزق، وما نعرفه من أجر الكتاب آنذاك أن زياد بن أبيه في عهد عمر كان أجره درهمين يوميا، وهو أجر

---

[1]- المزي، تهذيب الكمال، ج23، ص 480، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص 172.

[2]- مصطفى الحياري، مرجع سابق، ص 4.

[3]-ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج20، ص 79، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 230، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص 470.

[4]- مصدر سابق، ج4، ص 469.

[5]- عبود الشالجي، الرواتب في الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج26، ص 253.

[6]- مسكويه، ج2، ص 13.

[7]- العبر، ج1، ص 229.

حسن آنذاك [1].

فالأمثلة المتعلقة برواتب الكتاب قليلة بين أيدينا –كما ذكرنا– ولكنها تعطينا فكرة عن أصغر أجر وأكبره، فأصغره –كما أسلفنا– درهمين دفعا إلى زياد بن أبيه وهو غلام [2]، ويذكر أن يزيد بن أبي مسلم أخا الحجاج من الرضاعة كان يكتب للحجاج على ديوان الرسائل، فكان يجري له في كل شهر ثلاثمائة درهم [3]، وإذا كان أدنى حد درهمين في اليوم أي ستين درهما في الشهر، وأعلى حد 300 درهم، فإنه يمكننا أن نفرض أن رواتب الكتاب تتدرج حسب مراتبهم في هذين الحدين [4].

وهناك إشارة قد نستنتج من خلالها أن أجر الكتاب كان أكبر من 300 درهم إذ ذكر أن زياد أول من بسط الأرزاق على عماله ألف درهم ألف درهم، ولنفسه 25 ألفا[5] وما دام الكتاب من لعمال فاحتمال أنهم تقاضوا ألف درهم، ومن الإشارات ما ذكره المقريزي من أن كتاب ديوان الإنشاء كانوا يتقاضون 120 دينار في الشهر [6].

هذا ويذكر البلاذري أنه لما عرب سليمان بن سعد الديوان من الرومية، خرج سرجون كاتب عبد الملك، وقال لقوم من كتاب الروم، أطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة، فقد قطعها الله عنكم، قال البلاذري: «وكانت وظيفة الأردن [7] التي قطعها معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار... ووظيفة دمشق أربعمائة ألف دينار» [8].

هذا ونشير إلى أن عمر لما منع عماله من مزاولة أي نشاط آخر وقبول الهدايا، قام من جهة أخرى بضمان حد مرموق من الأجور لهم، كي يضمن قيامهم بمهامهم على أكمل وجه، فخصص لهم مرتبا على حسب قيمة العمالة، ومكانة العامل، ما بين المائة دينار على الثلاثمائة دينار في الشهر،

---

[1]– عبود الشالجي، المرجع السابق، ص 272.

[2]– نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص 314، عبود الشالجي، مرجع سابق، ص 272.

[3]– الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 26، مسكوية، المصدر السابق، ج2، ص 259، نجدة خماش، المرجع السابق، ص 314.

[4]– نجدة خماش، المرجع السابق، ص 314.

[5]– المرجع نفسه، ص 310.

[6]– الخطط، ج1، ص 403.

[7]– الأردن هي أحد أجناد الشام الخمسة، وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وعكا وبيسان، والذي فتح الأردن هو شرحبيل بن حسنة، فتحها عنوة باستثناء طبرية فقد صالح أهلها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 177–178.

[8]– فتوح البلدان، ص 272.

وذلك سعيا لتحريرهم من ضغوط الإغراء المادي [1].

وهناك إشارة من ابن عساكر إلى أن يزيد بن عبد الملك كان يجري على رجاء بن حيوة ثلاثين دينار في كل شهر، ولما ولي هشام قطعها، ثم رأى في المنام أباه يعاتبه فأعادها [2].

ويبدو أن الكتاب كانوا يأخذون بالإضافة إلى رواتبهم هبات من الخلفاء وأعطيات وهدايا، ونذكر هنا أن عبد الملك أمر يوما ابنه الوليد أن يهب ضيعته بما فيها لروح بن زنباع كاتبه [3].

وفي ختام حديثنا عن الرواتب نعود ونقول أن ما ذكرناه من إشارات يوحي بأن المصادر لم تولي لهذا الموضوع أهمية كبيرة، وما ذكرناه من ذلك فإنما جاء عرضا ضمن خبر أو قصة، لذلك فموضوع الرواتب في الإسلام يحتاج إلى بحث عميق، وتصفح واستقراء.

4- مكانة الكتاب وفضلهم:

يقول علي أومليل أن الكتابة «لم تكن لتصل إلى تأسيس سلطة مستقلة ما دام صاحبها ظل في موقع الخديم، وحتى إذا وصل إلى سلطة ما هي مستظلة بسلطة الحاكم، أما سلطة العلمية فقد كان ينافس بها أصناف السلطات العلمية الأخرى، خصوصا أقواها وهي السلطة الفقهية» [4].

ونحن إذ نتحدث هنا عن مكانة الكاتب لا نعني سلطة أخرى منفصلة عن سلطة الخليفة، فالمعلوم أن أي وظيفة في الدولة الإسلامية حتى وإن ارتقى صاحبها إلى أبعد الحدود فإنه يبقى تحت سلطة الخليفة، فهذا الأخير هو صاحب الشرعية والسلطان في كل الأمور، وما سواه خاضع لسلطانه، ونحن هنا نتحدث عن مكانة الكتاب في الدولة وعند الخلفاء وما كان لهم من فضل.

ذكر القلقشندي أن الخلفاء يعظمون أصحاب الكتابة ويقربونهم، فهم أجدر بالتبجيل والتكريم [5]، ويقول ابن عبد ربه: «كتاب الملوك عيونهم الناظرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة، والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة» [6]، وتكمن أهمية الكاتب في الإسلام في أنه اكتسب منزلة

---

[1]- محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص 342.

[2]- تاريخ دمشق، ج18، ص 109، الذهبي، سير أعلام، ج4، ص 559، تاريخ الإسلام، ج7، ص 362.

[3]- ابن عساكر، المصدر السابق، ج18، ص 249.

[4]- السلطة الثقافية، ص 54.

[5]- صبح الأعشى، ج1، ص 30.

[6]- العقد الفريد، ج4، ص 179.

جديدة، فأصبح كالحكيم المجرب، صاحب مكانة عالية لاجتماع الكلمة والفكرة فيه، فهو صانع الرأي يستمع إليه صاحب الدولة ويعمل بنصيحته [1].

ولقد كثر الكتاب في عصر بني أمية بعد أن نالت مهنة الكتابة التقدير والاحترام من الدولة والناس معا، وأصبحت وظيفة الكاتب وظيفة أولى، يتمتع صاحبها بالثروة، والجاه لقرابته من الحكام [2]، وعد منصب صاحب الرسائل بالخصوص من المناصب التي يطلع صاحبه على خفايا وأسرار الدولة، ولاختلاطه بالخليفة كان له أن يتدخل في أمورها [3]، لأنه لا يوجد من هو أخص منه عند الخليفة، وكان ملازما لمجالسته [4].

وقد أشار عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى مكانة الكتاب وأهمية وظيفتهم فيقول: «بكم ينتظم الملك وتستقيم للملوك أمورهم، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجتمع فيهم وتعمر بلادهم، ويحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي في القدر السني والدني، ولا يستغني منهم عنكم أحد، ولا يوجد كاف إلا منكم» [5].

ويقول في موضع آخر: «فموقعكم منهم –أي الملوك– موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها يبطشون» [6].

ولعظم مكانة كاتب ديوان الإنشاء والرسائل كان الخليفة يستشيره، ولا يحجب الكاتب عن الخليفة، وله الدخول في أي وقت، وربما بات عند الخليفة ليالي، كما كان للكاتب حجابا وفراشين وله المرتبة الهائلة [7].

وجاء في صبح الأعشى عن كاتب الإنشاء: «يكاد أن لا يكون عند الملك أخص منه،ولا ألزم

---

[1]– هاني العمد، أدب الكتابة، ص 20.

[2]– عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص 42.

[3]– محمد ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 190.

[4]– نجدة خماش، الإدارة، ص 280.

[5]– الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 47، القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 118، أحمد زكي صفوت، جمهرة الرسائل، ج2، ص 456.

[6]–الجهشياري، المصدر السابق، ص 47، القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص 118، أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص 456.

[7]– المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص 402.

لمجالسته، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك في كل زمن، مقدما لديهم على من عداه، يلقون إليهم أسرارهم، ويخصونهم بخفايا أمورهم، ويطلعونهم على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء من الوزراء والأهل والولد، وناهيك برتبة هذا محلها» [1]، فكاتب الرسائل هو أول داخل وآخر خارج من عند الملك، يفاوضه ويقترح عليه أمورا، ويطلعه الملك على حوادث الدولة وأسرارها، ويراجعه في الأمور كلها، ويعمل بإشارته [2].

ومما سبق ذكره تتجلى المكانة العالية للكاتب ومرتبته الخطيرة، لذلك حظي بالتقريب والتبجيل عند الخلفاء الأمويين وغيرهم، يذكر الذهبي أن رجاء بن حيوة كاتب سليمان وعمر بن عبد العزيز كان كبير المنزلة عندهما وأجرى الله على يديه الخيرات [3]، بل إن الخلفاء كانوا يسمرون مع الكتاب لمكانتهم وصحبتهم، فقد حد|ث ميمون بن مهران كاتب عمر فقال: «كنت في سمر عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة، فقلت يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى، أنت بالنهار مشغول في حوائج الناس وبالليل أنت معنا هنا، ثم الله أعلم بما تخلو به؟ فقال: فعدل عن جوابي، ثم قال: إليك عني يا ميمون، فإني وجدت لقاء الرجال تلقيحا لألبابهم» [4].

ولعل جلوس عمر مع ميمون هو ضمن مجالسته للعلماء مثلما كان يفعل معاوية[5]، فكان عمر إذا خرج من صلاة العشاء، دعا بشمع ودعا بكتّاب العامة، فلم يزل يجالسهم حتى يمضي ثلث الليل الأوسط، وهو بذلك كان منهمكا في الشغل مستغلاّ كل وقته في النظر في أمور المسلمين [6].

ورغم ما ذكرنا من مكانة الكاتب يقول عبد العزيز سالم عنه: «ولم يكن بمثابة الوزير لأنه إنما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام» [7].

ونحن نقول إن الكاتب في الدولة الأموية كان وزيرا بل كان أكبر من ذلك، حتى وإن لم يطلق عليه لقب وزير، لأن الكتابة ارتقى شأنها واستقلت، وأصبح الكاتب مأمونا في كل ما يكتب، ولا يفعل

---

(1)- ج1، ص 135.

(2)-المصدر نفسه، ص 135، 136.

(3)- سير أعلام النبلاء، ج4، ص 560.

(4)- ابن الجوزي، سيرة عمر، ص 60.

(5)- انظر في برنامج معاوية اليومي: مروج الذهب، ج3، ص 40.

(6)- محمد فرقاني، رسائل عمر، ج1، ص 343.

(7)- تاريخ الدولة العربية، ص 276.

الخليفة أكثر من أن يوقع، فالكاتب أصبح كالوزير للخليفة وله رأي في أمور الدولة، وله سلطة عظيمة [1]، ومما يدل على أن بعض الكتاب كانوا بمنزلة الوزراء أن قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع الجذامي، كانا يكتبان لعبد الملك وكانا غالبين عليه [2].

بل إن عبد الملك تقدم إلى حجابه إلا يحجبوا قبيصة عنه وكان إليه الخاتم والسكة، وياتيه الأخبار والكتب قبل عبد الملك [3]، يقول الطبري في ذلك إن عبد الملك قال: «لا يحجب عني قبيصة ساعة من ليل أو نهار، إذا كنت خاليا أو عندي رجل واحد، وإن كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه فدخل » [4]، وكان الخاتم إليه والسكة،تأتيه الأخبار قبل عبد الملك ويقرأ كتبه قبله، ويأتي بالكتب إلى عبد الملك منشورة ويقرأها عليه [5].

وهذا أيضا يبرز مكانة الكتاب عند الخلفاء، ونذكر هنا كذلك أن روح بن زنباع كان مسامرا لعبد الملك مكرما عنده [6]، وكان عبيد الله بن أبي بكرة يأكل مع معاوية ويلازمه [7].

ولعل أهم ما يبرز مكانة الكتاب ما حصل بعد وفاة سليمان بن عبد الملك فقد أسند الأمر إلى رجاء بن حيوة كاتبه، ووضع عنه كتاب تولية العهد لعمر بن عبد العزيز، فلما أعلن رجاء [8] في المسجد أن الخلافة لعمر قال هشام: لا نبايعه أبدا، فقال رجاء: أضرب عنقك، قم فبايع، فقام هشام يجر رجليه وبايع [9].

ومن خلال هذا الموقف يتضح أن الكاتب أصبح متحكما في زمام الأمور بعد وفاة الخليفة، فعلت بذلك مرتبته، وبلغت مرتبة الخلفاء أنفسهم، فما بالك بمرتبة الوزراء.

ويذكر الجهشياري أن سعيد بن الوليد الأبرش كاتب هشام كان معه يوما، فاعتم هشام فقام

---

[1]- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 320.

[2]- نجدة خماش، مرجع سابق، ص 313.

[3]- ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 101، ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص 216، النويري، نهاية الإرب، ج21، ص 275.

[4]- تاريخ الطبري، ج6، ص 412.

[5]- المصدر نفسه، ص 412، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 101.

[6]- المبرد، الكامل في اللغة، ج3، ص 169.

[7]- النويري، مصدر سابق، ج20، ص 374.

[8]- عند المسعودي أن الزهري هو من قرأ الكتاب، مروج الذهب، ج3، ص 193.

[9]- الطبري، مصدر سابق، ج6، ص 552.

سعيد ليسوي عمامته، فقال له هشام: مه فإنا لا نتخذ الإخوان خولا [1]، وهذا أيضا يبرز مكانة الكتاب في الدولة وعند الخليفة، ونضيف في هذا الصدد ما ذكره الجهشياري من أن عمرو بن عتبة كان كاتبا للوليد بن يزيد وملازما لحضرته، فقال له يوما: يا أمير المؤمنين، إنك تلطفني بالأنس وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك، وأراك تأمر بأشياء أخلفها عليك، أفأسكت مطيعا، أم أقول مشفقا؟ فقال له الوليد كل مقبول منك، ولله فينا علم ونحن سائرون إليه [2].

وبالإضافة إلى كل هذا كان الخلفاء محبين للكتاب مقربين لهم، وقد روي أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية كان يحب عبد الحميد كاتبه حبا جما ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال ولا يرى الدنيا إلا به، لعلمه بنبوغه وتفرده في صناعته، وذهابه بفضل البلاغة، وما ينبغي لها [3].

وبذلك كان للكتاب المكانة العالية والدور الرفيع في الدولة وعند الخلفاء، وصدق الشاعر حين قال:

ولضربة من كاتب ببنانه أمضى وأقطع من رقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد سفكوا الدما بأسنة الأقلام [4].

---

[1]- مصدر سابق، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 44.

[3]- محمد كرد علي ، أمراء البيان، ص 33.

[4]- القلقشندي، مصدر سابق، ج14، ص 131.

الفصل الثالث:

كتّاب الخلفاء على الدّواوين: دورهم ومهامهم على مختلف الأصعدة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قبل عرض وظائف ومهام الكتّاب أشير إلى أنّني قمت باستقراء لتلك الوظائف وتتبعت كل كاتب على حدى، وما لم أعثر له على وظيفة غير الكتابة لم أتعرض له بالذكر، وقد قمت بترتيب هذه المهام والوظائف وفق الكتاب أي أعرض مهام كل كاتب في عهد خليفة أو خليفتين أو أكثر ثم أرجع إلى الكاتب الذي يليه، لذلك قد يحتل الإطار الزماني والترتيب التاريخي للأحداث.

والمعلوم أنّ أهم وظيفة للكاتب هي الكتابة، وبها سمّي كاتبا لذلك خصصت فصلا كاملا للحديث عنها وعن كل ما يتعلق بها.

وأشير في الأخير إلى أنّني أرجأت الحديث من تعريب الدواوين ودور الكتاب في ذلك، وأفردت مبحثا خاصا به لما له من أهمية ودور في الإدارة والسياسة بوجه عام.

1-كتّاب ديواني الخراج والجند: مهامّهم ووظائفهم

1-1-دورهم الاجتماعي والثّقافي:

لقد كان لكتّاب ديواني الخراج الجند دور لا ينكر على الصّعيد الاجتماعي والثّقافي، باعتبارهم كانوا يعيشون ضمن مجتمع، ويختلطون بأفراده، ونحن إذ نتحدث عن هذا قمنا بتتبّع كل كاتب على حدى وما كان له من دور في هذا المجال، وبداية بكاتب جند معاوية عمرو بن سعيد الأشدق[1]، فوالد هذا الكاتب كان من أشراف قريش وفصحائهم، وهو أحد كتبة المصحف على عهد عثمان، واستعمله عثمان على الكوفة، وولاه معاوية المدينة[2]، أما عمرو بن سعيد الكاتب فقد كان من رجال قريش وكان أحبّ النّاس إلى أهل الشّام، فكانوا يسمعون له ويطيعون[3]، فكان له بذلك تأثير على السّاحة الاجتماعية، وكان سخيّا فصيحا، وهذا ما دعى معاوية إلى استكتابه[4]، وكان عمرو يقول: «ما شتمت رجلا منذ كنت رجلا، ولا كلّفت من قصدني أن يسألني لهو أمنَ عليَّ منّي عليه»[5]، وبلغ ارتقاء عمرو بالوظيفة أن ولي مكة والمدينة والطّائف[6] سنة 60هـ، وحجّ بالنّاس

---

(1)-الأشدق هو المتفوّه صاحب البيان، ومنه قيل لعمر والأشدق لأنّه كان أحد خطباء العرب. لسان العرب، مادة شدق، ج5، ص912.

(2)-النويري، نهاية الإرب، ج21، ص107.

(3)-ابن عساكرتاريخ دمشق، ج46، ص32.

(4)-البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص55.

(5)-ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص263.

(6)-الطّائف هي بلد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، وهي على ظهر جبل غزوان. معجم البلدان، ج4، ص10.

عامئذ[1]، ومعنى ذلك أنّ تولى الأقاليم والحج بالناس وطيفتان كان يتولاهما الكتّاب، فلم تنحصر وظيفتهم في الكتابة والتدوين وما ذكرناه عن عمرو خير دليل على ذلك.

أمّا صالح بن عبد الرّحمن كاتب الخراج فقد تعلّم العربية والفارسية، وكان فصيحا قوي الذّاكرة، وهو أوّل من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية[2] –كما سنذكر لاحقا[3]–.

ووضع اصطلاحات للكتّاب والحسّاب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية[4]، وأغلب كتاب البصرة والكوفة تخرجوا على يده، فكان بذلك كتاب العراق كلهم غلمانه وتلاميذه[5]، وبتعريبه للدّيوان ووضعه لمصطلحات جديدة فيه، وممارسته التّعليم لعب صالح دورا مهمّا على الصّعيد الاجتماعي والثّقافي يشهد له بالجدّ والعلم.

وليس هذا فحسب بل كانت توكل لصالح هذا مهام أخرى، فقد ذكر صاحب الأغاني أنّ الحجّاج لمّا بنى قصره بالبصرة كان بناؤه باللّبن، ثمّ تعهّد صالح بن عبد الرّحمن في خلافه سليمان فبناه بالآجرّ[6]، وهذه وظيفة أخرى تقلّدها الكتّاب.

وممّا نذكره هنا أنّ سليمان جعل صالحا على الخراج بالعراق، وأمره أن يبسط العذاب على آل ابي عقيل وهم أهل الحجاج، فبسط عليهم أشدّ العذاب، ونتيجة لتجاوزات صالح همّ الحجاج بقتله فقال له يوما: إنّي فكرت فيك فوجدت مالك ودمك حلالا لي، وإنّي غير آثم إن تناولتهما، فقال له صالح: إنّ أغلظ ما في الأمر –أعزّ الله الأمير– أنّ هذا القول بعد الفكر، فضحك منه ولم يقل له شيئا[7].

أمّا عن سليمان بن سعد كاتب عبد الملك وسليمان فيذكر ابن كثير أنّه كان فصيحا عالما بالعربيّة، وكان هو الآخر يعلّمها النّاس مع صالح بن عبد الرّحمن[8]، وكان حازما ذا رأي وأخلاق،

---

(1)–تاريخ خليفة، ص142. ابن عساكر، مصدر سابق، ج46، ص37.

(2)–الصّولي، أدب الكاتب، ص200. ابن عساكر، مصدر سابق، ج23، ص344.

(3)–انظر: المبحث الرابع من هذا الفصل.

(4)–الزركلي، الأعلام، ج3، ص192.

(5)–الصّولي، مصدر سابق، ص200. ابن عساكر، مصدر سابق، ج23، ص344.

(6)–أبو الفرج الأصفهاني، ج18، ص130،131.

(7)–الجهشاري، الوزراء والكتاب، ص23.

(8)–مصدر سابق، ج9، ص245.

فكان يقول: «لو صحبني رجل فقال اشترط عليّ خصلة واحدة ودع ما سواها، لقلت لا تكذبني»[1]، وهو من ترجم ديوان الشّام إلى العربية[2]، وبالإضافة إلى هذا كان راوية للحديث، فقد صحب عبد الملك وروى عنه[3] وعن ابن شهاب[4]، ورواية الحديث هذه سنلاحظ أنّ معظم الكتّاب عرف بها ووثّق فيها، فأغلبهم كانوا محدّثين وعلماء عدول.

وفي المجال الاجتماعي يذكر ابن قتيبة أنّ يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج والوليد كان واسطة بين الناس والوالي، فقد روى أن رجلا أتاه برقعة يسأله أن يرفعها إلى الحجاج، فنظر فيها يزيد وقال: ليست هذه من الحوائج التي ترفع إلى الأمير، فقال له الرّجل، فإنّي أسألك أن ترفعها إليه، فرفعها يزيد إلى الحجّاج فقضاها له[5]، كما يروى أنّ يزيد بن أبي مسلم كان ينفق ما يتبقّى من راتبه على المساكين ويسقيهم ماءً[6].

ويذكر مسكويه في تجاوزات يزيد بن أبي مسلم أنّه يقتل الخلق الكثير رغم إحسانه لهم أحيانا[7]، بل إنّ تجاوزاته كانت سببا في مقتله –كما ذكرنا– إذ أمرّ على إفريقية سنة 101 فعزم أن يسير فيهم بسيرة الحجّاج، فقتلوه وأعادوا الوالي الذي كان قبله، وكتبوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك: «إنّا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمين فقتلناه، وأعدنا عاملك فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك إنّي لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم»[8].

وعلى الصّعيد الثّقافي نذكر أنّ صالح بن جبير الصّدّائي كاتب عمر بن عبد العزيز كان راوية للحديث وروى عن كثير من أهل العلم[9]، وذكره ابن حبان في الثقات[1]، وممّا رواه من حديث

---

[1]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج22، ص319.

[2]–المصدر نفسه، ص317. انظر، المبحث الرابع من هذا الفصل.

[3]–المصدر نفسه، ص317.

[4]–هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزّهري، من بني زهرة بن كلاب من قريش، أوّل من دوّن الحديث، وكان يحفظ منه ألفين ومئتين، توفي سنة 124. الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص97.

[5]–عيون الأخبار، ج3، ص147.

[6]–مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص259.

[7]–المصدر نفسه، ص259.

[8]–الجهشاري، مصدر سابق، ص35، 36. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص311.

[9]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج23، ص317. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص381.

قال: حدّثنا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل فقلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منّا أجرًا آمنّا بك واتّبعناك، قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم الوحي من السّماء، بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون، بما فيه أولئك أعظم منكم أجرًا»[2]. وكذلك الحديث عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان كاتب عمر، فقد كان فقيها من أئمة الاجتهاد، وكان صاحب حديث وعلم، يؤخذ عنه في ذلك[3]، وكان كثير الحديث فصيحا بالعربية ومن الأحاديث التي رواها عن أنس أنّ النبي ﷺ قال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب، والصّدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النّار، والصّلاة نور المؤمن والصيّام جنّة من النّار»[4]، وقيل أنّ أصحّ أسانيد أبي هريرة أبو الزّناد عن الأعرج[5].

ونشير إلى أنّ غرضنا من ذكر بعض الأحاديث إنّما هو لتوضيح دور الكتاب على الصّعيد الثقافي، بل كان دورهم أرقى الأدوار وأهمها وهو رواية الحديث والعلم، ولذلك ينبغي أن لا نهمّش أمثال هؤلاء ونغفل دورهم في حفظ العلم والشريعة منه بالخصوص، وهذا من الأسباب التي جعلت الخلفاء يعتمدون عليم في الكتابة.

وكان أبو الزّناد يقرأ القرآن ويحسنه ويعلّم الهمز وقراءته[6]، وكان مع ذلك صاحب كتاب وحساب[7]، ويروى أنّه دخل مسجد النّبي ومعه من الأتباع مثل ما مع السّلطان، فمن سائل عن فريضة ومن سائل عن حساب، ومن سائل عن الحديث أو معضلة، وكذلك كان يتبعه حوالي ثلاثمائة طالب فقه وعلم وشعر[8]، وبالإضافة إلى دوره الثّقافي روى البلاذري أنّ الحجّاج لمّا قتل ابن الزبير منع النّاس من الصّلاة عليه، فتدخّل أبو الزّناد وطلب من عبد الملك السّماح بالصّلاة عليه ودفنه

---

(1)- ج4، ص376.

(2)-البخاري، خلق أفعال العباد، ص88. المزّي، تهذيب الكمال، ج13، ص25، 26.

(3)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص 52-54. الذهبي، سير أعلام، ج5، ص446- 447.

(4)-سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحسد، ص2733، رقم، 2410.

(5)-المزي، المصدر السابق، ج14، ص476.

(6)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج28، ص59، 60.

(7)-الذهبي، سير أعلام، ج5، ص447، 448. الزّركلي، مرجع سابق، ج4، ص85.

(8)-المزّي، مصدر سابق، ج14، ص480. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج28، ص57، 58. الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص86. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص182.

فكان له ذلك[1]، وبهذا كان لأبي الزّناد دورٌ أيضا في المجتمع وتسيير شؤونه.

أما عن ميمون بن مهران كاتب عمر على الخراج فكان هو الآخر راويا للحديث، ويشرف على مناسك الحجّ[2]، وكان أعلم أهل الجزيرة[3]، ويروى في سيرته أنّه دخل يوما على سعيد بن المسيّب[4]، وجعل يسأله، فقال سعيد: إنّك تسأل مسألة رجل تبحّر في العلم، وكان عمر بن عبد العزيز إذا نظر إلى ميمون قال: إذا ذهب هذا وقرنه صار النّاس من بعدهم رجاجًا[5]، ولمّا سأل عبد الملك عن فقيه أهل الجزيرة قيل له ميمون بن مهران، فقد كان صاحب علم وعبادة، وهو ثقة عند المحدثين[6].

ومع الحديث عن دور ميمون الثّقافي نذكر ما رواه الطّبري أنّ هشام بن عبد الملك قال لغيلان[7] يوما: «ويحك يا غيلان ! قد أكثر النّاس فيك فنازعنا بأمرك فإنّ كان حقّا اتّبعناك، وإن كان باطلا فزعت عنه، قال: نعم، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه، فقال له ميمون: سل، فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألتم، قال له: أشاء الله أن يعصى؟ فقال ميمون: أفَعُصِيَ كارهًا؟ فسكت، فقال هشام: أجبه، فلم يجبه، فقال له هشام: لا أقالني الله إن لم اقتله، وأمر بقطع يديه ورجليه»[8]، ومن هذه الرّواية يتجلّى أنّ الكتّاب كانت توكل لهم أيضا مهمّة المناظرة والإقناع، والرّد على الزائغين، وذلك يرجع إلى كونهم علماء موثوق بهم.

---

(1)-أنساب الأشراف، ج7، ص133.

(2)-البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ص338، 339.

(3)-ابن حبّان، مصدر سابق، ج5، ص418.

(4)-هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب، الإمام العلم، عالم أهل المدينة وسيّد التّابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب، وتوفّي سنة 93هـ. الذهبي، سير أعلام، ج4، ص 217-246.

(5)-الرّجاح هم الضعفاء من النّاس والإبل، قال الشاعر:

مشى الفراريج مع الدّجاج فهم رجاج على رجاج

والرجرجة شرار النّاس، وقيل معناها الاضطراب. ابن منظور، لسان العرب، مادة رجج، ج2، ص74.

(6)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص 344-347.

(7)-هو غيلان بن مسلم الدّمشقي، أبو مروان كان كاتبا من البلغاء، وتنسب إليه فرقة الغيلانيّة، وهو ثاني من تكلّم في القدر ودعا إليه، ولم يسبقه سوى معبد الجهني، قال بأنّ القدر من العبد خيره وشرّه، وقيل تاب عن ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز، ثم عاد إليه في عهد هشام، فقتله بعد أن أفتى الأوزاعي بقتله. ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص500. الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص124.

(8)-تاريخ الطبري، ج7، ص203. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص286.

وعلى الصّعيد الاجتماعي نذكر أنّ عمر بن عبد العزيز قضى في أحد القضايا ومعه ميمون، فلمّا قام عمر عن مجلس الحكم قال له ميمون: يا أمير المؤمنين إنّك حكمت بكذا وكذا، وليس وجه الحكم على ما حكمت، قال عمر: فهلاّ نبّهتني إذًا، قال: إنّي كرهت أن أوبّخك على رؤوس النّاس، قال: فهلاّ فعلت، فإنّ لقائل الحقّ سلطانا[1]، وهذا دليل على حرص ميمون على سيرورة المجتمع واستيفاء الحقوق لأصحابها، فلعب بذلك دورا مهما على الساحة الاجتماعية.

كما كان ميمون هذا يخرج مع عمر إلى القبور ويعظه[2]، وكان ينظر في أمور النّاس وقضاياهم، وقال عن نفسه: ما زلت أنا وعمر ننظر في أمور النّاس حتّى قلت: «يا أمير المؤمنين ما بال هذه الطّوامير التي تكتب فيها بالقلم الجليل، وتمدّ فيها وهي من بيت مال المسلمين؟ فكتب إلى العمال أن لا يكتبّن في طومار، ولا يمدّ فيه، قال: فكانت كتبه شبرا أو نحو ذلك»[3].

فنظر ميمون في أمور النّاس دليل على أنّهم كانوا يتولّون إدارة المجتمع ومراقبة سيرورته، وبالإضافة إلى كل هذا كان ميمون ذا سيرة عطرة في مجتمعه، فيروي ابن عساكر أنه كان إذا رأى شابّا حسن العقل ولم يكن على طريقة حسنة بدأه بالسّلام، وسأله من أهله، وأظهر له أكبر الإحسان ثمّ يقول له: هاهنا مريض اذهب بنا نعوده، ها هنا جنازة اذهب بنا نحضرها، فيسأل أصحاب الفتى صاحبهم ما يصنع مع ميمون، فيخبرهم الأمر، وكان ميمون إذا رآه مع أصحابه أعرض عنه كأن لم يره، وإذا لقيه وحده رجع إليه يرشده حتّى يرجع إلى الصّواب وحسن العقل[4].

وميمون بذلك يهدف إلى إصلاح المجتمع وتغييره، وخصّ بالعناية فئة الشباب، فكان مصلحا اجتماعيا بحق. وكان يقول «ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر: الأمانة تؤديها إلى البر والفاجر، والعهد تفي به لهما، والرّحم تصلها برّة كانت أو فاجرة»[5]، وخرج يوما مع أصحابه ومرّوا براهب فقال لأصحابه: «فيكم من بلغ من العبادة مثل ما بلغ هذا الرّاهب؟ قالوا: لا، قال: فما ينفعه ذلك ولم يؤمن بمحمّد ﷺ، قالوا: لا ينفعه شيء، قال: كذلك لا ينفع قول إلاّ بعمل»[6].

---

(1)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج45، ص200.

(2)-المصدر نفسه، ص232. ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص167.

(3)-ابن الجوزي، سيرة عمر، ص66.

(4)-مصدر سابق، ج61، ص356.

(5)-المصدر نفسه، ص358. الذّهبي، سير أعلام، ج5، ص74.

(6)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص350.

وبلغ حرص ميمون على أفراد المجتمع أنّه خرج مع أبيه يقوده في سكك البصرة، فمرّوا بجدول ماء، فعجز العجوز أن يتخطاه، فاضطجع ميمون ومر الشيخ على ظهره[1]. ونذكر أيضا من وظائف ميمون الاجتماعية أنّه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إنّي شيخ قد كبرت وكلّفتني أن أقضي بين النّاس –وكان على خراج الجزيرة وقضائها– فكتب إليه عمر: «إنّي لم أكلّفك ما يعنّيك[2]، أجب الطّيب من الخراج واقض بما استبان لك، فإذا ألبس عليك شيء فارفعه إليّ، فإنّ النّاس لو كانوا، إذا أكبر عليهم أمر تركوه، لم يقم دين ولا دنيا»[3]، وهذه من الوظائف التي كانت توكل إلى الكتاب أيضا.

ونشير في الجانب الاجتماعي والثّقافي إلى أمر آخر ندرجه تحت مهام الكتّاب، وهو أنّهم كانوا ينقلون ويروون أخبار الخلفاء، فميمون مثلا نقل لنا الكثير من أخبار عمر بن عبد العزيز، ومن ذلك قوله: سمعت عمر بن عبد العزيز قال: «لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل»[4]،كما روى أنّ عمر كان عالما، وكان العلماء معه كتلامذة[5]، فنقل الأخبار عن الخلفاء وظيفة مهمة قام بها الكتّاب ولا ينبغي أن نغفل عنها.

هذا ويذكر ابن حبّان أنّ أسامة بن زيد كاتب يزيد بن عبد الملك كان محدّثا يروي عن الزهري[6] إلاّ أنّه كان من النّاحية الاجتماعية متشدّدا، فقد روى ابن عساكر أنّ سليمان ولاّه مصر، وأوصاه بقوله: أحلب حتّى ينفيك الدّم، فإن أنفاك فاحلب حتّى ينفيك القيح، لا تنفيها لأحد من بعدي، فسار أسامة إلى مصر، و«عمل فيها عملا والله ما عمله فيما فرعون»[7].

وهذه من التّجاوزات التي تحسب على أسامة بن زيد ولا تعمم على الكتّاب، فلذلك يحاكم أصحابها أفرادا لاجماعات.

هذا ما يمكن قوله عن دور كتاب الخراج والجند على الصّعيد الاجتماعي والثّقافي، فقد كانوا

---

[1]–المصدر نفسه، ص352. المزّي، مصدر سابق، ج29، ص224.

[2]–يعنّيك من عنّيته أي حبسته حبسا طويلا. ابن منظور، لسان العرب، مادة، عنا، ج8، ص547.

[3]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص351. المزّي، مصدر سابق، ج29، ص218. الذّهبي، سير أعلام، ج5، ص74.

[4]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج45، ص181.

[5]–المصدر نفسه، ص149. ابن الجوزي، سيرة عمر، ص31. السيّوطي، تاريخ الخلفاء، ص232.

[6]–الثقات، ج6، ص74.

[7]–مصدر سابق، ج8، ص86.

يتولّون تسيير المجتمع وتعليمه، وتولوا حتى القضاء ورواية الحديث، وولاية الأقاليم.

1-2-دورهم السيّاسي:

ونبدأ الحديث عن المهام السيّاسيّة لكتاب الخراج والجند بالحديث عن عمرو بن سعيد كاتب معاوية على ديوان الجند، فمن الوظائف التي أسندت إليه أنّه ولي مكّة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد[1]، ولعلّ هذه الوظيفة من أهم ما كان يسند إلى الكتّاب، فتمنح لهم الولاية وحريّة التصّرف في الأقاليم، كما وجّه عمرو بن سعيد جيشا للحسين بالمدينة، وأمر عليه عمرو بن سعد بن أبي وقاص وأمره أن يأخذ منه البيعة وإلاّ ضرب عنقه، فأبى الحسين البيعة وقال لعمرو: إمّا أن تتركني أرجع كما جئت، أو تسيّرني إلى التّرك أقاتلهم حتّى أموت، أو تسيّر ني إلى يزيد أضع يدي في يده، فهمّ عمرو بالثالثة ولكنّ أصحابه رفضوا إلاّ أن يبايع، وتطوّر الأمر إلى قتال، فقتل الحسين، وقطع رأسه، وبعث به إلى عبيد الله بن زياد[2]، ويروى ابن قتيبة أيضا أنّ عمرو بن سعيد بعث وهو والي المدينة جيشا لقتال ابن الزّبير سنة 70هـ[3]، وكلّ هذه الأعمال التي أشرف عليها عمرو بن سعيد تبيّن أنّ له الدّور الرئيسي في توطيد السّلطة ليزيد بن معاوية.

كما استعمل عمرو على شرطته مصعب بن عبد الرحمن بن عوف وأمرهُ بالشدّة على النّاس، فضرب الرّجال وهدم الدّور[4]، وبذلك يتّضح أنّ الكتاب كانت توكل لهم مهمّة التصرّف فيما يتولّونه من أقاليم، وهذا من أعلى الوظائف والمهام.

كما نذكر في الوظائف السيّاسية أنّ الخلفاء كانوا يستشيرون الكتّاب، ويلجؤون إليهم في أحلك الظروف، فلمّا حوصر بنو أميّة بالمدينة قبل وقعة الحرة[5]، كتب بنو أميّة إلى يزيد يستغيثونه، فاستشار عمرو بن سعيد في أمرهم وأمره أن يسير إليهم[6]، فقال عمرو: «كنت قد ضبطت لك

---

(1)-الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص202. ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص127.

(2)-ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص6. تاريخ الطبري، ج5، ص385. المنتظم، ج5، ص336، 337. شرح نهج البلاغة، ج4، ص71.

(3)-الإمامة والسياسة، ج2، ص3. ابن عساكر، مصدر سابق، ج46، ص40. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص205.

(4)-ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص225.

(5)-كانت وقعة الحرّة سنة 63 حيث خرج أهل المدينة على يزيد بن معاوية، فبعث إليهم جيشا لقتالهم، فقتل فيها خلق كثير من الصّحابة، وهُتكت حرمة المدينة واستبيحت. السيوطي، مصدر سابق، ص210، 211.

(6)-ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص13. ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص186.

البلاد، وأحكمت الأمور، فأمّا الآن فإنما هي دماء قريش تهراق، فلا أحبّ أن أتولّى ذلك»[1].

وفي مجال توطيد الأمور للخلفاء نذكر أن عمرو بن سعيد دخل مع مروان إلى مصر وأخدها من عامل ابن الزبير وهيّأ الأمور، فبايع النّاس مروان[2]، وبلغ الأمر وتطوّر الوظيفة بعمرو أن رشّح للخلافة، فالمعلوم أنّه لمّا اجتمع أعيان بني أمية بالجابيّة[3] لتعيين خليفة اتفقوا على البيعة لمروان بن الحكم وبعده خالد بن يزيد ثمّ عمرو بن سعيد بن العاص، على أنّ إمرة دمشق لعمرو وإمرة حمص لخالد[4].

ولكنّ مروان تراجع بعد ذلك وعقد البيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز[5]، ولمّا تولّى عبد الملك بقي عمرو طامعا في الخلافة، وفي سنة 70هـ سار عبد الملك إلى قرقيساء[6]، وخلّف عمرو بن سعيد بدمشق، فاستغلّ عمرو الفرصة وتحصّن بها ودعى الناس إلى بيعته، فلمّا سمع به عبد الملك كرّ راجعا إليه وأمنه[7]، يقول الدينوري: «وامتنع عمرو بن سعيد عن البيعة ومات مروان وله ثلاث وستون سنة ثمّ ملك عبد الملك سنة 66هـ، فخرج عمرو بن سعيد بن العاص عليه فصار أهل الشّام فرقتين، فرقة مع عبد الملك، وفرقة مع عمرو بن سعيد، فدخلت بنو أميّة وأشراف أهل الشّام بينهما حتّى اصطلحا على أن يكونا مشتركين في الملك... وعلى أنّ اسم الخلافة لعبد الملك فإنّ مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد وكتبا فيما بينهما كتابا وأشهدا عليه أشراف أهل الشام»[8].

ولكنّ عبد الملك غدر به بعد ذلك وقتله سنة 70هـ، ومما رثي به عمرو:

---

[1]-المنتظم، ج6، ص13.

[2]-النّويري، نهاية الإرب، ج21، ص94. ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص216،217.

[3]-الجابية قرية من أعمال دمشق، ومؤتمر الجابية هو الاجتماع الذي بويع فيه لمروان، وكان يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة 64هـ. تاريخ دمشق، ج57، ص254.

[4]-النويري، المصدر السابق، ج21، ص87.

[5]-المنتظم، ج6، ص37. ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص263.

[6]-تقع قرقيسياء شمال العراق، وقال ياقوت بأنها على نهر الخابور في الإقليم الرابع، ولما فتح عياض بن مسلم الجزيرة سنة 19هـ. وجّه حبيب بن مسلمة الفهري إليها ففتحها. معجم البلدان، ج4، ص373.

[7]-تاريخ اليعقوبي، ج2، ص270. المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 109-111. المنتظم، ج6، ص 89-91. ابن خلدون، العبر، ج3، ص31، 32.

[8]-الأخبار الطوال، ص262.

أعينيّ جودي بالدّموع على عمرو عشيّة تُبتزُّ الخلافة بالغدر[1]

وقال عبد الملك بعد قتل عمرو: «إن كان بنو أمية لأحبّ إليّ من دم النّواظر، ولكن والله ما اجتمع فحلان في شول إلاّ أخرج أحدهما صاحبه، وإن كان لحمّالًا للعظائم، باهضا إلى المكارم، لكنّا كما قيل: أجازي من جزاني الخير خيرا وجازي الخير يجزي بالنّوال

وأجزي من جزاني الشرّ شرّا كما تحذى النّعال على النّعال[2]

ثمّ نثر عبد الملك الدّنانير على أصحاب عمرو فتناسوا أمره[3].

فمن خلال هذا يتبيّن أنّ عمرو بن سعيد ولي المدينة ومكة، ووطّد السّلطة للخلفاء، وكان يستشار في الأمور، بل بلغ به ارتقاء الوظيفة إلى أن رشّح للخلافة.

وعلى الصعيد السيّاسي دائما يذكر الجهشياري أنّ يزيد بن معاوية كان يستشير سرجون بن منصور، ومن ذلك لمّا بلغ يزيد مسير الحسين إلى الكوفة ومبايعة أهلها له، وأنّ المغيرة بن شعبة لا يصلح لولايتها، استشار سرجون فيمن يوجّهه إليها، فأشار عليه بعبيد الله بن زياد –وكان يزيد كارها له– فقال: لا خير فيه فسمّ غيره، عندها قال سرجون: أرأيت لو كان معاوية حيّا فأشار به عليك أكنت قابلا؟ قال: نعم، فأخرج سرجون له عهدا من معاوية لعبيد الله بولاية الكوفة وعليه خاتمه، وقال: هذا عندي، ولم يمنعني من إخبارك به أوّل الأمر إلاّ علمي ببعضك لعبيد الله، فقال له: فانفد إليه، وكان عبيد الله يتولى البصرة فضمّ إليه الكوفة ووجّهه إلى الحسين[4].

فالكتاب إذا كانوا يتولّون الإشارة على الخلفاء، ويتدخّلون في تولية الولاّة وعزلهم، كما يتولون الاحتفاظ بكتب التولية ويشرفون على تنفيذ ما فيها.

---

(1)–تتمّة الأبيات: كأنّ بني أميّة إذ يقتلوه بغاث من الطّير اجتمعن على صقر

غدرتم بعمر ويا بني خيط باطل وأنتم ذوو قربائه وذوو صهر

فرحنا وراح الشامتون عشية كأنّ على أكتافنا فلق الصّخر

لحا الله دنيا يدخل النّار أهلها وتهتيك ما دون المحارم من ستر

تاريخ خليفة، ص166. تاريخ دمشق، ج46، ص40. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص204، 205. الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص384.

(2)–المزّي، تهذيب الكمال، ج22، ص38، 39.

(3)–ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص22.

(4)–الوزراء والكتاب، ص19. مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص25.

ويذكر ابن عساكر أنّ سليمان بن سعد الخشني هو من اقترح على عبد الملك تولية الخلافة لأحد أبنائه، فقد كان مروان عهد إلى عبد الملك، ثم أخيه عبد العزيز بعده، ولكن عبد العزيز توفي قبل تولّيه، فدخل سليمان بن سعد على عبد الملك، وأشار عليه بتولية الوليد، والإرسال إلى أمراء الأجناد يتشيرهم[1].

وعن صالح بن عبد الرحمن نذكر أنّ سليمان كتب إليه يأمره بأخذ آل عقيل ومحاسبتهم، وولى صالح حبيب بن المهلب حرب الهند، كما ولّى الخراج يزيد بن أبي كبشة ثم عزله وولى غيره[2]، فالكاتب بذلك كان يعمل على توطيد السّلطة، ويتحكم في التّولية والعزل.

كما نذكر أيضا أنّ يزيد بن أبي مسلم كان كالحاجب عند الحجّاج، فيحول بينه وبين الرّعيّة[3]، وهو من أشار على الحجّاج بقتل صالح بن عبد الرحمن لمّا أحسّ بأنّه يرى رأي الخوارج[4]. وهذا حرصًا منه على توطيد السلطة، هذا ونشير إلى أنّ سياسة يزيد بن أبي مسلم التي حملت في طيّاتها العديد من التجاوزات –كما ذكرنا– كانت سببا في مقتله، لمّا ولي إفريقية[5].

ونشير في الجانب السياسي أيضا أنّ صالح بن جبير الصّدائي كان يشير على عمر في أموره، فقد قال: «ربمّا كلّمت عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب، فأذكر أنّ في الكتاب مكتوب، اتق غضبه الملك الشّاب، فأرفق به حتّى يذهب غضبه، فيقول لي بعد ذلك، لا يمنعك يا صالح ما ترى منّا أن تراجعنا في الأمر إذا رأيته»[6].

فالكتاب بذلك مشاركون في السيّاسة مشاركة تعليمية، إذ لم يبخلوا بتوجيهاتهم السيّاسية على الخلفاء، ومرروا بضاعتهم بطرق خاصة[7].

وفي المجال السيّاسي دائما نذكر أنّ عمر كان يستشير ميمون بن مهران، وقال له يوما: «يا أبا أيّوب كيف لي بأعوان أثق بهم وآمنهم؟ قال ميمون: يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنّك

---

(1)–المصدر السابق، ج22، ص318.

(2)–المصدر نفسه، ج38، ص97.

(3)–ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج3، ص147.

(4)–المبرّد، ،الكامل في اللغة، ج2، ص196.

(5)–ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص81. ابن تغري بردي ، النّجوم الزاهرة، ج1، ص245.

(6)–ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج23، ص332. المزّي، مصدر سابق، ج13، ص24، 25.

(7)–علي أو مليل، السلطة الثقافية، ص58.

سوق، وإنّما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيه، فإذا عرف النّاس أنّه لا ينفق عندك إلا الصّحيح لم يأتك إلاّ الصّحيح»[1].

كما استعمل عمر ميمونا على الجزيرة وكلّفة بالقضاء وجباية الخراج، واستشارته فيما استعصى عليه[2]، وورد في تاريخ الطبري وغيره أن ميمون بن مهران كان على رأس الجند الشّامي لمّا عبر البحر غازيا قبرص سنة 108[3]، وكما أشرنا في الجانب الاجتماعي أنّ سليمان ولّى أسامة بن زيد مصر، وأمره بالشدّة فيهم فعمل فيها –كما قال ابن عساكر– "عملا ما عمله فرعون"[4].

ونذكر أنّ هشام ولى كاتبه على الخراج والجند عبيد الله بن الحبحاب مصر، فضبط أمورها، وسيّر الغزاة إلى أرض السّودان، واتخذ بتونس دارًا لصناعة المراكب البحرية، وأنشأ بها الجامع الأعظم جامع الزيتونة[5]، ثم ولاه هشام كامل المغرب حتى الأندلس، وقام بعدة فتوح في السودان والمغرب، وأغزى ناحية صقلية، وأصبح يتصرف في بلاد المغرب إلى أن قتل سنة 132[6]. كما يروي ابن عساكر في جانب التّولية أنّ عبد الملك بن محمّد بن الحجّاج ولي إمرة دمشق للوليد بن يزيد، بالإضافة إلى ولاية الجند والخراج[7]، كما ولّي النّضر بن عمر الشرطة والصّلاة ليزيد النّاقص، وولّي البصرة وعزل عنها سنة 101[8]، فكل هذا يوضّح أنّ الكتّاب كانوا يتولّون بالإضافة إلى الكتابة العديد من المناصب السيّاسية، وكان لهم عميق الأثر على هذا الجانب، فلعبوا دورًا في سيروتوجيه السيّاسة.

ونشير في الأخير إلى أنّ هناك بعض التجاوزات بدرت من بعض الكتاب، ومن ذلك ما فعله عياض بن مسلم كاتب هشام، فقد منع خزان الأموال من الإنفاق على هشام لما مرض، بل منعهم

---

[1]–البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص178.

[2]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج1، ص351. الذهبي، سير أعلام، ج5، ص74. عفّت وصال حمزة، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص323.

[3]–ج7، ص40. ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص199. الزركلي، الأعلام، ج7، ص342.

[4]–مصدر سابق، ج8، ص86.

[5]–الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص192.

[6]–ابن عساكر، مصدر سابق، ج37، ص415، 416.

[7]–المصدر نفسه، ص95.

[8]–المصدر نفسه، ج62، ص78.

من تكفينه حين مات فكفنه مولاه[1].

وهنا لا بد من كلمة وهي أنه لا ينبغي أن تتخذ المخالفة الواحدة وسيلة للتشهير في زمن من الأزمنة، أو بقعة من البقاع، وإنّما ينبغي أن يحاسب كل واحد لوحده ويحاكم على تصّرفاته.

1-3-دورهم في المجال الاقتصادي والإداري

كنّا تحدثنا عن سبب اتخاذ عمر بن الخطّاب لديوان الجند وحاجته إلى إحصاء الأموال والجنود[2]، وقلنا أن كاتب ديوان الجند يحتاج إلى أنّ يعرف مع الحساب الرّواتب الجارية وشيات الدّواب، وحلي النّاس وصفاتهم[3]، فهذا الدّيوان يختص بالجيش، وإثبات أسماء الجنود وتقدير أعطياتهم وترتيبهم، وإثباتهم في الديوان –كما يذكر الماوردي- معتبر بالبلوغ والإسلام والحريّة والقدرة على القتال أي السلامة من الآفات، والإقدام على الحرب، ويكون وقت العطاء معلوما، كما نشير إلى أنّ النفقات كانت تشمل الدّواب والجند[4].

يقول ابن خلدون أنّ مهام كاتب الجند: «إحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إباناتها، والرّجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتّبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدّولة، وهي كلّها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك الدّخل»[5]، فعلى كاتب الجند إذًا معرفة استحقاقات الرّجال، وأوقات أعطياتهم، وإخراجها في وقتها، وكذا تصفّح الأسماء وما يصدر ويرد من الكتب[6].

فهو لذلك يحتاج إلى «أن يرصّع أسماء أرباب الأقطاعات، والنّقود والمكيلات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم، والمماليك السّلطانيّة، وأجناد الحلقة، ويضع لهم جريدة يرتبها بحروف المعجم يثبت أسماءهم وسنة استقبالهم»[7]، «ومن أحكام كتاب الجيش الجارية على غير سبيل العدل أنه لا يجوز

---

[1]-المصدر نفسه، ج47، ص285.

[2]-انظر: التمهيد.

[3]-قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص24- 27.

[4]-الأحكام السلطانية، ص342- 345.

[5]-العبر، ج1، ص202.

[6]-قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص 21- 23.

[7]-النّويري، نهاية الإرب، ج8، ص200.

عندهم أن يزاد واحد من الرّجال أكثر من مبلغ رزقه»[1]، فبهم تحفظ الأموال وتضبط الغلال، فلذلك كان مقامهم رفيعا واشترط فيهم كتمان السّرّ والأمانة[2].

ونذكر هنا أنّ جند معاوية كانوا ستّين ألفا ينفق عليهم ستين مليون درهم في العام، فيلحق كل رجل ألف درهم، وكان عبد الملك يبالغ في الإنفاق على الجند، ولمّا تولى الوليد بن يزيد زاد العطاء عشرة دراهم[3]، ونشير هنا أنّ جنود المقاطعات كانوا يحصلون على راتبهم من ضرائب المقاطعة[4]، في إطار اللامركزية الإدارية والمالية، والمعلوم أن كاتب الديوان هو من يشرف على كل ما ذكرنا من إحصاء الجند وتوزيع أعطياتهم.

أما عن كتّاب ديوان الخراج فالمعلوم أنّه لم يكن للنبي ولا للخلفاء الراشدين تنظيم مالي محكم، وإنمّا كانت الأموال التي تجبى تقسّم بين المسلمين، وإذا بقي منه شيء يوضع في بيت تمّ يفرّق بعد ذلك ولا يبقى منه درهم[5].

ولمّا خصص للأموال ديوان كان كاتب الخراج يشرف عليها، فهو لذلك يحتاج –كما ذكرنا– إلى أن يعرف الزّرع والمساحة والطّسوق[6] والتّقسيط والحساب[7]، لأنّه يتولّى تنظيم أمور الخراج والنّظر في مشكلاته، كما يتولّى تسجيل ما يرد إليه من أموال، وما ينفق في الوجوه المختلفة، وفي هذا الدّيوان أيضا بيان بأحوال البلدان، وكيفية فتحها عنوة أو صلحا، وما استقرّ عليه حكم أرضها، هل هي أرض عشر أم خراج [8].

ومن مهام كاتب الخراج إصدار أحكام واتخاذ قرارات في قضايا تخص الديوان، وأغلب الأحكام تتعلّق بأصول الأموال وطرق تحصيلها، ووجوه إنفاقها، تمّ إنه يمضي الضّمان بأنواعه من ثمار وغلاّت وغيرها من وجوه الجبايات، وذلك ما لا يفعله الحكّام، كما يقوم كاتب الخراج أيضا بجباية

---

(1)–قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص30.

(2)–النويري، مصدر سابق، ج8، ص192، 193.

(3)–جرجي زيدان، تاريخ التمدّن، ج1، ص172، 173.

(4)-Juseph Burlot, La civilisation Islamique, P39.

(5)–الطرطوشي، سراج الملوك، ص349.

(6)–الطّسق: ما يوضع من الوظيفة على الجريان من الخراج المقرّر على الأرض، وهو فارسي معرّب، والطسق شبه الخراج له مقدار معلوم. ابن منظور، لسان العرب، مادة طسق، ج5، ص960. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة طسق، ج13، ص300.

(7)–ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج4، ص177.

(8)–شحاذة النّاطور، تجديد الدولة الأموية، ص363، 364.

الضّرائب في الأسواق، ويؤرّخ الضمانات حسب سنين الخراج[1].

ونشير هنا إلى أنّ الأموال ترفع إلى دواوين الخراج في الولايات، وتجري عن طريق الدّيوان المركزي بدمشق محاسبة دواوين الولايات[2].

فهذه إذًا هي أهمّ وظائف كتّاب ديوان الخراج، ونذكر هنا ما أورده اليعقوبي في تاريخه من أنّ خراج العراق وبلاد فارس بلغ في أيّام معاوية ستمائة ألف ألف وخمسة وخمسين ألف ألف، وكان خراج السّواد مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، وخراج فارس سبعين ألف ألف. واستقرّ خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين ألف دينار، والأردن مائة وثمانين ألف دينار، ودمشق أربعمائة ألف دينار وخمسين ألفا[3].

ويذكر المقريزي أنّه كان بمصر وحدها في خلافة معاوية أربعين ألفا من السّكان وكان يحمل إلى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل أعطيات الجند وما يصرف على النّاس، وكان معاوية يبعث من يحصي المواليد الجدد فيكتب أسماءهم ويثبتهم في الدّيوان[4]. وكل هذه الإحصاءات، والإشراف على الدّخل والخرج إنما يقوم بها كتّاب ديوان الخراج والجند، وهي وظيفتهم الرئيسيّة التي لأجلها تقلّدوا الديوان.

ونشير إلى أنّه من أجل تنظيم الحكومة المركزية والإدارة في الأقاليم أوجد الأمويّون قاعدة صلبة من الخدمات الإداريّة البيزنطية، وتعلّم الموالي السّوريون العربية، وأصبحوا في خدمة الخلفاء، وعلى رأس هؤلاء سرجون بن منصور الذي كان رئيس ماليه معاوية[5].

هذا ونذكر في الجانب الاقتصادي أنّ معاوية لمّا ولّى عبيد الله بن درّاج خراج العراق كتب إليه أنّ احمل إليّ من مالها ما استعين به فبعث إليه ابن درّاج ما كان في ديوان الجبايات وقدره خمسين ألف ألف درهم[6]، كما استخرج له من أرض البطائح ما بلغت غلّته خمسة ألاف درهم[7].

---

(1)-مصطفى الحيّاري، الدواوين من كتاب الخراج، ص17.

(2)-أنور الرّفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص133.

(3)-ج2، ص233. نجدة خمّاش، الإدارة في العصر الأموي، ص275.

(4)-الخطط، ج1، ص94.

(5)-Juseph Burlot, Op.cit, P36.

(6)-تاريخ اليعقوبي، ج1، ص218.

(7)-قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص169.

ويروي الجهشاري أنّ عبيد الله بن دراج طالب أهل السواد أن يهدوا إليه الأموال في النوروز[1] والمهرجان[2]، فبلغ ذلك ألف ألف درهم في السنة[3]، وهذه ضريبة خارجة عمّا تطالبهم به الدّولة.

وكذلك الكلام عن عبد الرّحمن بن درّاج فقد قلّده معاوية خراج العراق، فطالب أهل السّواد أن يهدوا إليه أموالا ففعلوا ذلك، فبلغ عشرة آلاف ألف درهم في السنّة، وسأل عبد الرّحمن رؤساء القرى عمّا كان من صوافي كسرى، فعرّف له الدّيوان فاستخرج ما كان فيه من الأموال وضبطه، فبلغت صوافي معاوية على عهد عبد الرحمن بن درّاج خمسين ألف ألف درهم[4].

ويذكر ابن كثير أنّ صالح بن عبد الرّحمن كان عارفا بكتابة الدّواوين، وعليه تعلّم أهل العراق كتابه الدّيوان[5]، وفي النّاحية الإدارية نذكر أنّ صالحًا هذا هو من نقل الدّيوان من الفارسيّة إلى العربية[6]، وبلغت الدّرجة به في الحفاظ على الأموال أنّه رفض طلب يزيد بن المهلّب لما ترجّاه أن يهبه دجاجة يزيدها في طعامه، ولمّا تزوّج يزيد طلب من صالح أيضا أن يجعل له رزق شهر للوليمة فأبي صالح[7]، وكلّ هذا حرصا منه على المال وانفاقه في سبله.

هذا ونذكر أنّ الكتّاب كانوا يستشيرون الخلفاء في أمور الأموال وممتلكات الدوّلة، فقد كتب أبو الزّناد إلى عمر بن عبد العزيز في بحيرة يستجمع فيها السّمك بأرض العراق أنؤاجرها؟ فكتب إليه عمر أن افعلوا[8].

ومن النّاحية الإداريّة نذكر أيضا أنّ سليمان بن سعد الخشني هو أوّل من نقل الدّيوان من الرّومية إلى العربيّة، وهو أوّل مسلم تولّى الدّواوين كلّها[9]، كما نذكر أنّ أسامة بن زيد تولّى مصر

---

(1)–النوروز أو النيروز بالفارسية اليوم الجديد، وهو أوّل يوم في السنة الشمسية الإير انية، ويوافق 21 مارس من السنة الميلادية، وعيد النوروز أكبر الأعياد القومية للفرس. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج2، ص962.

(2)–المهرجان: هو احتفال الاعتدال الخريفي عند الفرس . إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ج2، ص890.

(3)–الوزراء والكتاب، ص15.

(4)–مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص13

(5)–البداية والنهاية، ج9، ص245.

(6)–الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص110.

(7)–ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج23، ص344، 345.

(8)–أبو يوسف، كتاب الخراج، ص87.

(9)–ابن عساكر، مصدر سابق، ج23، ص319،320. الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص239.

وخراجها، فاستخرج ما لها اثنى عشر ألف دينار[1]، وكان حريصا على الأموال عظيم الأمانة لما يتولاّه، فلمّا وقف وجد أنّه ما جاء أحد من النّاس يطلب منه دينارًا ولا درهما إلاّ وجد مثبتا في الدّيوان، كما كان أمينا في الأرض أيضا[2].

وكذلك كان يزيد بن أبي مسلم، فقد قال عنه ابن خلّكان: «كانت فيه كفاية ونهضة»[3]، ولمّا أراد سليمان أن يستكتبه قال له عمر بن عبد العزيز: أسألك بالله يا أمير المؤمنين ألاّ تحيي ذكر الحجّاج باستكتابك إيّاه فقال: «يا أبا حفص إنّي لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم»[4]، وبالفعل كان يزيد محافظا على الأموال بل لم يُعرف عنه سرقة ولا خيانة في ذلك كما يقول الذهبي[5]، وكذلك كان صالح بن جبير الصّدائي صاحب أمانة وصلاح فيما يتولاّه، حتّى قال عنه عمر بن عبد العزيز: «ولينا صالح بن جبير فوجدناه كاسمه»[6].

في المجال الاقتصادي والإداري يذكر ابن عساكر أنّ ميمون بن مهران كان مشرفا على الأموال وجبايتها، وحتى ولاية القضاء، فقد كتب إليه عمر: «أجب الطّيب من الخراج واقض بما استبان لك، فإذا ألبس عليك شيء فارفعه إليّ»[7]، كما كتب ميمون إلى عمر يستعفيه من الخراج فكتب إليه عمر: «إنّي لم أكلّفك تعبا في حكمك ولا في جبايتك، فأجب ما جبيت من الحلال، ولا تجمع للمسلمين إلاّ الحلال الطّيب»[8]، فعمر كلّف ميمون بوظيفة الجباية والقضاء وهي من المهام التي أسندت أيضا لكتاب الخراج.

كما كان عمر يستشير ميمون في أمور الأموال، فقد روى ميمون قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز وسألني عن رأيي في الأموال التي أخذها أهله من النّاس ظلما، ونظر عمر إلى ميمون كالسمتغيث، فقال ميمون: يا أمير المؤمنين أحضر ولدك عبد الملك لننظر ما يقول. فحضر فقال

---

(1)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج8، ص84.

(2)-المصدر نفسه، ص86.

(3)-وفيات الأعيان، ج6، ص309.

(4)-الطرطوشي، سراج الملوك، ص213. ابن خلكّان، المصدر لسابق، ج6، ص310.

(5)-سير أعلام النبلاء، ج4، ص594. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص124.

(6)-الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص381. ابن حجر، تهذيب التهذّيب، ج4، ص336.

(7)-مصدر سابق، ج61، ص351. المزّي، تهذيب الكمال، ج29، ص218. الذهبي، سير أعلام، ج5، ص74.

(8)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج61، ص351، 352.

ميمون: ما تقول يا عبد الملك؟ قال عبد الملك: ما ذا أقول ألست تعرف مواضعها؟ قال بلى والله، قال ميمون: فارددها فإن لم تفعل كنت شريكا لمن أخذها[1].

ونختم كلامنا في الجانب الاقتصادي والإداري بالقول أنّ ميمون كان يلطف بالأمة ويحرص على عدم ضياع أموالها، حتّى أنّه أشار على عمر بترك الطوامير التي يكتب فيها بالقلم الجليل وهي من بيت المال، فترك عمر ذلك، وكتب إلى الآفاق، فكانت كتبه نحو شير[2].وبهذا نقول أن الكتاب لم تقتصر مهامهم على التّدوين وصياغة القرارات صياغة إنشائية، وإنّما تعدت ذلك إلى التحكم في الأموال والإدارة وضبط أمورها.

ولما كان محل الكتاب مهمّا على الجانب الاقتصادي كان الخلفاء يشددون عليهم، بل يبلغ بهم الأمر حتى إلى عزلهم إذا بدرت منهم خيانة أو أدنى مخالفة، ونورد هنا رواية يذكرها الجهشياري، مفادها أنّ عبد الملك بلغه أنّ بعض عماله من الكتاب قبل هدية فقال له: «أقبلت هدية منذ وليتك... قال: نعم قد قبلت، فقال: والله إن كنت قبلت هدية لا تنوي مكافأة المهدي لها إنك لئيم دنيء، وإن كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولاها إنّك لخائن، وإن كنت نويت تعويض المهدي عن هديته، وإنك لا تخون له أمانته ولا تثلم له دينا، فلقد قبلت ما بسط عليك لسان معامليك، وأطمع فيك سائر مجاوريك، وسلبك هيبة سلطانك، وما في من أتى أمرا لم يخل فيه من لوم أو دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع، وصرفه عن عمله»[3].

2-كتّاب الرّسائل وديوان الإنشاء: مهامهم ووظائفهم

مدخل

المراد بكتابة الإنشاء: «ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني، من المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان، وما في معنى ذلك من كتابة الحكم ونحوها»[4].

وعندما قامت الدّولة الأمويّة كانت قد تبلورت قواعد ديوان الرّسائل، وأصبح له كيان مستقلّ،

---

[1]-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج18، ص100.

[2]-عبد الله بن عبد الرحمن، أثر العلماء في الحياة السيّاسية، ص198.

[3]-الوزراء والكتاب، ص27.

[4]-القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص84.

وعرف في تلك الدّولة باسم ديوان الرّسائل، وأخذت منذ ذلك الوقت قواعد كتابة الوثائق العامة تتبلور، وتصبح أعرافًا يتّبعها الكتّاب، واقتضى ذلك وجود نوع معيّن من الكتّاب الذّين يختلفون عن غيرهم من الذّين يعملون في الدّواوين الماليّة وديوان الجيش وغيره، وعرف هذا النّوع من الكتّاب باسم كتّاب الإنشاء[1]، ويطلق عليهم اسم صاحب السرّ أيضا[2].

فكتّاب الإنشاء أهل صدارة ووجاهة«لمّا تصدّوا له من كتم الأسرار، وتردّوا به من محاسن الأواخر ومآثر الأوائل، والتحفوا به من مطارف الفضائل والمكارم، وتحلّوا به من صفات الأفاضل والأكارم»[3].

2-1-دورهم الاجتماعي والثقافي:

لقد تولّى كتّاب الإنشاء وظائف عدّة على المستويين الاجتماعي والثّقافي، وكان لهم عميق الأثر في هذين المجالين، ولعبوا دورا في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وتوفير الصّدقات، وعمارة بيوت الله والنظر في أحوال الفقهاء، والالتفات إلى عمارة البلاد وجهاد الأعداء وإقامة الحدود[4]، ونبدأ حديثنا هنا بالكلام عن جبير بن حيّة كاتب معاوية وزياد، فقد رويَ أنّه كان معلّم كتّاب وكاتبا على الدّيوان[5]، وهو مع ذلك راوي حديث، فكان يروي عن المغيرة بن شعبة، وذكره ابن حبّان في الثّقات[6]، وكذلك كان عبيد الله بن أوس الغساني محدّثا، وحدّث عنه ابنه محمّد[7].

ومن النّاحية الاجتماعية نذكر أنّ عبيد الله بن أبي بكرة كان يهتّم بأمور الرّعيّة، ويشرف على الإنفاق عليهم، فقد لقي والي خراسان مرة وهو رثّ الهيئة، فتعجّب من ذلك وكتب إلى وكليه يأمره بدفع 20 ألفا و 20 بعيرا لهذا الوالي، فقد كان عبيد الله من الأجواد ويروى في ذلك أيضا أنّ أعرابية جاءت تسأله فأعطاها أموالا، وتصدق على أحد النّاس بجارية[8]، وكان ينفق على جيرانه في

---

(1)-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص54.

(2)-القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص436.

(3)-النّويري، نهاية الإرب، ج8، ص191،192.

(4)-ابن الصّيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص13، 14. القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص140.

(5)-المزّي، مصدر سابق، ج4، ص502. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص54.

(6)-ج4، ص11.

(7)-ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص139.

(8)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج38، ص 135،137.

كل اتجاه أربعين دارًا، يسدّ نفقاتهم، ويبعث إليهم بالهدايا والأضاحي في العيد، ويزوّج من أراد الزواج، ويروى أنه كان يعتق كل عيد مئة عبد[1].

ودخل عبيد الله يومًا على الحجّاج وفي يده الخاتم الذي ختم به، فسأله الحجّاج كم ختم بذلك الخاتم فقال عبيد الله: ختمت به على أربعين ألف ألف دينار، فسأله الحجّاج فيما أنفقها فأجاب: في اصطناع المعروف، وردّ الملهوف، وتزويج العقائل[2].

وعلى الصّعيد الثقافي نذكر أنّ عبيد الله كان محدّثا قليل الحديث[3]، وكان أوّل من قرأ بالألحان وعلّم النّاس ذلك، فأخذ عنه قوم كثر[4]، وعلى الصعيد الثقافي دائما نذكر أنّ الكتّاب نقلوا لنا أخبار الخلفاء، ومن ذلك أنّ الرّيان بن سلم روى أخبار عمر بن عبد العزيز والحجّاج[5]، كما كانت توكل إلى الكتّاب أيضا مهمّة تدوين الحديث، ونذكر كدليل على ذلك أنّ عبد الملك استدعى أبا هريرة، وجعل يسأله عن الحديث، وكلّف كاتبه أبا الزعيزعة بكتابه ذلك[6]، ويروي البلاذري أنّ عبد الملك كان يأمر روح بن زنباع بزيارة المرضى، ويسأله بعدها عن حالهم[7]، وهذه إذن من المهام التي كانت توكل إلى الكتّاب سواء روح هذا أو غيره.

وعن زيارة النّاس نذكر أنّ روحًا زار يوما أحد الرّجال فوجده ينقّي شعيرا لفرسه وحوله أهله، فسأله روح: ما كان في هؤلاء من يكفيك؟ قال: بلى، ولكن ما من امرئ مسلم ينقّي لفرسه شعيرا إلاّ كتب له بكل حبّة حسنة[8]، وهذا التصرّف من روح يثبت أنّ الكتاب لم يكونوا بمعزل عن المجتمع، وإنّما احتكّوا بأفراده، وعاشوا مثلهم، كما كان الكتاب أيضا واسطة بين الرعيّة والحاكم، فقد روى البلاذري أن الحجاج سجن يوما أحد الرجال، فكلم روح عبد الملك في شأنه وأن أهله

---

(1)-المصدر نفسه، ص138. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص478-، 479. ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج1، ص78.

(2)-ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص27.

(3)-ابن سعد، الطبقات، ج7، ص190.

(4)-ابن قتيبة، المعارف، ص296.

(5)-انظر في ذلك: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج18، ص275.

(6)-المصدر نفسه، ج20، ص88. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج9، ص196.

(7)-أنساب الأشراف، ج7، ص217.

(8)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص241.

يستغيثونه، فبعث عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاق سراح السجين[1].

يذكر الطّرطوشي وغيره أنّ روحًا كان يوما في طريقه إلى الحجّ، ونزل بين مكة والمدينة لتناول غذائه، فمرّ بهم راع فقال روح: يا راع هلمّ إلى الغداء، فقال: إني صائم، قال: أتصوم في هذا الحرّ الشّديد، قال الراعي: أفأدع أيامي تذهب باطلا، عندها أنشد روح يقول:

لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع[2]

هذا عن النّاحية الاجتماعية والاختلاط بالرّعيّة، أمّا عن الناحيّة الثقافية فنذكر أنّ روحًا كان خطيبا[3]، مطّلعا على موضوعات الشّعر المختلفة، وبصيرا بأروع الشّعر الجاهلي، وكان متتبّعا لآراء النّقد في طبقات الشّعراء، وكان يجاوز ذلك إلى التفريق بينها، والأخذ ببعضها[4]، فساهم بذلك في إنماء الثّقافة العربية والحفاظ عليها.

ونذكر أيضا أنّ ربيعة الجرشي كان فقيها، ويعلّم النّاس الفقه زمن معاوية[5]، كما كان محدّثا أيضا[6]، ونذكر عن رجاء بن حيوة أنه كان واعظا من العلماء الفصحاء[7]،وكان يصلي بالناس، وعرف باعتداله في الصلاة، فاقتدى به غيره، حتى قال أحد أهل الشام: ما احدّ أحب إليّ اقتدي به من رجاء بن حيوة[8]، ومن الأعمال التي كان يمارسها الإفتاء باعتباره فقيها محدثا[9]، وفي المجال الاجتماعي أيضا نذكر أنّ رجاء كان مهتما بأمور الرّعية، وذكر أنّه كان واقفا يوما على باب سليمان إذ أتاه رجل فقال: «يا رجاء إنّك قد ابتليت بهذا وابتلي بك، فعليك بالمعروف وعون الضعيف، يا رجاء إنّه من كان له منزلة من سلطان فرفع حاجة ضعيف لا يستطيع رفعها، لقي الله وقد شد قدميه

---

(1)-البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص294.

(2)-سراج الملوك، ص115. ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص250. ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص47.

(3)-الزّركلي، الأعلام، ج3، ص34.

(4)-شحاذة الناطور، تجديد الدولة الأموية، ص281.

(5)-الرازي، كتاب الجرح والتّعديل، ج3، ص373. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص43.

(6)-ابن حبان، الثقات، ج4، ص229.

(7)-الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص17.

(8)-تاريخ أبي زرعة، ج4، ص143.

(9)-المزي، تهذيب الكمال، ج9، ص154.

للحساب بين يديه»[1]، كما كلّف رجاء أيضا بالقضاء إلى جانب الصلاة بالناس[2].

وكان يدافع عن الرعية عند الخليفة، فقد روى صاحب وفيات الأعيان، أنّه كان عند عبد الملك يوما وذكر شخص بسوء، فقال عبد الملك: والله لئن مكنني الله منه لأفعلنّ ولأصنعنّ، فلمّا أمكنه الله منه همّ بإيقاع الفعل به، فقال رجاء موجّها له، مدافعا عن الرجل الضعيف، يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت، فاصنع ما يحبّ الله من العفو، فعفا عبد الملك عنه وأحسن إليه[3].

وكان عبد الملك قد أرسل رجاء إلى بيت المقدس سنة 66هـ من أجل عمارته، ووكلّ إليه العمل وإنفاق الأموال، فبنوا القبّة فجاءت أحسن البناء وزخرفوها، وما بقي من الأموال منحه عبد الملك لرجاء، فزاده في زخرفة القبّة[4].

وكان الكتّاب يكتبون المصاحف ويذهبونها، ولعلّ أشهر من فعل ذلك خالد بن أبي الهيجاء في عهد الوليد بن عبد الملك[5].

ويذكر ابن عساكر أيضا أنّ يزيد بن أبي كبشة كاتب الوليد ولي الشرطة لعبد الملك، ثم ولي الصوائف[6].

ثمّ الخراج أيام سليمان، وكان على قدر في الشّام، وكان يصلّي بالنّاس أيضا[7]، وكان ليث بن أبي رقية راويا للحديث[8]، ونقل لنا الأخبار عن عمر بن عبد العزيز[9].

وفي الجانب الاجتماعي أيضا يروي الجهشياري أنّ ابن بطريق هو من أشار على سليمان ببناء

---

(1)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص109،110. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص361،362.

(2)-البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ص312.

(3)-ابن خلكان، ج2، ص302. ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج1، ص145.

(4)-ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص237.

(5)-يحي وهيب، الخط والكتابة، ص99.

(6)-الصوائف من الصائفة وهي الغزوة في الصيّف. ابن منظور، لسان العرب، مادة صيف، ج5، ص605.

(7)-مصدر سابق، ج65، ص362، 363.

(8)-ابن حبان، مصدر سابق، ج9، ص29.

(9)-انظر في ذلك: أبو نعيم، حلية الأولياء، ج5، ص275، 276.

الرّملة[1]، فقد قال لسليمان إن عبد الملك بنى مسجدًا في بيت المقدس على هذه الصّخرة فعرف ذلك له، وإن بنيت مسجدًا أو مدينة نقلت النّاس إليها، فبنى سليمان مدينة الرّملة ومسجدها[2].

ومن المهام الجانبية التي قد توكل إلى الكتّاب أحيانا، تغسيل الخلفاء عند موتهم، ونذكر هنا أنّ عمر بن عبد العزيز أوصى رجاء بأن يكون فيمن يغسله ويكفنه ويدخل قبره، ففعل[3].

وفي الجانب الثقافي نشير إلى أنّ الكتّاب قد توكّل إليهم مهمّة تدوين الحديث والعلوم، فقد أمر عمر بتدوين الحديث خوفا من ضياع السنّة، كما عرف العهد الأموي تدوين اللّغة والشّعر ونقلت كتب الطّب والكيمياء والنّجوم والحرب إلى العربيّة[4]، وأسندت للكتّاب أيضا مهمة كتابة الخصومات وما يأمر به الخليفة في ذلك، ومن ذلك ما حصل لعمر مع أحد الشّاكين له فقال عمر: ما حاجتك، قال: عاملك أخذ منّي أموالا، قال عمر: اكتبوا له حتّى يردّ عليه ماله[5].

ونذكر أنّ إسماعيل بن أبي حكيم كان راويا للحديث، واستعمله عمر بن عبد العزيز في بعض أعماله غير الكتابة[6]، ومن المهام أيضا ما ذكره الطّبري في تاريخه من أنّ هشام أمر كاتبه الأبرش بحبس مخنّثين وبيع متاعهم ففعل، وصيّر ثمنه إلى بيت المال[7]، فالكتاب بهذا كانوا يتولوّا البيع والشّراء للخلفاء، لأنّ الخليفة لا يتسنّى له ذلك، فانشغاله بأمور الخلافة أولى.

كما كان سالم بن عبد الرحمن مدرّسا بالمسجد، يدرّس فنون الأدب والعلوم[8]، وكان أستاذ عبد الحميد بن يحيى في الكتابة[9]، ويذكر ابن النّديم أنّه نقل رسائل أرسطاليس إلى الإسكندر من

---

(1)-الرّملة مدينة عظيمة بفلسطين وكانت رباطا للمسلمين وبنى فيها سليمان قصرًا ومسجدًا بإشارة من كاتبه ابن بطريق كما ذكرنا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص79.

(2)-الوزراء والكتاب، ص30.

(3)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج45، ص256.

(4)-محمّد كرد علي، أمراء البيان، ص27، 28.

(5)-الطّرطوشي، مصدر سابق، ص110.

(6)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج8، ص383.

(7)-ج7، ص206.

(8)-البغدادي أبو القاسم، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص72.

(9)-ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج20، ص80. ابن حلّكان، مصدر سابق، ج3، ص230. سير أعلام النبلاء، ج5، ص462.

اليونانية إلى العربية، وله رسائل مجموعة في نحو مئة ورقة[1]، كما كان يقضي حوائج النّاس ويخالطهم، ومنعه هشام أن يمشي مع الناس في موكب، فكان إذا مشى معه غريب توقف وسأله عن حاجته[2].

وعند الحديث عن النّاحية الاجتماعية والثّقافية يمكننا القول بأن عبد الحميد الكاتب احتلّ مرتبة الصّدارة في هذين المجالين من بين كل الكتّاب، إذ كان له دور كبير في نشر الثّقافة والحفاظ عليها، وفي إحياء المجتمع وإصلاحه، فترك مجموعة من الرسائل تقارب نحو ألف ورقة[3] تشهد له بنبوغه وتفوقه، وقد اختلط بالفرس وأخذ أساليبهم في الكتابة والسيّاسة، إلى جانب اختلاطه بالأرمن وتعلّمه لغتهم، واكتسب من عاداتهم، وتأثّر بثقافتهم[4]، وكان على ثقافة عالية في العلوم الإسلاميّة والعربية، ولا نستطيع أن نجزم بمقدار ما كان يعرفه من الفارسية والأرمينيّة[5].

كما كان عبد الحميد من البلاغة في مكان مكين، وكان شاعراً[6]، وتأثّر باللّسان الفارسي، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: «ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللّغات، ثمّ انتقل إلى لغة أخرى، تهيّأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له في الأوّل، ألا ترى أنّ عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللّسان العربي، فلا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من يكمل لإصابة المعنى، وتصحيح اللّفظة، والمعرفة بوجوه الاستعمال»[7].

وقد جاء عبد الحميد بطريقة جديدة في الكتابة العربيّة، وأطال الرّسائل وابتدع أسلوبا جديدا خاصّا به «فنهج للكتّاب سبل الإنشاء وأعلى في العالمين ذكرهم، وشرّف صناعتهم، وكانت قبله في الغالب لا تعدّ عملا شريفا من أعمال الدولة، ولا يتولاّه في الأغلب إلاّ الموالي ومن إليهم، فوقر هذا الفنّ الصّعب في النّفوس، حتّى كان الإنشاء ينقل صاحبه، من دواوينه إلى أرقى دواوين الملك»[8]. ولا بأس أن نذكر هنا ما أضافه عبد الحميد إلى كتابة الرّسائل: فقد أطال التّحميد في أوّلها وتوسّع

---

(1)-الفهرست، ص149.

(2)-البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص383.

(3)-ابن النديم، مصدر سابق، ص149. سير أعلام النبلاء، ج5، ص 426،463.

(4)-عبد الأمير شمس الدّين، الفكر التربوي عند ابن المقفّع، الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، ص24.

(5)-عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص722.

(6)-انظر، من شعره، الجهشياري، مصدر سابق، ص53. الطبري، مصدر سابق، ج6، ص188.

(7)-الصناعتين، ص69.

(8)-محمّد كرد علي، أمراء البيان، ص36.

فيه، بالإضافة إلى ذلك نوّع التّحميدات حسب المقام ونوع الكتب، في الختام كما نوّع في البدء، مراعاة للمقام والموضوع[1].

بالإضافة إلى هذا مارس عبد الحميد وظيفة التّعليم والتأديب في دولة بني أميّة[2]، «والواقع أنّ أهميّة عبد الحميد تتمثّل في غير ناحية، فهو كاتب إداريّ، وكاتب رسائل، وصاحب نظريّة في الأدب وأصول الكتابة»[3]، أمّا من جهة المجتمع فكان عبد الحميد يرمي إلى إصلاح مجتمعه كهدف بعيد وغير مباشر، وهو ما يطلق عليه اليوم بالسياسة أو الاستراتيجية التربوية، وانتهج في ذلك أقصر الطرق، من إصلاح الحاكم وأعوانه وولاّته، وبصلاح هؤلاء يصبح صلاح الرّعية أمرا ميسورا، فهدف عبد الحميد الإصلاحي شمل الفرد والمجتمع، وعلى هذا الهدف تمحورت كتاباته الأدبية الإصلاحية، وقد استعان عبد الحميد لتحقيق أغراضه بالحاكم نفسه، وركز على العقل وتعاليم الإسلام وإقران القول بالعمل، واللّجوء إلى الأصدقاء عند الحاجة، وهذه الضوابط حاول عبد الحميد أن يغرسها في نفوس أفراد مجتمعه حكّاما ومحكومين[4].

ومن خلال رسائله يتّضح لنا أنّه ركّز على أمور تنظيميّة وإصلاحيّة، تتناول الأخلاق والممارسات لأبناء مجتمعه، محاولا أن ينتقل بهم إلى وضع أفضل، عن طريق تبنّي قيم ومعايير أخلاقية صالحة، فحاول بذلك الإصلاح في شتى القطاعات، بداية بقطاع الحكّام والولاّة، ونصحهم بالعلم والأدب والحكمة، ثمّ التدّبر في أمور العامة وأمور عمّاله، ونصحهم بالمشورة وتعهّد الجند[5].

ونشير هنا إلى القطاعات والغايات الإصلاحية لعبد الحميد، فأمّا القطاعات التي تناولها تدبيرا أو تدبّرا فتمثلت في قطاع الحكام، وقطاع الكتاب وقطاع الإخوة والأصدقاء، فأمّا ما يتعلق بقطاع الحكام فتناول إصلاح الحاكم لنفسه، والتدبّر مع الأعوان والخواص، وكذا التدبّر مع العامة، وما يخص مجالسه وتحادثه.

أما قطاع الكتاب فتناوله من خلال وظيفتهم وموقعهم، وكذا من خلال تأثّرهم وتأثيرهم، أما

---

[1]-أحمد محمّد الحوفي، أدب السياسة، ص568، 569.

[2]-ابن قتيبة، المعارف، ص304. عمر فرّوخ، مرجع سابق، ج1، ص723. عبد الأمير شمس الدين، مرجع سابق، ص24.

[3]-هاني العمد، أدب الكتابة، ص22.

[4]-عبد الأمير شمس الدين، مرجع سابق، ص 45-49.

[5]-المرجع نفسه، ص 34-41.

قطاع الإخوة والأصدقاء فتناول دوره على صعيد الأفراد، وعلى صعيد الجماعات[1]. هذا عن القطاعات التي تناولها عبد الحميد بالإصلاح أما غايته الإصلاحية، فتمثلت في إصلاح الفرد والمجتمع وإصلاح الحاكم في ذاته ومع غيره، من أعوان ومساعدين وعامة[2].

لقد أرست عبقرية عبد الحميد إذا قواعد أصولية متينة للكاتب في كل زمان ومكان، وهذه القواعد مستمدّة من الدّين الإسلامي، والتّقاليد العربية الشريفة، فقد حلّل الأمور السيّاسية والاجتماعية تحليلا واقعيّا ورسم مشروعا مستقبليّا للسيّاسة والثّقافة والمجتمع: «فرسالته[3] برهان على وجود أطر إسلامية تتخلّى عن الشهوة والسلطان، وتتجه نحو الثقافة الإسلاميّة التي لا تنتهي»[4].

وكما لاحظنا لم يكن الكتّاب مجرّد صائغين لأحكام الدّواوين أو قرارات الحكّام، بل تعدّت مهمّتهم إلى تدوين العلوم والقضاء والصّلاة، وإصلاح المجتمع وتنمية الثّقافة، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدل على الطاقات العقليّة والزّخم المعرفيّ للكتّاب، وعلمهم بالمجتمع وخباياه، وسبل التّعامل مع أفراده وإصلاحهم.

2-2-دورهم في الحياة السيّاسية:

يقول الجاحظ عن كتّاب الإنشاء: «لا يحضر كاتب الرّسائل لنائبة ولا يفزع إليه في حادث، فإذا أبرم الوزراء التّدبير ووقفوا منها على التّقدير، طرحت إليه رقعة بمعاني الأمر لينسّق في القول، فإذا فرغ من نظامه واستوى له كلامه، أحضر له محرّر، فجلس في أقرب المواطن من الخليفة، وأمنع المنازل من المختلفة، فإذا انقضى ذلك فهما والعوامّ سواء»[5].

ونحن إذ نعرض هنا مهام الكتّاب ووظائفهم السيّاسية نردّ على هذا القول، ونبيّن أنّ الكتّاب لم تكن وظيفتهم الكتابة على الرّقع فحسب، كما نبيّن أنّهم ارتقوا إلى مرتبة الوزراء بل أعلى منها، حين توكل إليهم الخلافة في المرحلة التي تلي موت خليفة وقبل تولّي خليفة آخر كما سنوضح، وهي ما يعرف بالفترة الانتقالية للخلافة.

---

[1]-المرجع نفسه، ص 52.

[2]-المرجع نفسه، ص 53.

[3]-انظر: ملحق رقم 2، 3.

[4]-عبد الحميد جيدة، صفاعة الكتابة ، ص96، 97.

[5]-رسائل الجاحظ ، ج2، ص205.

يذكر القلقشندي أنّ صاحب ديوان الإنشاء ينظر في الأمور الخطيرة، كولايات النّواب والقضاة، والكتب المتعلّقة بمهمّات السّلطنة، ويصدر رأيه في كل هذا، ويستقلّ برأيه في الأمور الصّغيرة التي لا تصلح لعرضها على السّلطان[1]، ويشرف كاتب الإنشاء على مراسلات الخليفة مع الولايات والأمصار، وأحيانا مع الدّول الأخرى التي تفاوض في الشؤون السيّاسية والاقتصادية[2]، بل تتعدّى وظيفته إلى استدراج الخصم، وفي ذلك يقول ابن الأثير: «فإذا لم يتصرّف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده، وإلاّ فليس بكاتب، ولا شبيه له إلاّ صاحب الجدل، فكذلك هذا يتصرّف في المغالطات الخطابيّة»[3].

ولم يكن الكاتب دائما «مجرّد صائغ فنّي محترف لرغبات الحاكم وأوامره، بل قد يصل أحيانا إلى أن يتدخّل في تكييفها أو يقتطع له قسطا من السّلطة، وإذا كانت أجهزة الدّولة الإسلاميّة تنقسم إلى وظائف القلم... ووظائف السيّف... فإنّ نفوذ بعض الكتّاب قد وصل أحيانا إلى الجمع بين وظائف السيّف والقلم»[4].

وبالإضافة إلى أنّ الكاتب مشارك في إصدار القرار فهو مشارك أيضا في السيّاسة مشاركة تعليميّة، «فلم يخلوا بتوجيهاتهم السيّاسية على الحاكم، ومرّروا بضاعتهم بطرق خاصة»[5]، وزيادة على ما ذكرنا أصبح الكاتب مأمونا في كل ما يكتب، ولا يفعل الخليفة أكثر من أن يوقّع فقط، وأصبح الكاتب كالوزير وله رأي في أمور الدّولة وله سلطة عظيمة[6].

وعن مشاورة الخلفاء للكتّاب و دورهم في تولية الولاة وعزلهم، يذكر الطّبري أنّ أهل الكوفة لما بايعوا الحسين بن علي، وظهر ضعف واليها النّعمان بن بشير، كتب أحد أنصار يزيد إليه يخبره بذلك، فدعا يزيد سرجون كاتبه واستشاره، فأشار عليه قائلا: إنّه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فولّها إياه —وكان يزيد عليه ساخطا وكان همّ بعزله عن البصرة– فكتب إليه برضائه وأنّه قد ولاّه

---

[1]–صبح الأعشى، ج6، ص188، 189.

[2]–صبحي الصّالح، النظم الإسلامية، ص314.

[3]–المثل السّائر، ج2، ص295.

[4]–علي أومليل، السلطة الثقافية، ص53، 54.

[5]–المرجع نفسه، ص58.

[6]–شوقي أبو خليل، الحضارة العربية، ص320.

الكوفة مع البصرة[1].

فهذه الرّواية تثبت أنّ الخلفاء كانوا يلجؤون إلى الكتّاب في أحلك الظّروف، ويستشيرونهم ويأخذون برأيهم في الأمور السياسية، فالكاتب بذلك مشارك في صياغة القرار، ومن هنا نفهم حق الفهم قول عبد الحميد في رسالته إلى الكتّاب: «...بكم ينتظم الملك، وتستقيم للملوك أمورهم، وبتدربيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجتمع فيهم وتعمر بلادهم، يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي في القدر السني والدني من ولايته، لا يستغني عنكم منهم أحد ولا يوجد كاف إلاّ منكم...» [2].

ونشير أيضا أنّ الكتّاب ارتقوا بوظيفتهم حتّى أصبحوا ولاة للأقاليم، فقد كان جبير بن حيّة كاتبا وعظم شأنه إلى أن ولي أصبهان[3]، وبقي عليها إلى خلافة عبد الملك، كما كان عبيد الله بن أبي بكرة يتدخل في الشؤون السيّاسيّة، ومن ذلك أنّ معاوية طلب من زياد أموالا، فرفض زياد دفعها، ورفض المجيء إلى الخليفة، فقام والي البصرة عندئذ بجمع أولاده، وأرسل إليه بالقدوم أو يقتل الأولاد، وعندها تدخل عبيد الله بن أبي بكرة، وطلب من معاوية أن يخلي سبيل الأطفال، وقال له: إنّ النّاس لم يبايعوك على قتل الأطفال، فأمر معاوية بإخلاء سبيلهم وعفا عنهم[4].

كما ارتقى عبيد الله بمنصبه إلى أن ولي الكوفة مع البصرة[5] ثم وليّ سجستان، وغزا من أراضيهم، ثمّ صالح ملك التّرك على ألفي ألف دينار ومائتي ألف دينار، فأجابه إلى ذلك وأمضى الصّلح ورجع إلى سجستان وبقي بها[6]، فهذه كلّها وظائف أوكلت إلى الكتّاب ولم تكن من صميم صناعة الكتابة.

---

[1]-تاريخ الطّبري، ج5، ص347، 348. ابن أعثم، الفتوح، ج5، ص60.

[2]-الجهشياري" الوزراء والكتاب، ص47. القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص118. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج2، ص456.

[3]-المزّي، تهذيب الكمال، ج4، ص502، 503. ابن حجر، تهذيب التهذّيب، ج2، ص54.

[4]-ابن خلدون، العبر، ج3، ص5.

[5]-مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص221.

[6]-الطّبري، مصدر سابق، ج6، ص322. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص395. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص19-25.

أمّا عن الرّيّان بن سلم فنذكر أنّه تولّى وظيفة صاحب الحرس في عهد عبد الملك[1]، وكذلك تولّى هذه الوظيفة أبو الزّعيزعة كاتب عبد الملك، كما كان هذا الأخير واسطة بين الخليفة والرّعيّة، فيبلّغ أوامره إلى النّاس وحوائجه[2]، وهو من قتل عمرو بن سعيد الأشدق لما خرج على عبد الملك، فوطّد بذلك له السّلطة والبلاد[3].

أما عن روح بن زنباع كاتب عبد الملك فالمعلوم أنّه هو من فصل الأمر في الجابيّة بعد اختلاف بني أميّة حول من يولّونه الخلافة، فاقترح عليهم مبايعة مروان بن الحكم[4]، وممّا نذكره من مهامّ روح أنّ عبد الملك لمّا قلّد أخاه بشرا العراق ضمّ إليه روحًا ليكون مرافقا له في ولايته ومرشدًا، ولكنّ بشرا تحايل عليه وأعاده إلى دمشق بعد ذلك[5].

وكان عبد الملك يستشير روحا في أموره، فكان عنده كالوزير[6]، يقول الذّهبي: «روح بن زنباع سيّد جذام، وأمير فلسطين، كان معظّما عند عبد الملك لا يكاد يفارقه وهو عنده بمنزلة الوزير»[7]، ويروي البلاذري أنّ الحجّاج سجن أحد الأشخاص، فأتى صاحبه إلى روح، وشكى له الحجّاج، فكلّم روح عبد الملك في شأنه، فبعث عبد الملك إلى الحجاج بإطلاق سراح السّجين[8]، وليس هذا فحسب بل تعدّت مهمّة روح إلى أن تدخّل في أمر الخلافة، وأشار على عبد الملك أن يفي لعمرو بن سعيد ويولّيه الخلافة بعده، فرفض عبد الملك ذلك[9].

وبهذا يعدّ منصب صاحب الرّسائل من المناصب التي يطّلع صاحبه على خفايا وأسرار الدّولة، ولاختلاطه بالخليفة كان له أن يتدخل في أمور الدولة[10]، هذا ويذكر البلاذري أنّ والي المدينة لما

---

(1)-تاريخ خليفة ، ص190. أنساب الأشراف، ج7، ص61.

(2)-تاريخ خليفة، ص190. تاريخ دمشق، ج20، ص88. الذهبي،تاريخ الإسلام، ج7، ص94.

(3)-أنساب الأشراف، ج6، ص59،60. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص90.

(4)-ابن سعد، الطبقات، ج5، ص41. النويري، نهاية الإرب، ج21، ص87.

(5)-الجهشياري، مصدر سابق، ص21، 22. مروج الذّهب، ج3، ص117، 118.

(6)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج18، ص240. الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص61.

(7)-العبر، ج1، ص72. ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص95.

(8)-أنساب الأشراف، ج7، ص294.

(9)-أبو حنيفة، الدّينوري، الأخبار الطوال، ص262.

(10)-محمد ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء، ص190.

خرج إلى قتال ابن الزّبير خلف على المدينة روح بن زنباع[1]، وهذه تدخل في عداد المهام والوظائف التي كلّف بها الكتّاب أيضا، كما نذكر أنّ روحًا كان أحد المقاتلين مع عبد الملك حين حاصر المدينة، وكان روح دخل أحد الأبراج واستقصى عن الجنود الخارجين بالمدينة ورجع بالمعلومات إلى عبد الملك[2]، ويذكر ابن حبّان أنّ روحا كان أحد الغزاة[3].

وروى روح بأنّه دخل يوما على عبد الملك فوجده مهموما، فسأله عن سبب ذلك فقال: فكّرت فيمن أولّيه أمر العرب فأرشده روحٌ قائلا: أين أنت من الوليد ريحانة العرب وسيّدها، فعهد إليه عبد الملك[4]، ولعلّ كل هذه المواقف والتدّخلات والمهام التي أوكلت لروح بن زنباع تزيدنا قناعة واستدلالا على رفعة الكتّاب، وتدخّلهم في بلورة السيّاسة وسيرها.

ويذكر الجهشياري أيضا أنّ عبد الملك استشار كاتبه ربيعة الجرشي في تقليد ابنه الوليد العهد، فطلب منه ربيعة أن يمهله سنة، فأمهله عبد الملك، فلمّا انقضت السّنة عاوده وقال له: إنّي عزمت أن أولّيه شيئا من النّواحي، فإذا مضت له مدّة قلّدته النّواحي، فقال ربيعة: «يا أمير المؤمنين إنك بعثت الوليد يقسم الأموال بين النّاس مارضوا عنه فكيف تبعثه جابيا؟ إن احتاط ذُمَّ، وإن رفق عجز، وأنت تريد أن تجيبه، فولّه المعاون والصّوائف، فيكون ذلك شرفا وذكرا»[5]، وهذه إشارات وتوجيهات من الكاتب إلى الخليفة، حتى يحافظ على سير الدّولة واستقرار أمورها.

ومن المهام أيضا ما كلّف به قرة بن شريك، فقد انتدبه الوليد لقتال الخوارج، ففعل ذلك وبعث إليه أعيانهم[6]، وولاه الوليد على الصّلاة والخراج سنة 90هـ، وأمره بالزيادة في المسجد الجامع، فابتدأ بنيانه سنة 92هـ، وقام قرّة بتدوين الدّيوان سنة 95هـ، ثمّ ولي إمرة مصر، وبقي عليها حتى توفي سنة 96هـ[7].

---

(1)-أنساب الأشراف، ج5، ص357.

(2)-المصدر نفسه، ج7، ص47.

(3)-الثقات، ج4، ص237.

(4)-الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص497. السيّوطي، تاريخ الخلفاء، ص225.

(5)-مصدر سابق، ص22. مسكويه، مصدر سابق، ج2، ص257.

(6)-البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص62.

(7)-الكندي، ولاة مصر، ص84. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص65.

كما وليّ يزيد بن أبي كبشة الشرطة على عهد عبد الملك[1]، وولي حرب العراق[2]، كما وليّ الصّوائف أيضا، وولاه الوليد العراقين، وكان له قدر في أهل الشام وكان يصلّي بالناس[3].

وبالإضافة إلى هذه المهامّ كان الكتّاب يشاركون في الفتوحات، فقد شارك المغيرة بن أبي قرّة سليمان بن عبد الملك في فتوحاته الشّرقيّة وفتح له جرجان[4]، وكذلك المفضّل بن المهلّب فقد ولاّه الحجّاج خراسان[5]، فغزا باذغيس[6] وغنم منها الكثير[7] وحقّق عدة فتوح، ثمّ ولي الجند لسليمان في فلسطين[8].

فالكتّاب كانوا أيضا يتقلّدون الولايات والفتوح، بل زيادة على ذلك يروي ابن عساكر أنّ عمر بن عبد العزيز أرسل إسماعيل بن أبي حكيم إلى القسطنطينية لفداء الأسرى المسلمين هناك[9]، فكان إسماعيل بذلك سفيرا بين الخليفة وملك الرّوم.

وقيل إنّ رجاء كان كالوزير لسليمان[10]، وكان «يصحب الخلفاء ويأمرهم بالمعروف، فلمّا مات عمر انقطع عن صحبتهم»[11]، ومن المفيد أن نعرض هنا بعض الرّوايات والمواقف التي تبيّن مهام رجاء ودوره علي الصّعيد السيّاسي، فقد رُوي أنّ رجاء كان عند عبد الملك وذكر شخص بسوء، فقال عبد الملك: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلنّ ولأصنعنّ، فلمّا أمكنه الله منه همّ بإيقاع الفعل به، فقال له رجاء: يا أمير المؤمنين، قد صنع الله لك ما أحببت، فأصنع ما يحبّ الله من العفو

---

(1)-تاريخ خليفة، ص189.

(2)-البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص286.

(3)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج65، ص362، 363. المزي، مصدر سابق، ج32، ص228، 229.

(4)-ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10، ص240.

(5)-تاريخ الطّبري ، ج6، ص393. المزّي، مصدر سابق، ج28، ص220.

(6)-باذغيس ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة، ومر والرّوذ، عرفت بكثرة رياحها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص378.

(7)-الطبري، المصدر السابق، ج6، ص397.

(8)-المزّي، مصدر سابق، ج28، ص222. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج10، ص246.

(9)-تاريخ دمشق،، ج8، ص386. ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص54.

(10)-الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7، ص363.

(11)-ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص387.

، فعفا عنه وأحسن إليه[1].

فهذا الموقف يبرز أنّ رجاء كان يتدخّل في أمور الخليفة ويشير عليه، بل أنّ عبد الملك كان يبعث بكتبه إلى النّاس مع رجاء فهو واسطة بينه وبين غيره من الرّعية والولاّة[2]، ويذكر البلاذري أنّ عبد الملك أتى بأسارى وأراد أن يقتلهم، فقال له رجاء: أذكّرك ألاء الله عندك بالعفو، فعفا عبد الملك عنهم وفكّ أسرهم[3]، ومن هنا تبرز مكانة الكاتب وأهميّته، وفي ذلك يقول الدكتور هاني العمد «وتكمن أهميّة الكاتب في الإسلام في أنّه اكتسب منزلة جديدة، فأصبح كالحكيم المجرّب صاحب مكانة عالية، لاجتماع الكلمة والفكرة فيه، وهو صانع الرأي، يستمع إليه صاحب الدولة ويعمل بنصيحته»[4].

واستمرّ رجاء في تدخّلاته السيّاسيّة في عهد سليمان، فقد قال عنه أبو نعيم: «الفقيه المفهّم المطعام، مشير الخلفاء والأمراء، رجاء بن حيوة أبو المقدام، كان قد أشار على سليمان أن يولّي أحد القضاة القضاء، فجاءه أحد الرجال وسأله، فقال: إنّي نظرت للعامة ولم انظر إليه»[5].

ولمّا مرض سليمان كتب كتابا يعهد فيه إلى ابنه أيّوب –وكان صغيرا– فأشار عليه رجاء أن يولّي الرّجل الصّالح، وقال له: «إنّه ممّا يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف الرّجل الصّالح، فتراجع سليمان، وأشار عليه رجاء بعمر بن عبد العزيز، وطلب منه أن يكتب له كتابا بذلك ففعل، وبقي الكتاب عند رجاء فخرج به إلى المسجد بعد وفاة سليمان وأخذ البيعة لعمر بن عبد العزيز»[6].

وهناك موقفان نشيد بهما عند ذكر تدخّل رجاء في تولية عمر: أوّلهما أنّه لمّا كتب سليمان لعمر العهد وتركه عند رجاء، جاء هشام بن عبد الملك إلى رجاء وقال: يا رجاء إنّ لي بك حرمة ومودّة قديمة، وعندي شكر فأعلمني أهذا الأمر لي، فأبى رجاء، وقال: والله لا أخبرك حرفا واحدًا مما أسرّ إليّ، فانصرف هشام وهو يائس، وضرب الأرض برجليه وقال: «فإلى من إذا إذا نُحّيت عنّي،

---

(1)–ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص302. ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج1، ص145.

(2)–البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص48، 49.

(3)–المصدر نفسه، ص222.

(4)–أدب الكتابة، ص20.

(5)–حلية الأولياء، ج5، ص170، 171.

(6)–ابن سعد، الطبقات، ج5، ص 335-337. أنساب الأشراف، ج8، ص116. تاريخ دمشق، ج45، ص159، 160. ابن الجوزي، سيرة عمر، ص47. سير أعلام النبلاء، ج5، ص123.

أتخرج من بني عبد الملك، فوالله إنّي لعين بني عبد الملك»[1].

فهذا الموقف الأوّل يدل على كفاءة رجاء وقدرته على تحمّل الأمانة وحفظه السّر، أما الموقف الثّاني الذي نشيد به فهو أنّ رجاء لمّا أعلن في المسجد بعد وفاة سليمان أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز، قال هشام: لا نبايعه أبدا، فقال رجاء: أضرب والله عنقك قم فبايع، فقام هشام يجرّ رجليه فبايع[2]، ومن خلال هذا الموقف أيضا يتّضح أنّ للكتّاب مكانة بلغت حتى مكانة الخلفاء أنفسهم فتحكّموا في زمام الأمور.

وبعد استعراضنا لأثر رجاء في استخلاف عمر يتّضح لنا أمران: أوّلهما احتلال رجاء مكانة كبيرة عند سليمان، فقد تفرّد بالجلوس معه في خلواته، ويختصّ بأسراره، ويشير عليه في اخطر أمر في الدّولة، فأمام رجاء تضاءلت مكانة أفراد البيت الأموي، والقادة العسكريين وكل الإداريّين في الدّولة، «وأيّ مكانة أكبر من أن يصير أمر الخلافة والدّولة بين كفّي رجاء، في كتاب لا يدري سواه ما فيه غير الخليفة، ولذا قيل ما نعلم أحدًا جازت شهادته وحده إلاّ رجاء بن حيوة، أي أنّه صدق على عهد عمر بن عبد العزيز وحده»[3].

والأمر الثاني الذي يظهر لنا هو ما يتمتّع به رجاء من حنكة سياسيّة، وحكمة في تنفيذ الأمور المهمّة، ويتجلّى ذلك من خلال نجاحه في كتمان الأمر حتّى عند أشدّ النّاس له محبّة عمر بن عبد العزيز، واتخذ الموقف نفسه –كما أشرنا– مع هشام، وقد أسهم هذا الموقف من رجاء في نجاح الأمر وإنفاذه[4]. ومن هنا نفهم جيدا قول الدكتور علي أوميل: «وعلى الكاتب أن يدبّر أمره ليس فقط كي يصوغه صياغة فنيّة بلاغية فحسب، بل عليه أيضا أن يكون عارفا بالمقاصد السياسية لصاحب الأمر، وأن يعرف كذلك مقام الذي يوجّه إليه الخطاب، وباختصار فالكاتب ليس مجرّد صائغ فنّي للمراسلات الرّسمية، بل بحكم اتّصاله بأعلى موقع لإصدار القرار، هو كاتب سياسي قبل كل شيء»[5].

---

[1]–ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص336، 337. ابن الجوزي،، سيرة عمر، ص47.

[2]–الطّبري، مصدر سابق، ج6، ص552.

[3]–عبد الله بن عبد الرحمن، اثر العلماء في الحياة السياسية، ص153، 154.

[4]–المرجع نفسه، ص154، 155.

[5]–السلطة الثقافية، ص58.

وبعد وفاة سليمان وتولّي عمر الخلافة ظلّ رجاء يتبوّأ مكانة كبيرة ومنزلة عالية، من خلال قربه من عمر وملازمته له، حيث جعله عمر من خواصّه ومستشاريه، ويستنصحه في أمور العامّة والخاصّة[1]، وهذا منذ اللّحظة الأولى التي تولّى فيها عمر الخلافة، فقد جمع عمر حاشيته لمّا تقلّد الخلافة وقال لهم: إنّي ابتليت بهذا فأشيروا عليّ، فقال رجاء في صفة الرّجل الموجّه المرشد: «إن أردت النجاة من عذاب الله غدا، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك ثمّ متى شئت متّ»[2].

ويروي المبّرد أنّ عمر كان جالسا مع أحد ضيوفه وهمّ السّراج أن يخمد فقام رجاء ليصلحه، فأقسم عليه عمر فجلس، ثمّ قام عمر فأصلحه، فقال رجاء: أتقوم يا أمير المؤمنين فقال عمر: «قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز»[3]، وبالإضافة إلى كل ما ذكرنا من مهام رجاء، يذكر ابن خلكان أنّ عمر أمره يوما أن يشتري له ثوبا بستة دراهم ففعل[4].

فهذه هي إذًا جلّ المهام التي أسندت لرجاء ولعب فيها دورًا رئيسيّا وحسّاسا، ولكنّنا منذ عهد يزيد بن عبد الملك نرى رجاء يعتزل الخلافة، وذلك حين رأى أنّ قربه من الخليفة لن يحقّق له ما كان يهدف إليه من تحقيق المصالح، فاعتزاله يرمي إلى تحقيق السّلامة لنفسه من الإثم ببقائه مع يزيد، وهو يراه يسير بسيرة لا تحقق المصلحة، ثمّ لعلّه رأى في اعتزاله ليزيد نوعا من إظهار عدم الرّضى بسياسته، واستمرّ رجاء في الابتعاد عن الخلافة والخليفة، زمن هشام، ورغم ذلك لم يبخل عليه بالنصّيحة، فقد أشار عليه بقتل غيلان[5].

ويروي ابن عساكر أنّه لمّا مرض هشام مرض موته جاء خادمه إلى سالم وقال له: أدرك أمير المؤمنين، وائت بالدّواء معك –وكان هشام مرض بالذّبحة في حلقه- فذهب سالم بالدّواء إليه وجعل يتغرغر به، فلم يسكت عنه الألم حتّى مضى من اللّيل شيء، ثمّ قال هشام لسالم: انصرف ودع الدّواء عندي فقد وجدت بعض الرّاحة، فانصرف سالم ولم ينم حتى سمع الصّراخ على هشام، فعلم

---

[1]–عبد الله بن عبد الرحمن، المرجع السابق، ص155.

[2]–الطّرطوشي، سراج الملوك، ص106. ابن عساكر، مصدر سابق، ج45، ص170.

[3]–الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص237. ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص301. ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص197. السيّوطي، تاريخ الخلفاء، ص240.

[4]–مصدر سابق، ج2، ص301.

[5]–عبد الله بن عبد الرّحمن، مرجع سابق، ص 155.

أنّه قد مات[1]، فسالم لم يكن كاتبا فحسب، بل حتّى خادما للخلفاء إذا اقتضى الأمر، ونشير أيضا إلى أنّ سالم بعث بعد وفاة هشام إلى الوليد بن يزيد بكتاب يولّيه الخلافة[2]، وهذا الفعل من سالم يدل على تحكّمه في زمام الأمور بعد وفاة الخليفة، وهو مقارب لموقف رجاء بعد وفاة سليمان، بل أعظم من ذلك فسالم ولّى الوليد من تلقاء نفسه ودون إذن من الخليفة.

ونذكر في الجانب السيّاسي أيضا أنّ بكير بن الشمّاخ كان على شرطة يزيد بن الوليد حتّى مات[3]، ومن الوظائف أيضا ما ذكره ابن الجوزي من أنّ عمر بن عبد العزيز أرسل عبد الأعلى بن أبي عمرة إلى طاغية الرّوم يدعوه إلى الإسلام[4]، وروي أيضا أنّ عمر بعثه لفداء أسرى القسطنطينية فسأله عبد الأعلى: أرأيت إن أبوا أن يفدوا الرّجل بالرجل كيف أصنع؟ قال عمر: ردّهم، فسأله عبد الأعلى ثانية: أرأيت إن أبوا أن يفدوا الرّجل بالاثنين؟ قال: فأعطهم ثلاثة، قال: فإن أبوا إلاّ الأربعة، قال عمر: فأعطهم بكلّ مسلم ما سألوا: فو الله للرّجل من المسلمين أحبّ إليّ من كلّ مشرك عندي، إنّك ما فديت به المسلم فقد ظفرت، إنّك إنّما تشري الإسلام، فصالح عبد الأعلى عظيم الرّوم على رجل من المسلمين برجلين من الرّوم[5].

ووظيفة السّفارات وفداء الأسرى من أخطر المهامّ التي ألقيت على كاهل الكتّاب لما فيها من خطورة وحاجه إلى الإقناع وحرية اتخاذ القرار.

كما لم يتردّد عبد الأعلى بن ميمون بن مهران في نصح الوليد بن يزيد، فقد روى ابن عساكر أنّ الوليد دخل يوما إحدى الكنائس بالشّام وكتب بالفحم في أحد الحيطان: ما أرى العيش غير أن تتبع النّفس هواها فمخطئا أو مصيبا، فلمّا رأى عبد الأعلى ذلك كتب:

إن كنت تعلم حين تصبح آمنا أنّ المنايا إن أقمتَ تقيمُ

---

[1]-تاريخ دمشق، ج64، ص29، 30.

[2]-ابن الأثير، الكامل، ج4، ص257.

[3]-تاريخ خليفة، ص242. ابن عساكر، مصدر سابق، ج10، ص388.

[4]-سيرة عمر بن عبد العزيز، ص195.

[5]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج3، ص419.

فالزم هواك ما أردت فإنّه لا مثل ذلك في النّعيم نعيمُ[1]

ويذكر الجهشياري أنّ عمرو بن عتبة كان ملازما للوليد بن يزيد، فقال له يومًا: «يا أمير المؤمنين إنّك تلطفني بالأنس وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك، وأراك تأمر بأشياء أخلفها عليك، أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا؟ فقال: كلّ مقبول منك، ولله فينا علم، ونحن صائرون إليه»[2].

ونختم حديثنا في الجانب السيّاسي بالكلام عن عبد الحميد الكاتب، فقد كتب قليلا عن هشام ثمّ كتب لمروان، وكان كما ذكرنا في البداية معلّما بالكوفة وولي أرمينيّة والجزيرة[3]، ممّا ساعده على تكوين اتّصالات وعلاقات مع المقرّبين من الخلفاء، فبلغ عندهم مبلغًا كبيرا من التّقدير والاحترام[4]، ثمّ قام في خلافة مروان مقام الوزير[5]، ولعبد الحميد رسالتان كبيرتان: رسالة إلى الكتّاب[6] وأخرى في نصيحته لولي العهد[7] كتبها على لسان مروان إلى ابنه وليّ عهده عبد الله حين وجّهه لقتال الضّحاك بن قيس الفهري[8] الخارجي، وكتابته للرّساله هي مهمّة كلّف بها من قبل مروان، فانطوت هذه الرّسالة على دروس عظيمة في تربية أبناء الملوك وتلقينهم الأخلاق، وكذلك وضع خطط حربيّة يسير عليها وليّ العهد في قتال العدوّ، و«اثبت عبد الحميد من خلال هذه الرّسالة أنّه من علماء التّربية والنّفس، وأنّه عارف بالسيّاسة والإدارة والحرب، يستطيع أن يقود الجيوش بعلمه، كما يقود الممالك بقلمه»[9].

فقد جوّد عبد الحميد الكلام عن خطّة الحرب يريد أن يرفع بها مقام وليّ العهد، فأبان ذلك عن بعد نظره في سياسة الملك وسياسة الرعية، ثم أنشأ للمكتوب إليه طريقا واضحا في سلوكه مع جلسائه وبطانته، «وتا الله لقد لقّنه هنا أدبا وحدّد له عادات أشبه بقواعد الحياة العامّة في الممالك

---

(1)-المصدر نفسه، ج33، ص419، 420.

(2)-الوزراء والكتاب، ص44.

(3)-محمّد كرد علي، أمراء البيان، ص32. أحمد محمّد الحوفي، أدب السياسة، ص559.

(4)-عبد الأمير شمس الدّين، الفكر التربوي، ص24.

(5)-ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص318.

(6)-انظر ملحق رقم 3.

(7)-انظر ملحق رقم 2.

(8)-الضّحاك بن قيس الفهري: زعيم حروريّ خرج سنة 126، في مئتين من حرورية الجزيرة، استولى على الموصل والكوفة، ولكن مروان بادر بقتله بضواحي ماردين سنة 129. ابن قتيبة، المعارف، ص233. الزركلي، الأعلام، ج3، ص215.

(9)-محمّد كرد علي، أمراء البيان، ص53.

المتحضّرة اليوم، والعقل البشري على كثرة ارتقائه جيلا فجيلا لن يبرح في دائرة نرى فيها ما كان يستحسن من قبل ألف سنة يستحسن اليوم، وتلك القواعد التي يتمسّكون بها هي القواعد التي سنّها أجدادنا منذ ثلاثة عشر قرنا»[1].

فعبد الحميد بدأ إصلاحه بقطاع الحكّام والولاّة، فنصحهم بالعلم والأدب، ثمّ التدبّر في أمور العامّة وأمور عمّاله، ونصحهم بالمشورة وتعهّد الجند[2]، وبذلك وضع خططا لإقامة نظام جديد للدّولة والإدارة والسيّاسة، إلى جانب وضع القواعد العامّة للتربية، خاصّة تربية أبناء الملوك[3].

هذا ويذكر القلقشندي أنّ عبد الحميد كان يكتب عن مروان لبعض الولاّة يوبّخهم على تقصيرهم ويرشدهم بأوامره[4]، وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره[5]، ولمّا رأى عبد الحميد ظهور بني العبّاس أشار على مروان أن ينكح زعيمهم أحد بناته وقال له: «فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه شيئا، وإن كفيته لم تشن بصهره، فرفض مروان الأخذ بهذه النصيحة»[6].

وكتب عبد الحميد إلى أبي مسلم الخرساني، وقال لمروان قد كتبت كتابا إن نجع فذاك وإلاّ فالهلاك، فلمّا ورد الكتاب على أبي مسلم فتحه فإذا فيه:

محى السيّف أسطار البلاغة وانتحى ليوث الوغى يقدمن من كل جانب
فإن تقدموا نُعمِل سيوفا شحيذة يهون عليها العُتْب من كلّ عاتب[7].

ولمّا أحسّ مروان بالهزيمة طلب من عبد الحميد أن يصير إلى العدوّ، فرفض عبد الحميد ذلك وفضل الموت معه وقال:

أسرّ وفاءً ثمّ أظهر غُدرة فمن لي بعذر يوسع النّاس ظاهرة[1]

---

(1)-المرجع نفسه، ص62.
(2)-عبد الأمير شمس الدّين، مرجع سابق، ص41.
(3)-المرجع نفسه، ص24.
(4)-صبح الأعشى، ج10، ص198.
(5)-ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج3، ص229.
(6)-الجهشياري، مصدر سابق، ص45.
(7)-النويري، نهاية الإرب، ج7، ص254.

وكانت الخاتمة أن قتل مروان وقتل بعده عبد الحميد على يد شرطة السّفاح[2].

وكل الأعمال والمشاهد السيّاسية لعبد الحميد تكشف عن عبقريته وحنكته، كما تكشف عن زخم الفكر السيّاسي الذي كان يتمتّع به العربي المسلم في هذه الفترة، فالشّروط التي اشترطها عبد الحميد هي شروط العمل السيّاسي، فهدف إلى تطبيق تطبيق الفكر السيّاسي الدّيني في كل دوائر الدّولة الإسلاميّة[3].

وقد تجلّى لنا من ما ذكرنا عن كتاب الإنشاء أنّهم كانوا بأعلى مرتبة، فهم الوزاء وهم المستشارون، ولهم أسندت أمور السيّاسة والرئاسة، وبهم تحصّن الخليفة وإليهم لجأ، وكل الأعمال والمواقف السيّاسية التي ذكرناها شاهدة على ذلك.

2-3-دورهم الاقتصادي والإداري

لم يكن لكتّاب الإنشاء دور كبير على الصّعيد الاقتصادي والإداري، فلم يتقلّدوا مهامّ ووظائف بالشّكل الذي شاهدناه على الصّعيد السيّاسي، ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ المهام والوظائف , الجانب الاقتصادي والإداري قد حظي بها، وأشرف على تنفيذها كتاب ديوان الخراج أو الأختام وبيوت الأموال والخزائن، وقلّما يتقلّد كتاب الرسائل ذلك، وقلّة النصوص التي بين أيدينا خير دليل على ما نقول.

ومع ذلك نقول أنّه يلزم على الكاتب متولّي الدّيوان أن يتصفح كل ما يكتبه في السجلات تجنبا للتصحيف، وكذلك مراقبة عمّاله الصغار في الديوان، فهم أعوانه ومساندوه[4]، وهذا من صميم عمله الإداري، كما يقوم بتنظيم الكتب في الديوان، ويصنع دفترا بألقاب الولاّة وفهرستنا للكتب الواردة والخارجة[5].

أما بخصوص الجانب الاقتصادي فهناك مواقف مختلفة بدرت من الكتّاب، فمنهم من حافظ

---

(1)-الجهشياري، مصدر سابق، ص51. النّحاس، عمدة الكتاب، ص39، 40. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص229.

(2)-ابن عساكر، مصدر سابق، ج34، ص94، 95.

(3)-عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة، ص101، 102.

(4)-الماوردي، الأحكام السلطانية، ص357-360. الفراء، الأحكام السلطانية، ص354-357. فتحية النبراوي، تاريخ النظم، ص112.

(5)-ابن خلدون، العبر، ج1، ص206.

على الأموال وشدّد في إنفاقها، ومنهم من أغدقها، وترك العنان للإنفاق، ونبدأ حديثنا عن عبيد الله بن أبي بكرة، فقد كان ينفق على جيرانه في كل اتجاه أربعين دارا، يسدّد نفقاتهم ويبعث إليهم بالهدايا والأضاحي في العيد، ويزوج من أراد[1]، وكان الحجاج سأله كم ختم بخاتمة فقال: على ثلاثين ألف ألف، فسأله فيم أنفقها فأجاب: في تزويج النّساء والمكافأة بالصّنائع[2]، فهذا دليل على أنّه بالغ في الإنفاق، ولم يحسب له حسابه، ونضيف إلى ذلك أنّ زياد لمّا ولّى عبيد الله بن أبي بكرة سجستان أمره بجمع أموال المجوس، فصار إليه أربعين ألف درهم، فما أتي عليه الحول حتّى أنفقها، ولذلك أشار عبد الملك على الحجاج بعد ذلك أن لا يستعمل عبيد الله[3].

هذا من النّاحية الماليّة أما الناحية الإدارية فقد تولّى عبيد الله منصب القضاء بالبصرة في إمرة الحجّاج[4]، وفي الجانب الإداري دائما نذكر أنّ سليمان بن سعد كاتب عبد الملك كان له دور في تعريب الإدارة والديوان بالشام[5]، كما سنذكر لاحقا.

أمّا روح بن زنباع فقد أشار على عبد الملك بضرب نقود إسلاميّة[6]، ولمّا ولّى عبد الملك الحجّاج على العراق قال لكاتبه: «اكتب عهده ولا تؤخّره، وأعطه من الرّجال والكراع والأموال ما سأل»[7]، فالكاتب كان يشرف إذن على الأموال وإنفاقها.

وعن الأموال أيضا نذكر أنّ عبد الملك أرسل رجاء بن حيوة إلى بيت المقدس من أجل عمارته، ووكّل إليه العمل وإنفاق الأموال، فبنوا القبّة فجاءت من أحسن البناء وزخرفوها، وما بقي من الأموال منحه عبد الملك لرجاء، فزاده في زخرفة القبّة وتزيينها بالذّهب[8].

كما كان أسامة بن زيد يرفع أموال خراج مصر إلى يزيد بن عبد الملك[9]، وبهذا يكون

---

[1]-ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج38، ص138.

[2]-ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص27.

[3]-نجدة خمّاش، الإدارة في العصر الأموي، ص311.

[4]-تاريخ خليفة ، ص187. الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص191.

[5]-ابن عبد ربّه، العقد الفر يد، ج4، ص170. انظر: المبحث الرابع من هذا الفصل.

[6]-حسان حلاّق، تعريب النقود والدواوين، ص36.

[7]-ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص150.

[8]-ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص237.

[9]-الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص32.

الكتّاب قد تولّوا مهمة جمع الأموال والحفاظ عليها، بل بلغ الأمر بهم في الحفاظ على الأموال إن اقتصدوا وبخلوا حتى على أنفسهم، فقد روي أنّ عمرو بن عتبة كان يأكل في كل يوم رغيفين، يتسحّر بأحدهما ويفطر بالآخر[1].

هذا ما يمكن قوله على الصّعيد الاقتصادي، وكما لاحظنا في مهام كتّاب الإنشاء، فقد تنوّعت وظائفهم وبرزت إسهاماتهم على جميع الأصعدة السيّاسية منها والاقتصادية وحتى الاجتماعية والثقافية، وهذا يبرز أنّهم كانوا على مستوى عالي من التّفكير والتوّجيه وحسن التسيير والتخطيط، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على وعي فكري سياسي واقتصادي واجتماعي تمتع به الكتاب، وجعلوه حيّز التطبيق، في إطار نظام حاكم وسلطة واحدة هي سلطة الخليفة.

3-كتاب ديوان الأختام وبيوت الأموال والجزائن:

3-1-دورهم الاجتماعي والثّقافي:

لقد كان لكتّاب هذا الدّيوان أيضا دور ومهام على الصّعيد الاجتماعي والثّقافي، ولعلّ من حظي بالنّصيب الأكبر في هذا المجال هو قبيصة بن ذؤيب كاتب عبد الملك، فقد كان عالما فقيها راويا للحديث، روى عن أبي هريرة وزيد بن ثابت وجماعة من الصحاية، وروى عنه الزهري ورجاء بن حيوة[2]، وكان أعلم الناس بالقضاء[3]، ولغزارة علمه قال أبو الزّناد فقهاء المدينة أربعة منهم قبيصة بن ذؤيب[4].

وعلمه هذا هو الذي بوّأه المكانة الرفيعة، وتولّي المهامّ عند عبد الملك، بل أصبح واسطة بينه وبين الرّعية، يذكر ابن سعد أنّ قبيصة كان على خاتم عبد الملك فأدخل عليه الزّهري ووصله، ففرض له عبد الملك وصار من أصحابه[5]، وكان قبيصة أيضا يشير على عبد الملك في أموره فقد روي أنّ عبد الملك همّ بنقل منبر رسول الله ﷺ فقال له قبيصة: أذكّرك الله أن تفعل، فإنّ معاوية حرّكه

---

[1]-المزّي، تهذيب الكمال، ج22، ص140.

[2]-ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص336. ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص250،251. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص170،171.

[3]-ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص280.

[4]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص210. النّويري، نهاية الإرب، ج21، ص279. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص172.

[5]-الطبقات، ج7، ص447.

فكسفت الشّمس[1]، ونهاه قبيصة فأعرض عبد الملك عن إخراجه من المدينة[2].

وبالإضافة إلى كل هذا كان قبيصة معلّم كتّاب[3]، وهذه وظيفة طالما تقلّدها الكتّاب، فقد تقلّدها أيضا عمرو بن الحارث كاتب عبد الملك[4]، كما كان عمرو هذا محدّثا روى عن عائشة والزّهري وغيرهما[5].

وكان نعيم بن سلامة محدّثا أيضا[6]، ومن مهامّه التي تذكرها المصادر أنّه كان يشرف على دفن الأموات وكان يحثو على الميّت ويقول في الأولى: بسم الله، وفي الثانية الملك، وفي الثالثة: لاشريك له[7]، ونقل لنا العديد من الأخبار عن عمر بن عبد العزيز[8]، فبفصل هذا وأمثاله حفظت لنا تواريخ الخلفاء وسيرهم، والشيء نفسه يقال عن مطير مولى يزيد بن عبد الملك، فقد نقل لنا أيضا أخبارا عن عبد الملك و الحجاج[9].

ونذكر أيضا أن أصحاب ديوان الخاتم قد توكل إليهم كتابة الرسائل أحيانا، فقد ذكر ابن عساكر أن جناح مولى الوليد كان على الرّسائل أيضا وهو صاحب خاتمه، وكان أيضا على جامع دمشق، وقيل أشرف على بنائه[10].

فكتّاب هذا الدّيوان إذًا لم يكونوا بمعزل عن الحياة الاجتماعية والثّقافية بل كانت لهم أدوار – كما بيّنا- تدل على احتكاكهم بأفراد المجتمع، واهتمامهم بالعلم والثّقافة.

---

(1)–قيل لمّا حرّكه معاوية كسفت الشمس حتّى رُئيت النّجوم في بادية النّهار، فأعظم النّاس ذلك، فأعرض معاوية عن حمله إلى الشّام وكساه. تاريخ الطبري، ج5، ص238. ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص227، 228.

(2)–المنتظم، ج5، ص228. النّويري، مصدر سابق، ج20، ص327.

(3)–ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص255. المزي، مصدر سابق، ج23، ص479. ابن حبّان، الثقات، ج5، ص318.

(4)–ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص258.

(5)–المصدر نفسه، ج45، ص452. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص441.

(6)–ابن حبان، مصدر سابق، ج5، ص478.

(7)–ابن عساكر، مصدر سابق، ج62، ص174.

(8)–انظر في ذلك، المصدر نفسه، ص171.

(9)–انظر في ذلك: المصدر نفسه، ج58، ص367.

(10)–المصدر نفسه، ج11، ص284-286.

3-2-مهامّهم ودورهم على الصّعيد السيّاسي:

لقد كان لكتاب ديوان الاختام وبيوت الأموال دور هامّ وفعّال على الصّعيد السيّاسي، وقد نال فبيصة بن ذؤيب الحظّ الوافر من هذا، فقد كان خاصّا بعبد الملك، وبلغ من لطافة محلّه منه أنّه كان يقرأ الكتب الواردة إلى عبد الملك قبله، ثمّ يدخل بها إليه مفضوضة الختم، فيقرأها عليه ويخبره بما فيها[1]، وقد كان كالحاجب عنده، وقد ذكرنا أنه هو من أدخل الزهري على عبد الملك فوصله وفرض له[2]، ونظرًا لأهميّة ما يتولاّه قبيصة قال عبد الملك لحجّابه: «لا يحجب عنّي قبيصة أيّ ساعة من ليل أو نهار، إذا كنت خاليا أو عندي رجل واحد، وإن كنت عند النّساء أدخل المجلس، وأعلمت بمكانه فدخل»[3].

ومن مظاهر تدخّلات قبيصة في الجانب السيّاسي ما رواه ابن سعد وغيره من دفاعه عن سعيد بن المسيب، فقد دخل قبيصة على عبد الملك بكتاب هشام بن إسماعيل[4] والي المدينة يذكر أنّه ضرب سعيدا وطاف به، فقال قبيصة: «يا أمير المؤمنين: يفتات عليك هشام بمثل هذا، يضرب ابن المسيّب ويطوف به، والله لا يكون سعيد أبدًا أمحل[5] ولا ألجّ[6] منه، حين يضرب سعيد لو لم يبايع ما كان يكون منه، وما سعيد ممّن يخاف فتقه ولا غوائله على الإسلام وأهله، وإنّه لمن أهل الجماعة والسّنّة، وقال قبيصة أكتب له يا أمير المؤمنين في ذلك، فقال عبد الملك، أكتب أنت إليه عنك، تخبره برأيي فيه، وما خالفني من ضرب هشام إيّاه، فكتب قبيصة إلى سعيد بذلك، فقال

---

(1)-مسكوية، تجارب الأمم، ج2، ص256. ابن عساكر، مصدر سابق، ج49، ص253. الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج24، ص140. ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص62.

(2)-ابن قتيبة، المعارف، ص254.

(3)-الطبري، مصدر سابق، ج6، ص412. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص261. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص101. النّويري، مصدر سابق، ج21، ص275.

(4)-هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، والي المدينة، كانت ابنته زوجة عبد الملك بن مروان، فولاه المدينة سنة 82. وحج بالناس سنة 83، 84، 85 وصرف سنة 87 في خلافة الوليد وتوفي بعدها. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص214،215. الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص84.

(5)-محل فلان بفلان أي سعى به إلى السّلطان، وعرّضه لأمر يهلكه، والمحال هو الكيد. ابن منظور، لسان العرب، مادة محل، ج6، ص687، 688.

(6)-ألجّ : من لجّة وهي ارتفاع الأصوات واختلاطها. المصدر نفسه، مادة لجح، ج2، ص143.

سعيد حين قرأ الكتاب: الله بيني وبين من ظلمني»[1].

ومن مظاهر مشاركات قبيصة السيّاسة أيضا، رأيه في محمد بن الحنفية، الذي امتنع عن مبايعة عبد الملك، فقد استشار عبد الملك قبيصة وروح بن زنباع في أمره، فأشارا عليه بأخذ البيعة منه أو صرفه إلى الحجاز، أين يستعرض لمضايقه ابن الزبير، فاختار الحجاز[2].

ومن المواقف السيّاسة لقبيصة أيضا أنّ عبد الملك لمّا قتل عمرو بن سعيد، علم بأن أصحاب عمرو يحيطون بالقصر، وقد احتار لأمرهم، فدخل قبيصة صاحب مشورته فسأله عبد الملك: ما ترى في هؤلاء الذين أحدقوا بناء وأحاطوا بقصرنا؟ -يقصد أصحاب عمرو-، فقال قبيصة: إطرح رأسه إليهم يا أمير المؤمنين، ثمّ اطرح عليهم الدّنانير والدّراهم يتشاغلون بها، ففعل عبد الملك ذلك، فتشاغل أصحاب عمر وبالدنانير وتناسوا صاحبهم[3].

ومن مظاهر التّدخلات السيّاسية لقبيصة أيضا أنّه نصح عبد الملك لمّا أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز بأن لا يفعل، لأنّ ذلك يبعث له العار، وقال له: لعلّ الموت يأتيه فتستريح منه، فكفّ عبد الملك عن ذلك، ولكن نفسه بقيت تنازعه أن يخلعه، فدخل عليه روح بعد ذلك ونصحه أن يخلعه وأنّ ذلك لا يجلب له أيّ شيء، فقال له عبد الملك، نصبح إن شاء الله، فما أصبحا حتّى جاءهما الخبر من قبيصة بموت عبد العزيز، فقال قبيصة لعبد الملك: الرّاي كلّه في الأناة والعجلة فيها ما فيها[4].

ولا شكّ أنّ ما همّ به عبد الملك من محاولة خلع أخيه إجراء سياسي خطير، يمكن أن يؤدّي بالدّولة إلى الانقسام، ولكن هذا لم يحصل بسبب نهي قبيصة لعبد الملك، «ومن خلال هذا الموقف لقبيصة يمكن أن نستشف منهجه في التعامل مع عبد الملك كمشير ووزير، ويتمثل ذلك المنهج في صدقه في النّصيحة، ومراعاة المصلحة العامّة للأمّة والدّولة...، وبمثل هذا الصّدق من قبيصة ورحابة

---

[1]-الطبقات الكبرى، ج5، ص126. البلاذري، أنساب الأشارف، ج7، ص257. سير أعلام النبلاء، ج4، ص230.

[2]-عبد الله بن عبد الرحمن، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص127-129.

[3]-ابن قتيبة، الإمامة والسيّاسة، ج2، ص61، 62.

[4]-ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص233، 234. أنساب الأشراف، ج7، ص254. تاريخ الطبري، ج6، ص412. الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص20.

الصّدر من عبد الملك تسمو الأمم، ويعمّ الخير وتتحقّق المصالح»[1].

ومن خلال ما ذكرناه عن قبيصة ومواقفه وتدخّلاته في مختلف القضايا يتّضح أثره في صياغة مواقف عبد الملك وقرارته في القضايا الخطيرة، كما يبرز أثره في إطفاء الفتن، وحسن معالجة المواقف، وهذا يثبت حرصه على مصلحة الأمة، ودوره في الحفاظ عليها من الانقسام والتّصدع.

ونشير إلى أنّ الأسباب التي دعت عبد الملك إلى تقريب قبيصة وإيثاره ترجع إلى ثلاثة أمور: أولها أنّ عبد الملك كان قرينا لقبيصة في العلم خلال إقامتها في المدينة، وثانيهما لعلّه يرجع إلى ما لمسه عبد الملك من وفاء قبيصة لبني أمية إذ أنّ إصابة عينه يوم الحرّة، توحي بمشاركته فيها مع الصّف الأموي، وثالثها ما يتمتّع به قبيصة من روح مرنة تراعي الأحوال وتقدّر المواقف، وتوازن بين المصالح[2].

ونختم كلامنا عن قبيصة بما قاله الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن مشيدا بمكانته ودوره عند عبد الملك، فيقول: «فقبيصة بهذا كان وزيرا لعبد الملك ومستشارا له، وساعده الأيمن في إدارة الدّولة وتصريف شؤونها، وكان ملازما له في سفره وإقامته، ومن خلال هذه المكانة الكبيرة والمنزلة العالية لقبيصة عند عبد الملك، تمكّن من المشاركة في إدارة شؤون الدولة مشاركة فعالة، والإسهام بآرائه السّديدة في عدد من القضايا السيّاسية الكثيرة والمتنّوعة، وإن كان بعض هذه المواقف قد دوّنت كثيرا في صفحات كثير من المصادر، إلاّ أنّ هناك مواقف أخرى طويت... والسبّب في ذلك أنّ أكثر المصادر التي ترجمت للعلماء –ومنهم قبيصة– اهتمّت بذكر الجوانب العديدة في حياتهم العلميّة، وأمّا ما يتعلّق بالجوانب السيّاسية فيأتي ذكرهُ عرضا»[3].

كما نذكر في الجانب السيّاسي أنّ هشاما ولّى كاتبه الربيع بن شابور الحرس[4]، فأصبح بذلك مشرفا على خاتمة وحرسه، وتولّى أيضا وظيفة الحجابة بحكم موقعه من هشام[5]، كما كان بيهس بن زميل على خاتم الوليد بن يزيد وكان معه حين خرج عليه ابن عمّه يزيد بن الوليد، فأشار

---

[1]–عبد الله بن عبد الرحمن، مرجع سابق، ص136.

[2]–المرجع نفسه، ص120–122.

[3]–المرجع نفسه، ص126.

[4]–البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص369. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج72، ص222.

[5]–ابن عساكر، المصدر نفسه، ج72، ص222.

على الوليد بأن يسير إلى حمص باعتبارها مدينة حصينة، ثم يوجّه الجيوش إلى يزيد فيقتل أو يؤسر، فلم يأخذ الوليد برأيه[1]، وبغضّ النّظر عن أخذ الوليد برأيه أو عدمه إلاّ أنّنا نستشفّ من هذه الرّواية أنّ بيهس بن زميل كان يتدخل في سياسة الوليد ولا يتوانى في الإشارة عليه.

ونذكر أيضا أنّ قطنا مولى يزيد النّاقص كان معه حين دعى إلى بيعته وكان ذا رأي من بني أميّة[2]، كما كان حاجبا ليزيد، ولمّا حضرت هذا الأخير الوفاة قال قطن: أصلح الله أمير المؤمنين، أنا رسول من وراء هذا الباب يناشدونك الله في دمائهم، ويسألونك بالله لما ولّيت أمرهم إبراهيم بن الوليد، فقطب يزيد ثمّ نظر إليه وقال بيده على حبينه: أنا أولّي أمرهم إبراهيم، قالها مرّات ثمّ أغمى عليه، فخرج قطن وقعد في البيت الذي كان فيه، وافتعل كتابا على لسان يزيد بتوليه إبراهيم، ثمّ خرج بالكتاب وقرأه على النّاس، فبايع أهل الشّام إبراهيم وأذعنوا[3]، يقول شوقي أبو خليل: «بلغت الجرأة بالكتّاب أنّ قطنا مولى يزيد بن الوليد، وصاحب خاتمه وحاجبه كتب على لسان الخليفة يزيد كتابا بولاية العهد لإبراهيم بن الوليد، وقرأه على النّاس، فبايعوا لإبراهيم، خلافا لإرادة الخليفة المحتضر»[4].

وبعضّ النّظر عن كون فعل قطن تجاوزا وخيانة، نستنتج أنّه كان للكتّاب المكانة المهيبة والكلمة المسموعة، إذ أنّه بمجرّد أن خرج بالكتاب بايع النّاس، دون شكّ أو إعراض، وهذا الموقف كنّا شاهدناه مع رجاء بن حيوة كاتب سليمان وعمر.

ومن وظائف الكتّاب أيضا ما كلّف به مروان كاتبه زياد بن أبي الورد لمّا هاجم الرّوم مرعش[5]، وخرّبوها، فقد أوكل مهمّة بنائها له رغم كونه كاتبا[6].

3-3-دورهم الاقتصادي والإداري

---

[1]-المصدر نفسه، ج63، ص337.

[2]-المصدر نفسه، ج49، ص342. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج21، ص85.

[3]-الجهشياري، مصدر سابق، ص45. ابن عساكر، مصدر سابق، ج7، ص247. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص258.

[4]-الحضارة العربية، ص320.

[5]-مرعش مدينة في الثّغور بين الشام وبلاد الرّوم، لها سوران وخندق، ووسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، بناه مروان بن محمد. معجم البلدان، ج5، ص126.

[6]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج19، ص247.

كنّا قد أشرنا إلى سبب وضع معاوية لديوان الخاتم[1]، وأنّه كتب لعمرو بن الزّبير بمئة ألف فردّها مئتين، فأحدث معاوية عندها الديوان وحزم الكتب ولم تكن تحزم[2]، وهذا العمل من معاوية إنّما هو للحفاظ على الأموال، فقد كان هدف ديوان الخاتم وبيوت الأموال والخزائن ضبط الأموال وإحصاء ما يرد من الأقاليم، والأراضي ومنتجاتها وحتى الجزية والزّكاة والعشور، وكذا اللّقطة والضّالة كالكنوز التي يعثر عليها والحيوانات التي ليس لها مالك، فإنّها تجعل في بيت المال مدّة، فإن لم يعرف صاحبها جعل من المال[3]، وكل هذه الأموال يشرف عليها ويتصرف فيها صاحب الديوان، فهو يضبط الأموال الواردة وسبل إنفاقها، وما يرفع من الحسابات من الدّواوين الأخرى، وهو لهذا محاسب على الأصول والنّفقات، وينبغي أن يكون له علامة على الكتب يتفقّدها الخليفة[4].

ومن النّاحية الإداريّة ينفرد كاتب ديوان الخاتم بالنّظر في الختمات والكتب الواردة، والمقابلة بما ثبت فيها من الاحتسابات[5]، كما يتولّى تسجيل أوامر الخليفة، وحفظ النّسخ الإدارية، وختم الأوامر قبل إصدارها على الحكومة المركزيّة[6].

ونشير إلى أنّ ديوان الخاتم كان أكبر دواوين الدّولة الأمويّة، ويقوم موّظفوه بنسخ الأوامر والكتب وإيداعها هذا الدّيوان بعد أن تحزم بخيط وتختم بشمع، ثم تختم بختم صاحب هذا الدّيوان[7]، فقد جعل هذا الديوان لتمرّ به كتب الخليفة التي تحتاج إلى ختمها[8].

هذه هي المهام والوظائف الرئيسية في الجانب الاقتصادي والإداري التي كان يقوم بها كتّاب ديوان الأختام وبيوت الأموال، هذا ونشير إلى مهامّ ووظائف أخرى تولاها هؤلاء الكتاب في الدولة الأمويّة، فقد تولّى عبد الله بن محصن الحميري كاتب معاوية إلى جانب الكتابة وظيفة القضاء[9]،

---

(1)-انظر: الفصل الأوّل.

(2)-الطبري، مصدر سابق، ج5، ص330. الجهشياري، مصدر سابق، ص15. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص262.

(3)-قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص159-245.

(4)-المصدر نفسه، ص36. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص84، 85.

(5)-قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص35.

(6)-شحاذة النّاطور، تجديد الدولة الأموية، ص370.

(7)-حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص365.

(8)-قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص55.

(9)-أحمد السيّد درّاج، صناعة الكتابة، ص31.

كما أشرف عبد الله بن عمرو بن الحارث على الرّقيق والثّياب لسليمان بن عبد الملك وهشام[1]، ويذكر ابن عساكر أنّ عمران بن صالح الهذلي كان يتولّى الخراج والجند أيضا مع بيوت الأموال والخزائن[2]، فتوسّعت بذلك مهمّته وإشرافه على الدّواوين.

وهذه هي النّماذج التي توصّلت إليها من المصادر، وهي دليل على تولّي كتّاب هذا الدّيوان لوظائف أخرى إداريّة واقتصادية، حتى وإن أغفلت المصادر ذكرها.

4-حركة التّعريب في العصر الأموي ودور الكتاب فيها:

مدخل:

قبل الحديث عن حركة التّعريب في العصر الأموي، والتّي شملت النّقود والدّواوين والطّراز، نذكر أنّ التّعريب ليس فقط وسيلة لتسهيل المعاملات الإداريّة، وإنّما هو أبعد من ذلك بكثير، فالعملة مثلا تعني استقلال الشّخصية واحترام الذّاتية، وعدم التبّعيّة النقديّة لدولة أجنبية، «فمنذ قيام الدّولة الإسلاميّة بحث الرّسول تلك المسألة الخطيرة، وحتّى تكتمل سياسة حكومته الاقتصادية فقد اختار عملة جديدة خاصة بالمسلمين، فاختار الدّينار الإسلامي ليكون وحدة العملة التي يجري استعمالها بين المسلمين»[3].

ومع ذكر حركة التّعريب بذكر عبد الملك بن مروان، فهو «مؤسس النّهضة العربيّة الأولى بسبب حركة التّعريب الشّهيرة في مرافق الدّولة، صحيح أنّ معاوية له فضل في إدخال بعض الأنظمة الإداريّة في الدّولة، إلاّ أنّ عبد الملك بن مروان هو الذي صقلها، وأضاف عليها، وبلورها ثمّ عرّبها، وهي أهم خطوة خطاها خليفة حتى تلك الفترة»[4].

فقد عرّبت في عهده دواوين العراق والشّام، ثمّ عرّبت دواوين مصر في خلافة ابنه الوليد، ثمّ دواوين خراسان في خلافة هشام، «وأمست اللغة الرّسمية في السيّاسة والإدارة هي العربيّة، بعد أن نقلت إليها أدقّ المصطلحات الفارسيّة واليونانيّة، في الحساب والفنون المعروفة في تلك العصور»[5].

---

[1]-ابن عساكر، مصدر سابق، ج31، ص236.

[2]-المصدر نفسه، ج43، ص503.

[3]-كامل سلامة، دولة الرسول، ص456.

[4]-حسان حلاّق، تعريب النقود، ص105.

[5]-صبحي الصّالح، النظم الإسلامية، ص315، 316.

والمعلوم أنّ الكتّاب هم أشرفوا على عملية التعريب وقاموا بها، فكان لهم بذلك عميق الأثر في السيّاسة والإدارة.

4-1-الأسباب الدّافعة لظهور حركة التّعريب:

لم تستمر الاستعانة باللّغات الأخرى في الدّولة الإسلاميّة طويلا، والسبّب في ذلك يعود إلى ما فرضه التّقدم، «فأوضاع الدّولة الإسلاميّة العربيّة تجري عليها سنّة التّطور أيضا، هذا التّطوّر الذي كان لا بد أن يأخذ مجراه ليتوّقف استخدام اللّغات الأجنبيّة، وممثّلي الثّقافة الأجنبيّة أيضا»[1]، ونتيجة لاستقرار الأمور في يد عبد الملك والانتصارات العسكريّة للجيوش الإسلاميّة، كان لا بدّ من تطوير النّظام الإداري، وتحقيق استقلاليّته، والتّخلّص من التّبعيّة، وفي ضوء هذا قام عبد الملك بثورته الثّقافية، وذلك بتعريب الدّواوين، واتّخاذ اللغة أداة للإدارة ليشرف الخليفة بنفسه على أمور الدّولة، أمّا ما ذكره المؤرّخون من أن سبب تعريب الدّواوين هو بول أحد كتّاب الرّوم في دواة، «فهذا تعليل ساذج لعمل عظيم اقتضته السيّاسة العامّة للدّولة»[2]. فقد جاء عند البلاذري في سبب تعريب الدّيوان: «ذلك أنّ رجلا من كتّاب الرّوم احتاج أن يكتب شيئا فلم يجد ماءً فبال في الدّواة، فبلغ ذلك عبد الملك فأدّبه، وأمر سليمان بن سعد الخشني بنقل الدّيوان، فسأله أن يعيّنه بخراج الأردن، ففعل وولاّه الأردن، فلم تنقص السّنة حتّى فرغ من نقله»[3].

ولا أظنّ أنّ هذا السبّب مقنع في عمليّة التّعريب، بل كانت لعبد الملك طموحات الأمة في ذلك وفي نشر العربيّة، يقول الدكتور علي أو مليل: «إنّ عمليّة التّعريب كانت سياسيّة لأنّ العرب حملة الإسلام وهم يؤسّسون دولتهم، ويقيمون إمبراطوريّة على حساب ممالك فارس وبيزنطة، كان لا بد أن يعرّبوا دولتهم لاعتبار قوميّ وديني معًا»[4].

وممّا يعضّد رأينا ما رواه ابن عساكر من أنّ عبد الملك حدث سليمان بن سعد الخشني يوما،

---

[1]-فالح القيسي، استعمال العربيّة في الدّواوين الماليّة، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع21، 22، آذار، حزيران، 1986، ص121.

[2]-شحاذة النّاطور، مرجع سابق، ص351، 352.

[3]-فتوح البلدان، ص271، 272.

[4]-السلطة الثقافية، ص56.

وقال له: إنّ ما يلي النّصارى من أمور المسلمين لم يزل يغيظني منذ كنت غلامًا أفد على معاوية، ولقد أردت أن أذكر ذلك في عهد مروان، فمنعت بسبب من الأسباب، ولمّا مرض سرجون ولّى عبد الملك سليمان بن سعد الدّواوين، وكان أوّل مسلم ولي الدّواوين كلّها، وحوّلها إلى العربيّة[1]، فعبد الملك كان يخطّط لعملية التّعريب منذ فترة طويلة، فسعى إلى ذلك حتّى يتخلّص من التّبعيّة للفرس والرّوم.

هذا وكان الفرس يتباهون على العرب بتنظيماتهم، فقد قال أحدهم لرجل من العرب: «ما احتجنا إليكم قطّ في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم، حتّى إنّ طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمّينا ما غيّر تموه»[2]. فلذلك أراد عبد الملك استكمال التّحرّر العربي من التّأثير الأجنبيّ، فأقدم على تعريب الدّواوين والنّقود، ومن الرّاجح أن يكون عبد الملك أراد أن يشرف بنفسه أيضا على مصروفات الدّولة وواردتها، بصورة مباشرة، وهذا لا يتم إلاّ بتعريب السجلات، بالإضافة إلى أنّ عبد الملك أراد أن تكون العربية لغة الدين والعلم والسيّاسة[3].يقول منير حميد البيّاتي: «لا يكفي في النّظام الإسلاميّ أن يعيّن الخليفة في الإدارة وغيرها ذوي الكفاءة الأمناء، إذ لا يكون بذلك دفع المسؤوليّة عن نفسه، بل لا بدّ له شرعا أن يراقب أعمالهم بصورة مستمرّة، فهم ليسوا معصومين عن الخيانة والغش ولا معصومين عن الخطأ، وإذا أمكن استبعاد غشّهم أو خيانتهم –نظرا لما يشترط فيهم من شروط شرعيّة في بدء توليتهم –فلا يمكننا أن نستبعد خطأهم، وما دامت المراقبة الدّائمة والمحاسبة المستمرّة تتأتّى بهم عن الخيانة، وتقلّل الخطأ، فإنّها تكون واجبة شرعا»[4].

ونلاحظ عند الحديث عن تعريب الدّواوين في مصر أنّنا لا نلمس فيه مثل الأسباب التي يجري لأجلها تعريب ديوان الشّام، بل إنّ القرار جاء كأمر رسمّي فحسب، حيث أمر واليها عبد الله بن عبد الملك بالدّواوين فنسخت إلى العربيّة، وكانت قبل ذلك بالقبطيّة واليونانيّة[5].

ونجمل أسباب تعريب عبد الملك للدّواوين فيمايلي:

---

[1]–تاريخ دمشق، ج22، ص320، 321.

[2]–حسان حلاّق، مرجع سابق، ص109،110.

[3]–جاسم صبكان علي، تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأمويّة، ص144.

[4]–النّظم الإسلاميّة، ص319،320.

[5]–فالح القيسي، مرجع سابق، ص124.

1-إتمام صبغ الدّولة بالصبغة العربيّة، خاصة بعد أن تحقّقت حركة الإصلاح النّقدي، فالتّعريب من مظاهر وجود الدّولة وسيادتها.

2-كان الاختلاف في لغات الدّواوين يفتّت نظام الدولة الاقتصادي، ويعيق إدارتها الماليّة، لذا كانت حركة التّعريب دعما للمركزية في الإدارة والاقتصاد.

3-تحرير النّظم الإداريّة الماليّة من السيّطرة الأجنبيّة.

4-تقييم اللّغة العربيّة ورفع مركزها[1].

أمّا عن سبب تعريب النّقود، فنذكر أنّ الدّراهم التي كانت متداولة كانت من ضرب فارس والرّوم، فرأى الخليفة صرفها إلى الإسلام، وكره الضّرب الجاري عندهم من الرّوم فردّها إلى الإسلام[2]، وكانت أولى محاولات تعريب النّقود في العهود الإسلاميّة زمن عمر بن الخطّاب –كما سنذكر- حيث ضرب الدّراهم على نقش الكسرويّه، ونقش بعضها الحمد الله، وبعضها محمّد رسول الله، أولا إله إلاّ الله[3].

«وقد يبدو من غير الممكن بحث الثّورة النّقديّة في معزل عن دور الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي واجه النّقد في المجتمع العربي وبخاصّة الدينار الواقع تحت هيمنة دولة أجنبيّة، ممّا دفعه إلى القيام بالتحولات غير العادية فاخترق الثوابت الآنفة تحت ضغط من المتغيرات الجديد المتمثلة في الاستقرار السيّاسي وازدهار النّشاط الاقتصادي، هذا إلى جانب الشّعور بالأنفة العربيّة بعد تراجع أهميّة ومكانة الدّولة البيزنيطيّة، لقد كان التغيّر يفرض على الخليفة المسؤولية باستيعاب مرحلة الثورة القادمة ومتطلباتها، وقد برز ذلك في الأدوار التي مرّ بها كل من الدّينار والدّرهم»[4].

فسبب تعريب النّقود ما نقش من كتابات مسيحيّة على الطّراز والقراطيس المصنوعة في مصر، والتي ترد من بلاد الرّوم، والذي ساعد على استمرار صناعتها وتصديرها أنّ أكثر سكّان مصر كانوا لا يزالون على دين المسيحيّة، فاثّرت النّعرة الدّينيّة على عبد الملك فاستنكر التثليث التي كانت عباراته تكتب على الطّراز، فكان ذلك سببا في تعريب الطّراز وحتّى النقّود، ليستكمل استقلاليّته عن

---

[1]-حسان حلاّق، مرجع سابق، ص123،124.

[2]-الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص200.

[3]-توفيق سلطان اليوزبكي، التّعريب في العصر الأموي والعبّاسي، المجلّة التاريخيّة المصريّة، 1977، مج24، ص11.

[4]-شحاذة النّاطور، تجديد الدولة الأموية، ص256.

الرّوم[1].

فتعريب النّقود يعود إلى الصّراع بين عقيدتي التّوحيد والتثليث، وذلك ما أذكى النّزاع بين عبد الملك وملك الرّوم، وكان سببا مباشر للإصلاح النّقدي[2]، ويضيف حسان حلاّق: «كان الخليفة الأموي يرى أنّ ضرب العملات العربيّة الإسلاميّة ضرورة لازمة اقتضتها الظّروف لتدعيم البناء الاقتصادي والسيّاسي القومي للدّولة العربيّة، خاصّة بعد أن انتقلت الدّولة من مرحلة الفوضى والاضطراب إلى مرحلة البناء والاستقرار، ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي للدّولة العربيّة أنشأ عبد الملك دارًا الضرب السّكة»[3].

فرغبة عبد الملك في ضرب عملة مستقّلة لإنهاء الاحتكار البيزنطي كان دافعا لتعريب النّقود، إضافة إلى رغبته في استكمال عملية تعريب الإدارة التي بدأها بتعريب دواوين الدولة[4]، بالإضافة إلى أنّ العملة الفارسيّة كانت مغشوشة لفساد الوضع بالدّولة الفارسيّة، هذا ولا نغفل التّجارة ودورها، فقد تقدمت في عهد عبد الملك فاحتاج إلى نظام ثابت للنّقد[5].

ويجمل حسان حلاّق أسباب تعريب النّقود فيمايلي:

1-أراد عبد الملك صبغ الدّولة بصبغة عربيّة وهي سياسة رسمها بدّقة، ونفّذها في الميادين الإداريّة والاقتصاديّة، وبالتّالي استقلالية الدولة العربيّة.

2-رغبة عبد الملك في إعادة حقّ ضرب النّقود إلى الخلافة، كمظهر من مظاهر السّلطان والمركزية من جهة، وتحقيقا للاستقرار من جهة أخرى.

3-ضرب النقود باسم الخليفة تعبّر عن سيادة الدولة وتحرّرها من أي نفوذ أجنبّي.

4-تعريب النّقود من قبل عبد الملك كان خطّة منه للتخلّص من الجزية المفروضة من ملك الرّوم.

---

[1]-حسان حلاّق، تعريب، ص33، 34.

[2]-عبد الجبّار حمد السّبهاني، النّقود في الإسلام، مجلة الحكمة، ع12، ص223.

[3]-مرجع سابق، ص32.

[4]-جاسم صبكان، مرجع سابق، ص147.

[5]-توفيق سلطان اليوزبكي، مرجع سابق، ص13.

5-نقص النّقود الفارسيّة المتداولة عند العرب بسبب ضعف الدّولة الفارسيّة.

6-شيوع الزّيوف في العملات –ولا سيما الفارسيّة- أدّى إلى هبوط قيمة العملة، وارتفاع الأسعار، وسوء الحالة الاقتصاديّة، وهذا ما أدّى إلى إصلاح نقدّي لتفادي الأضرار.

7-الاختلاف في الأنظمة الماليّة السائّدة في الدولة العربية من نظم ماليّة ساسانيّة وبيزنطية، كان سببا واضحا في الاختلاف بين أحكام الجزية والخراج والعشور، لذا قرّر عبد الملك توحيد النّظم في ظل عملة إسلاميّة[1].

ويضيف شحاذة النّاطور الأسباب القوميّة، فالواجب العربي والأنفة العربيّة اقتضتا من الخليفة أن يستقلّ بنقد عربيّ[2].

4-2-اللّغات المستخدمة في الإدارة قبل حركة التّعريب:

كانت بعض الدّواوين في البلد الواحد تكتب بالعربيّة وبعضها بالفارسيّة والروميّة،ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء النّاس وأعطياتهم، والآخر للأموال بالفارسيّة وبالشّام ديوان بالعربيّة وآخر بالروميّة وبقي الأمر على ذلك حتى عهد عبد الملك، أما في مصر فكانت الدّواوين بالقبطيّة واليونانيّة والعربية إلى جانبها[3]، فاللّغة العربيّة كانت موجودة في كل الدواوين ولا غنى عنها، فالكاتب يكتب عن الخليفة والوالي بالعربيّة، بالإضافة إلى أنّها لغة كاملة الألفاظ، وبها يصلح الإيجاز، وقد اختصّت بعلامات لا تعرفها اللّغات الأخرى[4].

وليس هناك شكّ أنّ مظاهر الكتابة العربيّة قد تأثّرت بما كان عند الأمم المجاورة من أساليب واتجاهات، ومن هذه الأمم الفرس والروم، وتأثرت بما وصلوا إليه من تقدم في مجال الدواوين على الخصوص، إلاّ أنّه مع هذا التأثّر ظلّت الكتابة العربيّة نفسها عربيّة النشأة، استمدت تقاليدها من العصر الجاهلي، وما استحدثه الإسلام، والدّليل هو أنّ الموالي عندما بدؤوا مشاركة العرب في الحياة الأدبية، كانت الكتابة العربيّة قد قطعت أشواطا بعيدة في التّطور[5].

---

(1)-مرجع سابق، ص 42-45.

(2)-مرجع سابق، ص266.

(3)-حسان حلاق، مرجع سابق، ص94. هاني العمد، أدب الكتابة، ص94.

(4)-القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص183، 184.

(5)-هاني العمد، المرجع السابق، ص10، 11.

ونعود لنقول أنّه كانت بمصر لغتان اليونانيّة والعربيّة، الأولى رسميّة والثّانية على أنّها لغة الحاكم العربي، أمّا القبطية التي كانت تكتب أسفل الصحف فكانت على درجة ثالثة من الأهمية[1]، فرغم أنّنا نلاحظ في أوراق البردي المصريّة لغة قبطيّة إلى جانب اليونانيّة والعربيّة، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّها كانت لغة رسميّة، بل العكس بدليل أنّ الكتابات القبطيّة كانت تدوّن في آخر الوثيقة أو في ظهرها، ممّا يدلّ على أنها كانت لغة ثالثة من حيث الأهميّة، ثمّ إنّ الكتابات القبطيّة كتبت بحبر مخالف لحبر النص الأصلي، ونلاحظ أيضا أن الكتابات القبطية موضوعها مختلف عن موضوع النّص الأصليّ، يضاف إلى كل هذا أنّه لم يعثر على أيّ وثيقة رسميّة كتبت بالقبطيّة في العهد العربي[2].

فديوان خراج مصر إذا كان باليونانيّة والعربيّة، فاليونانية كانت هي اللّغة الرّسميّة حتّى عهد الوليد بن عبد الملك ثمّ أصبحت العربيّة، ويدلّ على ذلك أوراق البردي التّي عثر عليها مكتوبة بالعربيّة، وهذه الوثائق تدلّ على أنّ اللّغتين اليونانيّة والعربية كانتا مستعملتين في دواوين الحكومة، الأولى رسميّة تدوّن بها الدّواوين، والثّانية لغة الحاكم العربي[3].

وما ينبغي أن ننبّه إليه –عند الحديث عن اللّغات المستعملة في الدّواوين– أنّ الدّواوين الأولى كديوان الجند والمال كانت لغتها العربيّة منذ نشأتها في عهد عمر بن الخطّاب، أمّا التي وجدت في البلاد المفتوحة فقد أبقاها العرب على حالها، وهي المختصة بالجباية وحساباتها، فظلّت في العراق بالفارسيّة وفي الشّام بالرومية[4].

فالواضح أنّ أغلب دواوين الدّولة الأموية فيما عدا ديوان الخراج كانت باللّغة العربيّة، وأغلب الكتّاب لم يوضّحوا هذا الأمر، والملاحظ في كتاباتهم يرى أنّ كلّ الدّواوين كانت بالأجنبية، غير أنّ الباحث المستقصي المحقق يرى أنّ ديوان الإنشاء والجند والشّرطة والقاضي هي منشآت إسلامية، ذات صلة بالتّفكير العربّي والإسلامي، ويبرز ذلك خصوصا في ديوان الرّسائل والجند، ويظهر ذلك أيضا من خلال تطبيق الأحكام الشّرعيّة في ديوان القاضي والشّرطة، أمّا ديوان الخراج فهو قديم

---

[1]–حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص191.

[2]–حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص367، 368.

[3]–المرجع نفسه، ص367.

[4]–توفيق سلطان، التعريب ، ص14. فالح القيسي، استعمال العربية، ص120.

النشأة، وهو الذي أبقاه عمر على لغته وموظّفيه، بسبب عدم إجادة العرب للحساب[1].

4-3-تعريب الدّواوين في العهد الأموي:

4-3-1-تعريب ديوان الشّام:

يقول البلاذري: «ولم يزل ديوان الشّام بالرّومية حتى ولي عبد الملك بن مروان، فلمّا كانت سنة 81هـ أمر بنقله»[2]، فأوّل من نقل ديوان الشّام من الرّومية إلى العربيّة عبد الملك بن مروان، نقله له سليمان سعد مولى الخشين كاتب رسائله وخراجه، فولاّه عبد الملك جميع الدّواوين[3]، وأجبرت عمليّة التعريب هذه كلّ من يرغب بالعمل في دواوين الدّولة أن يتقن اللّغة العربيّة، وتجدر الإشارة إلى أنّه استمر استعمال النصارى الذين يتقنون العربيّة، وقلّما خلا منهم ديوان من دواوين الدّولة[4].

وكنّا ذكرنا أنّ بعض المصادر ترجع سبب تعريب عبد الملك لديوان الشّام إلى بول أحد كتّاب الرّوم في دواة[5]، وذكرنا أنّ هذا لا يعدّ سببا مقنعا بل من السّخافة بمكان أن نرجع هذا العمل العظيم إلى سبب سخيف كهذا، ويذكر ابن عبد ربّه سببا آخر دفع بعبد الملك إلى تعريب ديوان الشّام، فقد رأى عبد الملك بعض التّفريط من سرجون بن منصور الرّومي كاتب الدّيوان، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرّسائل: «إنّ سرجون يدلّ علينا بصناعته، وأظنّ أنّه رأى ضرورتنا إليه في حسابه، فما عندك فيه حيلة؟ فقال: بلى، لو شئت لحوّلت الحساب من الرّوميّة إلى العربيّة، قال: افعل، قال: انظرني أعوان ذلك، قال: لك نظرة ما شئت، فحوّل الدّيوان، فولاّه عبد الملك جميع ذلك»[6].

وهذا السّبب يبدو مقنعا نوعا ما، بالإضافة إلى ما ذكرنا من أنّ متطلّبات الدّولة والحياة الجديدة كانت أيضا دافعا للتعريب، يقول ابن خلدون: «ولمّا جاء عبد الملك بن مروان واستحال

---

(1)-أحمد شلبي، السياسة في الفكر الإسلامي، ص216.

(2)-فتوح البلدان، ص271.

(3)-ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج4، ص399. المقريزي، الخطط، ج1، ص98. القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص482.

(4)-نجدة خمّاش، الإدارة في العصر الأموي، ص156.

(5)-انظر في ذلك: فتوح البلدان، ص 271، 272. الماوردي، الأحكام، ص351. النّويري، نهاية الإرب، ج8، ص198، 199.

(6)-مصدر سابق، ج4، ص169، 170. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص24.

الأمر ملكا، وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأميّة إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتّاب والحسبان، فأمر عبد الملك سليمان بن سعد بنقل ديوان الشّام إلى العربيّة، فأكلمه لسنة من يوم ابتدائه»[1].

4-3-2-تعريب ديوان الفارسيّة –العراق وخراسان–:

الذي يلفت الانتباه هو الاختلاف في تاريخ التّعريب بالشّام والعراق، ومن خلال النّصوص يتّضح أنّ التّعريب كان بالعراق قبل الشّام، والظاهر أنّ السّبب في ذلك يعود لعدم معاصرة المؤرخين لتلك الحقبة التاريخية فاختلفوا[2]، والذي يهّمنا هو أنّ ديوان العراق كان مكتوبا بالفارسيّة، ونقل إلى العربيّة في عهد عبد الملك على يد كاتبه صالح بن عبد الرّحمن[3]، وهناك رواية عند ابن عبد ربّه يذكر فيها أنّ قحذم[4] جدّ الوليد بن هشام القحذمي هو من قلب الدّواوين من الفارسيّة إلى العربيّة[5]، ويقول المقريزي: «أوّل من نقل ديوان الفارسيّة إلى العربيّة الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان، بن ذكوان، وتوفّي سنة اثنين وعشرين ومئتين، والأكثرون على أنّ الذي نقل ديوان العراق إلى العربيّة صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجّاج، وكان مولى لبني سعد، وهو يومئذ صاحب دواوين العراق، وذلك سنة ثمانين»[6].

فالأصحّ إذن أنّ تعريب ديوان العراق كان في عهد عبد الملك على يد صالح بن عبد الرّحمن، وسبب ذلك أنّ هذا الأخير كان يكتب بين يدي زادان فرّوخ كاتب الحجّاج، فأحسّ أنّ الحجاج بدأ يفضّله على زادان، فأخبر زادان بذلك، فأجابه بقوله: لا تظنّ ذلك فهو أحوج إليّ منه إليك لأنّه لا يجد من يكفيه حسابه غيري، فقال صالح: لو شئت حوّلت الحساب إلى العربيّة، قال زادان: فحوّل منه شطرًا حتّى أرى، ففعل، فقال له تمارض فتمارض، ولّما توفّي زادان في حرب ابن الأشعث استكتب الحجّاج صالحا، فأخبره بما جرى من نقل الدّيوان، فعزم عندها الحجّاج أن يعرّب الدّيوان

---

[1]-العبر، ج1، ص203.

[2]-حسان حلاّق، تعريب، ص108.

[3]-ابن عبد ربّه، مصدر سابق، ج4، ص399. الصّولي، أدب الكاتب، ص200. ابن طباطبا، الفخري، ص123. السيّوطي، تاريخ الخلفاء، ص221.

[4]- لم أعثر على ترجمته.

[5]-مصدر سابق، ج4، ص170.

[6]-الخطط، ج1، ص98.

وقلّد ذلك صالحا، فعربّه، ولذلك كان عبد الحميد بن يحي كاتب مروان يقول: «لله در صالح ما أعظم منّته على الكتّاب»[1].

ويروي البلاذري أنّ مردان شاه بن زادان فرّوخ قال لصالح: كيف تصنع بدهويه وششويه، قال أكتب عشرا ونصف عشر، قال: كيف تصنع بويد، قال: أكتبه كذلك، والويد النيّق والزّيادة تزداد، عندئذ قال له مردان شاه قطع الله أصلك من الدّنيا كما قطعت أصل الفارسيّة[2]، وهكذا تمّ تعريب ديوان العراق، وكان نتيجة ذلك أن اضطرّ الفرس وهم كثرة في العراق إلى تعلّم اللّغة العربيّة، وكانوا مضطرين إلى نوع من العلم لتسهيل ذلك، فدعت الحاجة إلى علم النّحو، فكان طبيعيّا أن يظهر بالعراق[3].

أما عن ديوان خراسان فقد كان آخر الدّواوين تعريبا، ونحن إنّما قدّمنا الحديث عنه هنا قبل الحديث عن ديوان مصر، لأنّ لغته كانت الفارسية، فرأينا من المناسب أن نتحدث عنه مع ديوان العراق فلغتهما واحدة.

إذن كان ديوان خراسان بالفارسيّة وكتّابه من المجوس، وبقي على ذلك حتى كتب يوسف بن عمرو والي العراق لهشام سنة 124 إلى عامله على خراسان يأمره أن لا يستعين بأحد من أهل الشّرك في أعماله وكتابته، وأن ينقل الدّيوان إلى العربيّة، وكان أوّل من نقله إسحاق بن طليق[4] من بني نهشل[5]، إلاّ أنّ اللّغة الفارسيّة استمرّت حتّى العهد العبّاسي، وكان استمرار الفارسيّة وتأخر حركة التّعريب أمرا طبيعيّا، فالفارسيّة لغة السّكان الأصليّة ولغة الدّين المجوسي، ولا يعقل أن تذوب في فترة قصيرة، بل يحتاج ذلك إلى مدة طويلة[6].

4-3-3-تعريب ديوان مصر:

---

(1)-البلاذري، فتوح البلدان، ص421. الجهشياري، مصدر سابق، ص23. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص341. النويري، مصدر سابق، ج8، ص199. المقريزي، الخطط، ج1، ص98.

(2)-فتوح البلدان، ص421. الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج1، ص96.

(3)-نجدة خمّاش، مرجع سابق، ص156.

(4)- لم أحصل على ترجمة.

(5)-الجهشياري، مصدر سابق، ص43. نجدة خمّاش، مرجع سابق، ص158، 159. مصطفى الحياري، الدواوين من كتاب الخراج، ص3.

(6)-حسان حلاق، مرجع سابق، ص109.

يذكر القلقشندي أنّ أوّل من نقل ديوان مصر من القبطيّة إلى العربيّة عبد العزيز بن مروان في إمارته على مصر[1]، بينما يقول المقريزي أنّ الذي نقله هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر على عهد الوليد بن عبد الملك سنة 87هـ، وصرف أشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزازي[2] من أهل حمص[3].

يقول حسن إبراهيم حسن: «وحذا الوليد حذوا أبيه عبد الملك فحوّل ديوان الخراج في مصر إلى العربيّة، بعد أن كان باليونانيّة التي كانت اللّغة الرّسمية في هذه البلاد إلى عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) يؤيّد ذلك أوراق البردي العربيّة ذات الصّبغة الرّسميّة، يرجع تاريخها إلى عهد الوليد، والتي دوّنت باليونانيّة والعربيّة معا»[4]، ونشير إلى أنّ اللّغة العربية بعد التعريب لم تكن اللغة الوحيدة في مصر، بل بقيت اليونانيّة أيضا، فقد استمر استعمال بعض الألفاظ اليونانيّة في زمن الوليد كجسطال بمعنى المسؤول، وموازيت التي تعني مشايخ ورؤساء القرى[5].

وممّا يلاحظ في تعريب ديوان مصر عدم وجود معارضة من الأقباط وغيرهم مثل ما لاحظنا في ديوان الشّام والعراق، وكان من نتيجة التّعريب هنا أن اضطرّ الأقباط الذين كانت تستخدمهم الحكومة العربيّة إلى تعلّم تلك اللّغة للحفاظ على مناصبهم[6].

ومن خلال عرضنا لكلّ هذا يتضّح أنّ كتّاب الدّواوين كان لهم الفضل الكبير في تعريب الديوان والإدارة عمومًا، وهذا يشهد بحسن أثرهم، وعظيم مهمتهم، ودورهم في الحفاظ على اللّغة العربيّة وتطوير أساليبها.

4-4-تعريب النّقود والطّراز:

---

(1)-صبح الأعشى، ج1، ص482.

(2)- لم أحصل له على ترجمة.

(3)-الخطط، ج1، ص97.

(4)-تاريخ الإسلام، ج1، ص366، 367.

(5)-حسّان حلاّق، مرجع سابق، ص116.

(6)-نجدة خمّاش، الإدارة، ص175.

4-4-1-صك وشعارات النّقود:

قبل الحديث عن تعريب النّقود نشير إلى العلم الخاص بها والذي يعرف بعلم النميّات (Numismatique)، وهو علم «يختص بدراسة أنواع النقود التي ضربت في مختلف العصور من حيث المعادن التي صنعت منها، والنّقوش والتّواريخ والكتابات التي تقشت عليها، وهو يساعد على تحديد المعلومات حول الفترات الزّمنيّة التي سادت فيها أنواع معيّنة من العملة، كما يساعد من خلال التواريخ المنقوشة عليها أن يحدّد الفترة الزّمنية التي حكم فيها كل منهم»[1].

وكانت الدّنانير في الجاهليّة وأوّل الإسلام بالشّام وعند عرب الحجاز روميّة تضرب ببلاد الرّوم، وتحمل صورة الملك واسم الذي ضربت في أيّامه مكتوب بالروميّة، وكانت الدّراهم في العراق كسرويّة (فارسيّة)، عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسيّة[2].

وعرفت النّقود عمليّة تعريب، مثلها في ذلك مثل الدّواوين، «ولقد أصاب الدّرهم والدّينار في العهد الإسلامي تغيّرا جوهريّا أكسبه دلالته الرّمزيّة، وهو مؤشّر على تحوّل بنيويّ مسّ عمق المضمون بعد أن تغلّب على التّعديل والتحوير، ليستقرّ في النّهاية نقدا عربيّا إسلاميّا قلبا وقالبا»[3].

ويذكر ابن الجوزي أنّ بداية تعريب النّقود كانت سنة 21هـ، ولكنها لم تكن نقدا رسميا إلى عهد عبد الملك، فقد ضرب عمر الدّراهم على نقش الكسروية وجعل فيها اسم الله، فكتب في بعضها الحمد لله، وفي بعضها محمّد رسول الله، وفي بعضها لا إله إلا الله، وكتب اسمه في بعضها[4]، إلاّ أنّ أسماء المدن التي ضربت فيها العملة كانت تكتب باليونانيّة والعربيّة[5].

ويذكر المقريزي أنّ عمر نقش في بعضها الحمد لله، وفي بعضها محمّد رسول الله وعلى آخر لا إله إلا الله وحده[6].

كما نقش عثمان على النّقود: الله أكبر، وضربت نقود سنة 28هـ كتب عليها بسم الله

---

[1]-ناهد حمدي، المرجع في علم الديبلوماتيك، ص19.

[2]-الكتّاني، نظام الحكومة النبوية، ج1، ص329.

[3]-شحادة النّاطور، تجديد الدولة الأموية، ص253.

[4]-المنتظم، ج4، ص311. نجدة خمّاش، مرجع سابق، ص238. حسان حلاّق، تعريب، ص21.

[5]-حسان حلاق، المرجع نفسه، ص21.

[6]-إغاثة الأمّة، ص52.

بالخطّ الكوفي[1]، وكذلك كتب معاوية على النّقود شعارات إسلاميّة، وفي ذلك يقول الكتّاني بأنّه كان من المسلّم أنّ أوّل من أحدث ضرب السّكة الحجّاج في عهد عبد الملك، ولكن عثر على مسكوكات قديمة مكتوب على أحد وجهيها بالخط الكوفي: الله الصّمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ولو كره المشركون، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفي دورتها ضرب هذا الدّرهم بالبصرة سنة 40هـ، ونقل عن بعض المؤرخين أنّه ضرب على السكة صورة معاوية وخالد بن الوليد[2].

وقد ضرب معاوية دنانير عليها تمثال متقلّدا سيفه، ثمّ أزال اسم الإمبراطور السّاساني كمرحلة ثانية من التعريب ونقش عليها كالآتي:

مركز الوجه: وسط: صورة الخليفة وكتب اسمه بالحروف البهلويّة[3].

محيط: مأثورة إسلامية "بسم الله" باللغة العربيّة.

-مركز الظّهر: يعتقد أنّه مذبح النّار وإلى جانبه حارس النّار المقدّسة[4].

غير أنّنا نشير إلى أنّ هذه المسكوكات لم تكن رسميّة في الدولة، إذ بقيت أكثر المعاملات بالنقود البيزنطيّة والفارسية[5].

وكلّ ما ذكرناه ينافي ما ذكره ابن قتيبة من أنّ أوّل من نقش بالعربيّة على الدّراهم عبد الملك بن مروان[6]، ونجمع بين هذه الآراء بالقول أنّ عبد الملك أوّل من ضرب الدّراهم العربية الخالصة وأرسل إلى الحجّاج يأمره بذلك، فكتب عليها الحجّاج الله أحد الله الصمّد، وسمّيت مكروهة لأنّ الفقهاء كرّهوها، لما عليها من القرآن، وقد يحملها الجنب والمحدث، وقيل لأنّ الأعاجم كرهوا نقصانها[7].

وعن سبب تعريب عبد الملك للنّقود تذكر المصادر أنّ القراطيس والدّنانير كانت تدخل بلاد

---

[1]-إبراهيم القاسم رحاحلة، النّقود ودور الضّرب في الإسلام، ص32،33.

[2]-مرجع سابق، ج1، ص333.

[3]-اللغة البهلويّة شكل من أشكال اللغة الفارسيّة، عرف في الفترة الممتدّة بين القرن الثّالث والقرن العاشر الميلادي. منير البعلبكّي، موسوعة المورد، ج7، ص188.

[4]-إبراهيم رحاحلة، النقود ودور الضرب، ص33.

[5]-نجدة خمّاش، مرجع سابق، ص238، 239.

[6]-المعارف، ص308.

[7]-الماوردي، الأحكام السلطانية، ص274. القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص483.

الإسلام من الرّوم عن طريق مصر، فأحدث عبد الملك كتابة قل هو الله أحد وغيرها من أسماء الله على رأس الصّحق والقراطيس، ولمّا فعل ذلك بعث إليه ملك الرّوم: إنّكم أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه، فإمّا أن تتركوه أو يأتيكم في الدّنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونه، وهذا التّهديد من ملك الرّوم لعبد الملك لم يثن عبد الملك عن عزمه فكره أن يدع ما سنّه، وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره، فأشار عليه بتحريم دنانيرهم وأن يضرب للنّاس سككا ففعل عبد الملك ذلك وجعل بسم الله الرحمن الرحيم بدل اسم المسيح والصّليب[1]، كما جعل على الطّراز: وشهد الله أنّه لا إله إلاّ هو[2].

ورغم ما ذكرنا من أنّ عبد الملك قد عرّب النّقود بداية من سنة 74 أو 75هـ، يقول الدكتور شحاذة النّاطور أنّ التّعريب بدأ سنة 77هـ، كما أكّدت ذلك التّقنيات الحديثة، حيث أثبتت أنّ عبد الملك ضرب هذه السّنة نوعين من الدّنانير: الأوّل على الطّراز البيزنطي، والثاني على الطّراز الإسلامي، وصكّ أيضا فلوسا برونزيّة في مصر ونحاسيّة في سوريا، وسمح أن يكتب عليها اسم الوالي حينا، وعامل الخراج التي ضربت تحت إشرافه حينا آخر[3].

ونعرض الآن نقش عبد الملك على النّقود[4]، فقد كان كالآتي:

-مركز الوجه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

-الطّوق: محمّد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون

-مركز الظّهر: الله أحد الله الصّمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.

-الطّوق: بسم الله ضرب هذا الدّرهم سنة ثمان وسبعين، أو سبع وسبعين[5].

أمّا دراهم الحجاج فقد نقش في وجهها قل هو الله أحد وفي الوجه الآخر لا إله إلاّ الله، وطوّق الدّرهم بطوق، وكتب في الطّوق الواحد: ضرب هذا الدّرهم بمدينة كذا، وفي الطّوق الآخر

---

(1)-البلاذري، فتوح البلدان، ص335. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص195. المقريزي، إغاثة الأمّة، ص53- 54. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص219، 220.

(2)-البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص470.

(3)-مرجع سابق، ص258.

(4)-انظر: الملحقات، 5، 6، 7.

(5)-ناهض القيسي، موسوعة النّقود العربية الإسلامية، ص 30،31. إبراهيم رحاحلة، مرجع سابق، ص38،39.

محمّد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون[1].

ومن كلّ ما ذكرنا عن تعريب عبد الملك للنقود يمكن القول أنّ عهده عرف ثلاثة أنواع:

النّوع الأوّل: النّقود قبل التّعريب وكانت بين 65 و67هـ. حيث استمرّ تداول النّقود على الطّراز السّاساني.

النّوع الثّاني: النّقود في مرحلة التّعريب، ما بين 67 و77هـ، حيث زادت عبارات التّعريب على الطراز السّاساني، كالحجّاج الذي كتب اسمه: الحجّاج بن يوسف، وزاد النّصوص العربيّة وحملت: بسم الله، لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله.

وبعد توطيد عبد الملك السلطة والقضاء على الأعداء، بدأ يتحرّر من التبعيّة البيزنطيّة، واكتملت خطوات تعريب الدّنانير، فحذف الصليب وصورة هرقل، وأبدلها بصورة يعتقد أنها صورة لعبد الملك وهو يحمل سيفا، وفي سنة 77هـ، حملت الدنانير العربية نصوصا من القرآن على الوجه والظّهر، وبذلك تخلّصت من التّبعيّة الأجنبيّة، وأصبحت عربيّة خالصة[2].

وقد اقتدى الخلفاء الأمويّون بعبد الملك في الكتابة على النّقود حتّى سقوط دولتهم، والظّاهر أن هشام بن عبد الملك نقش عبارة: أمير المؤمنين على دينار الذّهبي، ومعه اسم مدينة الضّرب، ونقشت عبارة: معدن أمير المؤمنين بالحجاز في مركز الظّهر[3]، وعثر على درهم يعود إلى عهد هشام سنة 107هـ وعليه في المركز محمّد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون[4].

وعثر أيضا على درهم نقش فيه:

-مركز الوجه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

-مركز الظّهر: محمّد رسول الله.

---

[1]-المقريزي، إغاثة الأمة، ص55.

[2]-ناهض القيسي، مرجع سابق، ص28، 29. حسان حلاّق، تعريب، ص 50-53.

[3]-حسان حلاّق، المرجع نفسه، ص66.

[4]-أنور الرّفاعي الإسلام في حضارته ونظمه، ص238.

-محيط الظّهر: بسم الله ضرب هذا الفلس بواسط[1] سنة عشرين ومائة[2].

وبتعريب عبد الملك للدّواوين والنّقود يكون قد وضع لبنة قويّة في إدارة الدّولة، وصبغها بصبغة عربيّة خالصة، فما كان على الخلفاء إلاّ أن ينتهجوا نهجه، ويحذوا حذوه في التّعريب، «وهكذا تمخضت حركة تعريب النقود والدواوين عن استقلال الاقتصاد والإدارة العربية من التبعية الفارسيّة والبيزنطيّة، واصطبغت الدّولة الأمويّة بصبغة قوميّة عربيّة في المجالين الاقتصادي والإداري، ومن ثمّ السياسي، وهي أهم الركائز التي تقوم عليها الدولة»[3].

4-4-2-تعريب الطّراز:

يعدّ الطّراز من أبّهة الملك والسّلطان ومذاهب الدّول، والمقصود بالطّراز هو أن ترسم أسماء أو علامات تختص بالملوك والخلفاء في طراز الأثواب المعدّة للباسهم، من الحرير أو غيره، «وتكون الكتابة بخيط الذّهب أو ما يخالف لون الثّوب، وكان العجم يكتبون أسماء الملوك وصورا معيّنة، لذلك اغتاض ملوك الإسلام، فكتبوا أسماءهم وكلمات تدلّ على الفأل ويتمّ ذلك في دور الطّراز»[4].

وأوّل من نقل الطّراز إلى العربيّة عبد الملك، وكان الطّراز على أثواب الخلفاء وستورهم وقراطيسهم في خلافة بني أميّة، كما كان عند الرّوم والكتابة عليه بالرّومية، واستمر الأمر حتّى عهد عبد الملك الذي حوّلها إلى العربيّة، وبدأ بالقراطيس والطّرز المصرية فكتب عليها: وشهد الله أنّه لا إله إلاّ هو[5]. وكانت قبل ذلك تحمل عبارة: بسم الأب والابن وروح القدس، فعندما ترجمت إلى العربيّة واطّلع عليها عبد الملك اغتاض وعظم الأمر عنده، فكتب إلى أخيه عبد العزيز والي مصر بإبطال ذلك واستبداله بصورة التّوحيد قل هو الله أحد، وجعل على لباس الجند شارة الخلافة، وهي اسم الخليفة ولقبه أو نحو ذلك، وأنشئت دور طرز خاصّة[6].

هذا ما يمكن قوله عن تعريب الطّراز، وهو أيضا خطوة مهمّة في تاريخ حركة التّعريب، ودليل

---

[1]-سمّيت واسط لأنّها متوسطة بين البصرة والكوفة، وتبعد عن كل منهما بخمسين فرسخا، بناها الحجّاج وسمّاها واسطا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص400.

[2]-إبراهيم رحاحلة، النقود ودور الضرب، ص48.

[3]-حسان حلاق، مرجع سابق، ص7.

[4]-ابن خلدون، العبر، ج1، ص222. جرجي زيدان، تاريخ التمدّن، ج1، ص140.

[5]-البيهقي، مصدر سابق، ص470.

[6]-نجدة خماش، الإدارة، ص286. شحاذة، النّاطور، تجديد الدّولة الأموية، ص378، 379.

على علو الدّولة واستقلالها، وفي ذلك يقول الدكتور شحاذة النّاطور: «إن استبدال الشّعارات المسيحيّة ووضع البديل الإسلامي تمّ القيام بصناعة مستقلّة للطّرز، وتحت إشراف الخليفة في العاصمة والولاّة، ثمّ وضع القوانين المتشدّدة، بإنزال العقوبات، خطوات تجديديّة مهمّة في مضمار صناعة الطرز لأولي الأمر، وهي تدل على ما وصلت إليهّ الدّولة من مكانه في النّاحية السيّاسيّة، وهي بالتالي تدل على مكانة الخليفة المجدّد»[1].

4-5-نتائج حركة التّعريب وموقف أهل الذّمة منه:

4-5-1-نتائج حركة التّعريب:

يقول حسن إبراهيم حسن عن نتائج حركة التّعريب: «إنّ النّظام الإداريّ والسيّاسي للولايات الإسلاميّة في عهد الدّولة الأمويّة لم يكن من عمل معاوية، بل إنّ عبد الملك هو الذي وضع هذا النّظام، فقد صبغ الإدارة والماليّة بالصبغة العربيّة، وبتحويله الدّواوين إلى العربيّة تقلّص نفوذ أهل الذّمة والمسلمين من غير العرب، بعد أن انتقلت مناصب هؤلاء إلى أيدي المسلمين من العرب، وقام الحجّاج بن يوسف بتنفيذ سياسة عبد الملك»[2].

فقد عرّبت دواوين العراق والشّام في عهد عبد الملك، وعرّبت دواوين مصر في عهد الوليد «وأمست اللّغة الرّسمية في السيّاسة والإدارة هي العربيّة، بعد أن نقلت إليها أدقّ المصطلحات الفارسيّة واليونانيّة في الحساب والفنون المعروفة في تلك العصور»[3]، وليس فقط تعريب الدّواوين والنّقود ساهم في نقل المصطلحات الأجنبيّة بل حتّى عمليّة تعريب العلوم الذي كانت بدايتها في العهد الأموي لعبت دورا في ذلك أيضا، إلاّ أنّ تعريب العلوم كان على الأغلب جهودا فرديّة، وعلى نطاق ضيّق، واقتصرت على العلوم العقليّة كالمنطق والفلسفة الهنديّة، فعرّبت الألفاظ الهنديّة وانتشرت التّرجمات، ولعلّ أشهرها في هذه الفترة كانت في عهد عمر بن عبد العزيز، إذ نقل كتب الطب إلى العربيّة[4]، وترجمات خالد بن يزيد بن معاوية من اليونانيّة والقبطيّة، والتّي أدّت بدورها إلى تحسين

---

[1]-مرجع سابق، ص380.

[2]-تاريخ الإسلام، ج1، ص365.

[3]-صبحي الصّالح، النّظم الإسلامية، ص315، 316.

[4]-توفيق سلطان، التعريب في العصر الأموي، ص15، 16.

اللّغة العربيّة وتوسيع مصطلحاتها[1].

فقد كان لحركة التّعريب إذن أثر فعّال في الدّولة من النّاحية الإدارية واللّغويّة، إذ لولاها لتفكّكت إحدى أقوى أسس الحضارة، ألا وهي اللّغة العربيّة، فبفضل حركة تعريب الدّواوين «تبوّأت اللّغة العربيّة، المركز الأوّل بين سائر اللّغات السّائدة، بينما كانت تُعاني من إهمال في مجالي الإدارة والاقتصاد من قبل»[2]، وبذلك بدأت اللّغة العربيّة تخوض تجربة جديدة، وتدخل طوراً مهمّا من أطوارها[3].

هذا ونشير إلى أنّ العرب استعملوا في مصر بعد التّعريب ألفاظا يونانيّة، لأنّهم ما زالوا يعرفونها ويتعاملون بها، واستخدمت هذه الألفاظ لتسهيل التّنظيم الإداري في المناطق الريفية خاصة، ولكن باستمرار الحكم العربي في مصر زالت هذه التعابير وحلّ محلّها اصطلاحات عربيّة[4]، وبعمليّة التّعريب أنشأ الكتّاب لغة ذات طابع مزدوج، «لغة إدارية مع ما تقتضيه هذه اللغة من تعبير عن أوامر الحاكم ومقاصده، ولكنّها في الوقت نفسه لغة فنّية بالمعنى البلاغيّ العربيّ للكلمة، فهي إذًا ليست لغة إداريّة جافّة، بل تؤلّف بين مقتضيات التّعبير الإداري، وجماليّة القول الفنّي، ولذا فقد اخترع الكتّاب أمرين معًا، لغة الإدارة والنّثر الفنّي»[5].

كما نشير في نتائج حركة التّعريب التي قام بها الكتّاب أنّ هذه الحركة تبعها تقدّم علم الرياضيات بشكل ملحوظ، وسببه إجراء العمليات التجارية بالعربية مع حسابات ميزانية بيت المال، وحساب الفرائض وأمور وإرادات بيت المال ونفقاته[6].

فكانت بذلك نتائج التّعريب عظيمة جدّا بل وأصبح تعريب الدّواوين سبيلا إلى تعريب الجاليات في أقاليم الدّولة المختلفة، فكان هذا من أهمّ العوامل في انتشار العربيّة، لغة الثقافة والإدارة، ولغة السيّاسة والدّين[7]، فمثلا تبع تعريب الدّيوان بمصر تعريب مصر كلّها وذلك عندما غلبت

---

[1]-D.M.dunlop, Arabi civilization, P39.

[2]-حسان حلاّق، مرجع سابق، ص46.

[3]-هاني العمد، أدب الكتابة، ص46.

[4]-حسان حلاق، تعريب النقود، ص116.

[5]-علي أومليل، السلطة الثقافية، ص53.

[6]-شوقي أبو خليل، الحضارة العربية، ص327.

[7]-ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المشرق، ص93.

الثّقافة العربيّة على البلاد، حتّى بين المسيحيين، «فما جاءت أواخر القرن الثّالث حتّى وجدوا أنفسهم لا يفهمون إلاّ العربية»[1]، ويقول ذنون طه في ذلك: «لقد كان هذا العمل يعني أكثر من مجرّد التّعريب لسجلاّت الضّرائب، إنّه نشر للثّقافة العربيّة التي طغت على الثّقافات الأخرى وطبعتها بطابعها الخاص، وهذا أدّى حتما إلى زوال نفوذ بعض الفئات التي كان نفوذها مستمدّا من التفوّق في الثّقافة والمدنيّة»[2].

ومن النتائج أيضا أنّ حركة التّعريب دفعت بالموالي الذين لا يفقهون العربيّة إلى تعلّمها، «فسيكون إذا على طائفة الموالي إتقان العربيّة كوسيلة لطلب المعاش وللاندماج والارتقاء داخل النّظام العربي الجديد، بل سيختصّون بعلم العربيّة لإثبات الذّات عن طريق التّبرير والتّفوق في لغة الآخر نفسها»[3].

4-5-2-موقف أهل الذّمة من حركة التّعريب:

كنّا ذكرنا أنّ التّعريب حقّق نصرا للّغة العربيّة، حيث أصبحت لغة الثّقافة والإدارة إلى جانب أنّها لغة الدّين والسيّاسة، فأدّت بالعناصر غير العربيّة وبلغتهم إلى هامش الحياة بعد أن كانوا في الصدارة، لهذا نجد حركة التعريب أثارت استياء أعداء الدولة[4]. فنتيجة للتعريب شعر الفرس والروم بانهيار نفوذهم، وكان الذي مثّل موقف الرّوم من هذه الحركة هو سرجون بن منصور حين خرج كئيبا لما أخبره عبد الملك بالتعريب، وقال لإخوانه من الروم: «أطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم»[5]، فغير العرب من كتّاب الدّواوين فقدوا مكاسبهم الماديّة[6].

كما حارب الفرس بدورهم فكرة تعريب الدّواوين حتّى آخر لحظة، وقاموا بمحاولتين لإعاقتها، ففي المحاولة الأولى سعى مردان شاه ابن زادان فرّوخ أن يقنع صالحا باستحالة ترجمة المصطلحات الفارسيّة، فسأله كيف تصنع بدهويه وششويه: فأجاب صالح أكتب عشرا ونصف عشر، فسأله

---

(1)-فالح القيسي، استعمال العربية، ص125.

(2)-المرجع السابق، ص94.

(3)-علي أومليل، مرجع سابق، ص57

(4)-شحاذة الناطور، تجديد الدولة الأموية، ص354. ذنون طه، مرجع سابق، ص93.

(5)-البلاذري، فتوح البلدان، ص272. الماوردي، الأحكام السّلطانية، ص341. النويري، نهاية الإرب، ج8، ص199. ابن خلدون، العبر، ج1، ص203.

(6)-حسان حلاق، مرجع سابق، ص110.

أيضا كيف تصنع بويد، قال أكتبه أيضا، والويد النّيف والزّيادة[1]، وقد عبّرمردان شاه عن يأس الفرس عندما قال لصالح بن عبد الرّحمن: «قطع الله أصلك من الدّنيا كما قطعت أصل الفارسيّة»[2].

وفي المحاولة الثّانية حاول الفرس اتّباع أسلوب الرّشوة، فبذلوا لصالح مائة ألف درهم[3]، على أن يُظهر العجز عن نقل الدّيوان، فأبى ومضى في مهمتّه ثابتا في وجه التّهديدات والإغراءات[4].

وبخلاف ديوان الفارسيّة والرّوميّة لا نجد أي معارضة أو محاولة إغراء عند تعريب ديوان القبطيّة، ولعلّ ذلك يعود إلى كونها ليست لغة رسميّة في الدّيوان –كما سبق وأن ذكرنا– فيكون وجودها كعدمه، ثم الذي يظهر ما دامت اللّغة العربية أساسية في هذا الدّيوان أنّ الكتّاب متقنين للعربيّة والقبطيّة، وبالتّالي لا خشية على مناصبهم بتعريب الدّيوان.

ونشير في الأخير إلى ملاحظة مهمّة وهي أنّ الحكّام الأمويّين الذين قرّروا تعريب الإدارة الإسلامية، اعتمدوا في هذه العمليّة على كتّاب موال، أمثال صالح بن عبد الرحمن في العراق، أي أنّ عمليّة التّعريب هذه قد نفذّها تقنيّا موالٍ على حساب موالٍ آخرين لم يكونوا يحسنون العربيّة، وكانوا يدوّنون بالفارسية، والأمر نفسه نجده في تعريب دواوين الشّام[5].

ويشير علي أومليل أنّ التّنافس بين أنصار التّعريب وخصومه لم يكن بين عرب وعجم كما يتبادر إلى الذّهن، بل بين عجم فيما بينهم، بين المعرّبين وغير المعرّبين، فهؤلاء هم الذين مسّتهم بالدّرجة الأولى عمليّة تعريب الدّواوين، فأوّل مشرف على عمليّة التّعريب صالح بن عبد الرحمن كان كاتبا غير عربّي، «فالتّنافس الذي شهده التّعريب الأوّل لم يكن بين كتّاب عرب رجحت كفّتهم بقرار التّعريب الذي اتّخذه الحاكم وبين كتّاب أجانب، بل كان بين هؤلاء الموالي أنفسهم، بين من أتقن منهم العربيّة ومن لم يتقنها، ومن هنا نفهم حق الفهم قول عبد الحميد الكاتب –وهو مولى

---

[1]–البلاذري، فتوح البلدان، ص421. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص23.

[2]–الماوردي، الأحكام السلطانية، ص341. النويري، مصدر سابق، ج8، ص199. المقريزي، الخطط، ج1، ص98.

[3]–عند ابن عساكر أنهم بذلوا له 300 ألف. تاريخ دمشق، ج23، ص344.

[4]–الماوردي، الأحكام، ص341. النويري، مصدر سابق، ج8، ص199. دنون طه، مرجع سابق، ص92.

[5]–علي أومليل، مرجع سابق، ص56.

أيضا- «لله درّ صالح ما أعظم منّته على الكتّاب»[1].

وفي الختام نشير استنادا إلى كلّ ما ذكرنا أنّ للكتاب مهمّة عظمى ووظيفة أساسيّة في الدّولة وإدارة شؤونها، كما كان لهم الدّور البارز في الحفاظ على اللّغة العربيّة وترقية أساليبها، وما يسعنا إلاّ أن نقول بأنّ إنجازات الكتاب غنية كل الغنى عن اعترافاتنا، وتظهر نتائجها وأبعادها كالشمس في بادية النّهار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-المرجع نفسه، ص57.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما لاحظنا من خلال هذا البحث أهميّة الكتابة، ووظيفة الكاتب ودوره في السيّاسة والمجتمع، وأهمّ ما نخلص إليه من نتائج:

1-إنّ الكتابة خظيت باهتمام كبير في دولة الرسول ﷺ، ولقد أظهرت مكاتباته من خلال تعدّد الأطراف التي تعاملت معها، عن وعي كبير عند النّاس في اعتماد التّدوين للتعبير عن القصد وتبليغ الغاية، وبعبارة أخرى كانت كتب النبي ﷺ وسيلة لظهور الوعي التدويني.

2-عرفت الكتابة في العهد النّبوي والرّاشدي مجموعة من التّقاليد في الافتتاحات والاختتامات، وكان الكتّاب مطبّقين لها حريصين على إيرادها في الكتب، فهم بذلك وضعوا قواعد وأسس للكتابة، ما زال مفعولها ساريا في الإدارة حتّى اليوم.

3-كان لوضع عمر التّاريخ والدّيوان عميق الأثر في الإدارة الإسلامية فبها نظّمت ويسّرت أمورها.

4-إن العصر الأموي شهد تطوّرا في الجانب الإداري، ولذلك أصبحت الكتابة صناعة متميزة ذات نظم خاصة، فكثر الكتّاب وتعددت الدواوين في الدولة.

5-ينبغي التمييز بين لونين من الكتابة: الكتابة الديوانية الإنشائية الوظيفية، والكتابة الفنّية التي لا تخضع لقوانين مسبقة ثابتة مثل الكتابة الإنشائية الوظيفيّة، فهذه الأخيرة رسمية مسؤولة أمام السلطة وتلبي حاجات المؤسّسات الرسّمية، وتعتبر رسالة عبد الحميد الكاتب الشرارة الأولى التي أدت بضرورة الفعل ما بين هذين اللونين من الكتابة.

6-إنّ للكتابة أهمية كبيرة في الملك، وإن الحاكم أحوج ما يكون إلى كاتب يعينه، لذلك حضيت هذه الصناعة بالمرتبة العالية عند الخلفاء، فقرب أصحابها وحظوا بالمكانة الرفيعة دون غيرهم.

7-عندما اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية، ولزم التكاتب مع الأمصار في شؤون الدين والدنيا، ظهرت للكتابة فائدة أخرى لم تكن في الحسبان، وذلك أنّها غدت وسيلة من وسائل الحكم، بها كانت تصدر المكاتبات من الخلفاء إلى عمالهم على الأقاليم، وتدون الدواوين وتضبط أمور الدولة، كما بيّنا ذلك من خلال عرض أغراض الكتب.

8-إنّ من أهمّ الوسائل التي كتب عليها في العهد الأموي الرقوق والبرديات، وهذه الأخيرة

كانت تكتب عليها دواوين الدولة.

9-لقد طعّم الكتاب الثقافة العربيّة بعناصر مهمّة من التّراث الأجنبي، خصوصا الفارسي واليوناني، وبذلك لعبوا دورا تحديثيّا فيها.

10-لقد لعب الكتّاب دورا مهمّا في الثقافة العربيّة أيضا من خلال تطوير الخطوط التي يدّون بها، وكذلك من خلال ابتكار الإعجام والشّكل، فحافظوا بذلك على سلامة اللّغة واستقامة اللّسان العربي.

11-عرف العهد الأموي مجموعة من الطرق والأساليب، أو لنقل تقاليد متّبعة في الكتابة وتنظيم الصفحة، سواء في الافتتاح كالبسملة، وذكر اسم الرسِل والمرسَل إليه وغيرها، أو في الاختتام كالختم والتّوقيع والسّلام.

12-إنّ الكتاب أو الوثيقة تمرّ بمراحل قبل الوصول إلى النّسخة النّهائية، فتبدأ بالأمر الذي يصدر بتحريرها من الحاكم أو غيره، ثمّ تأتي مرحلة الكتابة الأوليّة أو المسودّة، ثم تدوين الوثيقة في شكلها النّهائي، وتأتي بعدها مرحلة التأشيرات القانونية، حيث يتأكد الدّيوان الصادرة عنه الوثيقة من مطابقتها للشكل الأوّل والأمر، ثم تأتي مرحلة وضع التّوقيعات والأختام والعلامات، وبعدها مرحلة النسخ كمرحلة نهائية.

13-لقد عرفت الدولة الأمويّة تنوّعا في اختصاصات الكتّاب، وذلك تبعا لتنوع الدواوين وتعدّد مصالح الدّولة.

14-كان بنو أميّة كثيرا ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم، فلم تمنعهم أصولهم من تولّي مناصب الدّولة، أما عن أهل الذمّة فقد قلّ استعمالهم إلى أبعد الحدود، وذلك لعدم الثّقة بهم من جهة، واحتقارا لهم من جهة أخرى، ودعوة لهم إلى الإسلام من جهة ثالثة.

15-أصبحت وظيفة الكاتب في الدولة الأمويّة وظيفة أولى، ويتمتّع صاحبها بمكانة عند الحكام، وأخصّ بالذكر كاتب الرّسائل الذي كان يطّلع على أسرار الدّولة، ولاحتكاكه بالخليفة كان له أن يتدخل في أمورها، بل في أخطر أمورها وهي الخلافة.

16-ليس كلّ شخص مؤهلا لتولّي وظيفة الكتابة، بل هناك مجموعة من الشّروط والصفات الأخلاقية والعلميّة ينبغي أن تتوفر فيه، وذلك بالنّظر إلى عظم وخطورة ما يتولاّه.

17- كما بيّنا أنّ هناك بعض التجاوزات بدرت من الكتّاب في الدولة الأمويّة، إلاّ أنّها – كما ذكرنا- تحسب عليهم لا على غيرهم، فيحاكم أصحابها أفرادا ولا تعمّم على كل الكتاب مثل ما فعله الجاحظ، فقد افرط في انتقادهم وأغفل ما لهم من إيجابيات في الدولة والإدارة.

18-إنّ وظيفة الكاتب لم تكن الكتابة وصياغة قرارات الحاكم فحسب، بل تعدّت ذلك إلى توليه الأقاليم وتوليه القضاء والصلاة والحجّ، واستعمالهم كسفراء للملوك، بل إنّ الكتاب كانوا يفصلون في القضايا دون استشارة الخلفاء، وتطوّر الأمر بهم إلى أن تدخّلوا في الخلافة وشؤونها، فأشرفوا على تولية الخلفاء وتسيير حكمهم.

19-من الأعمال الرئيسية للكاتب تنظيم الديوان ووضع قائمة للكتب الواردة والخارجة والإشراف على ترجمات الكتب الأجنبيّة.

20-توكل إلى الكتّاب مهمة تسيير الأقاليم والإشراف على الأموال وتصريفها وجمعها.

21-إنّ تعليم الكتاب كان يشرف عليه الكتّاب أنفسهم، فكّل كاتب إنّما يتخرج على يد كاتب قبله ويأخذ عنه الصّنعة، فكان تعليمهم بذلك يتمّ في الدّيوان.

22-لعب الكتّاب دورا في الحفاظ على الحديث والقرآن وعلوم الدّين، فقد كان أغلبهم علماء محدثين وعرفوا بعدالتهم فوثقوا.

23-لعب الكتّاب دورا في الحفاظ على الأموال وتنظيم الإدارة، كما لعبوا دورا في توجيه السيّاسة وإصلاح المجتمع، فهم بحق خبراء سياسيون واقتصاديون، وعلماء اجتماع يعرفون الداء فيصفون الدواء.

24-بالنّظر إلى ما تقلّده الكتاب في الدولة الأمويّة، وما كان لهم من صلاحيات يتضح أنّ رتبتهم ارتقت وتجاوزت حتّى رتبة ما عرف فيما بعد بالوزير.

25-كما لاحظنا تجلّت أهمية الكاتب وفضله في تعريب الإدارة، فهم من أشرف على تعريب الدواوين والنقود والطراز، وبذلك كان لهم دور في تسهيل المعاملات الإدارية، والحفاظ على الشخصيّة العربيّة الإسلامية، واستقلاليتها على الصعيد السيّاسي والاقتصادي والإداري.

26-لقد كانت لحركة التّعريب في العهد الأموي نتائج إيجابيّة في الدّولة وكانت سببا في تقلّص نفوذ أهل الذمّة وزوال مصالحهم، فكان من الطبيعي أن تشاهد ردّة فعل عنيفة من هؤلاء،

وكانوا مضطرين إلى تعلّم العربية حتّى يحافظوا على امتيازاتهم.

27-إنّ شخصيات أمثال رجاء بن حيوة وقبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع وعبد الحميد الكاتب شخصيات لا ينبغي إغفالا في التّاريخ، بل من الإنصاف أن نشيد بهم، ونرفع ذكرهم في العلياء، لما كان لهم من دور في الحفاظ على تماسك الدولة وسيرورتها، وكذلك كانوا روّادا في الإصلاح على جميع الأصعدة، فحافظوا على الأموال والعلم والمجتمع، ووضعوا منهجا سياسيا، ينبغي أن ينتهجه كل حاكم أو وزير في أي دولة وحتى في زماننا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 1: رسالة النبي ﷺ إلى المقوس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية العائدة للعهد النبوي

الملحق رقم 2: نقش سد معاوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قاسم السامرائي: علم الاكتناه، ص513

الملحق رقم: 3

كتاب عبد الحميد الكاتب عن مروان إلى ولي العهد :

أما بعد فإن أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجافي ,الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة, وظلم الفتنة ومهاوي الهلكة, ورعاعة الذين عاثوا في الأرض فساداً, وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافاً, وبدلوا نعمة الله كفراً, واستحلوا دماء أهل سلمه جهلاً, أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك وعوام شؤونك, ودخائل أحوالك ,ومصطرف تنقلك عهداً يحملك في أدبه ويشرع لك به عظته, وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لحمتك وبني أبيك.

ولولا ما أمر الله تعالى به دالاً عليه, وتقدمت فيه الحكماء آمرين به, من تقديم العظة والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولي سابقةٍ في الفضل وخصيصاء في العلم ,لاعتمد أمير المؤمنين على اصطناع الله إياك وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين, وسبقك إلى رغائب أخلاقه وانتزاعك محمود شيمه ,واستيلائك على مشابه تدبيره.

ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم أو لقنوه إلهاماً من تلقائهم, ولم نصبهم تعلموا شيئاً من غيرهم لنحلناهم علم الغيب, ووضعناهم بمنزلةٍ قصّر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم, بوحدانيته في فردانيته وسابق لاهوتيته ,احتجاباً منه لتعقبٍ في حكمه وتثبتٍ في سلطانه,وتنفيذ إرادته على سابق مشيئته, و لكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل ,المحبو بمزية العلم وصفوته, أدركه معاناً عليه بلطف بحثه وإذلال كنفه ,وصحة فهمه وهجر سآمته. وقد تقدم أمير المؤمنين إليك آخذاً بالحجة عليك ,مؤدياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حقك, وما ينظر به الوالد المعني الشفيق لولده.

وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع, وأن يعصمك من كل مكروهٍ حاق بأحدٍ ,وأن يحصّنك من كل آفة استولت على امرئ في دين أو خلق ,وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعوده ,ويريه من آثار نعمة الله عليك سامية بك إلى ذروة الشرف, متبجحةً بك بسطة الكرم, لائحةً بك في أزهر معالي الأدب ,مورثةً لك أنفس ذخائر العز, والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ,ويسأل حياطتك, وأن يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك داعي التوفيق معاناً على الإرشاد فيه,فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو.

اعلم أن للحكمة مسالك تفضي مضايق أوائلها بمن أمها سالكاً, وركب أخطارها قاصداً إلى

سعة عاقبتها ,وأمن سرحها وشرف عزها وأنها لا تعار بسخف الخفة ولا تنشأ بتفريط الغفلة ولا يتعدى فيها بامرئ حده وربما أظهرت بسطة الغي مستور العيب.

وقد تلقتك أخلاق الحكمة من كل جهةٍ بفضلها ,من غير تعب البحث في طلبها ,ولا متطاولٍ لمناولة ذروتها, بل تأثلت منها أكرم نبعاتها, واستخلصت منها أعتق جواهرها, ثم سموت إلى لباب مصاصها ,وأحرزت منفس ذخائرها ,فاقتعد ما أحرزت ونافس فيما أصبت. وأعلم أن احتواءك على ذلك وسبقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك ,مؤثراً لها وإضمار طاعته منطوياً عليها, وإعظام ما أنعم الله به عليك شاكراً له, مرتبطاً فيه للمزيد بحسن الحياطة له والذب عنه, من أن تدخلك منه سآمة ملال ,أو غفلة ضياع ,أو سنة تهاون أو جهالة معرفة, فإن ذلك أحق ما بديء به, ونظر فيه معتمداً عليه بالقوة والآلة والعدة,والانفراد به من الأصحاب والحامة, فتمسك به لاجئاً إليه ,واعتمد عليه مؤثراً له والتجئ إلى كنفه متحيزاً إليه, فإنه أبلغ ما طلب به رضا الله, وأنجحه مسألةً وأجزله ثواباً, وأعوده نفعاً وأعمه صلاحاً ,أرشدك الله لحظك وفهمك سداده ,وأخذ بقلبك إلى محموده.

ثم اجعل الله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه, ويظهر منك السلامة في إشراقه من نفسك نصيباً,تجعله له شكراً على إبلاغه إياك يومك ذلك بصحة جوارح, وعافية بدن وسبوغ نعم, وظهور كرامة.

وأن تقرأ فيه من كتاب الله – تبارك وتعالى – جزءاً تردد رأيك في آيه, وترتل لفظك بقراءته, وتحضره عقلك ناظراً في محكمه, وتتفهمه مفكراً في متشابهه,فإن في القرآن شفاء الصدور من أمراضها ,وجلاء وساوس الشيطان وصعاصعه ,وضياء معالم النور تبياناً لكل شيء, وهدًى ورحمةً لقومٍ يؤمنون.

ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك, فإنه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات وخصم العقل, واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك, لأنها خدع إبليس وخواتل مكره, ومصايد مكيدته, فاحذرها مجانباً لها وتوقها محترساً منها ,واستعذ بالله عز وجل من شرها, وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزمٍ صادق, لا ونية فيه وحزمٍ نافذٍ لا مثنوية لرأيك بعد إصداره, وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه, ومضاءةٍ صارمةٍ لا أناة معها ,ونيةٍ صحيحةٍ لا خلجة شك فيها, فإن ذلك ظهري صدقٍ لك على ردعها عنك ,وقمعها دون ما تتطلع إليه منك, فهي واقيةٌ لك سخطة ربك داعيةٌ إليك رضا العامة عنك , ترةٌ عليك عيب من دونك فازدن بها متحلياً وأصب بأخلاقك

مواضعها الحميدة منها وتوق عليها الآفة التي تقتطعك عن بلوغها وتقصر بك دون شأوها, فإن المؤونة إنما اشتدت مستصعبة وفدحت باهظةً أهل الطلب لأخلاق أهل الكرم المنتحلين سمو القدر بجهالة مواضع ذميم الأخلاق ومحمودها حتى فرط أهل التقصير في بعض أمورهم فدخلت عليهم الآفات من جهات أمنوها فنسبوا إلى التفريط ورضوا بذلك المنزل فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل ,عمهين عن درج الشرف ساقطين دون منزلة أهل الحجا فحاول بلوغ غاياتها محرزاً لها بسبق الطلب إلى إصابة الموضع محصناً أعمالك من العجب: فإنه رأس الهوى وأول الغواية ومقاد الهلكة حارساً أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي الألقاب وذميم تنابزها, من حيث أتت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن.

فتوق غلوب الآفات على عقلك فإن شواهد الحق ستظهر بأماراتها تصديق آرائك عند ذوي الحجا وحال الرأي وفحص النظر فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالحذر لما تقدم إليك فيه أمير المؤمنين ,متحرزاً من دخول الآفات عليك من حيث أمنك وقلة ثقتك بمحكمها: من ذلك أن تملك أمورك بالقصد وتداري جندك بالإحسان وتصون سرك بالكتمان وتداوي حقدك بالإنصاف وتذلل نفسك بالعدل ,وتحصن عيوبك بتقويم أودك وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردي.

وأناتك فوقها الملال وفوت العمل ومضاءتك فدرعها روية النظر واكنفها بأناة الحلم وخلوتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فانف عنه عي اللفظ وخف سوء القالة واستماعك فأرعه حسن التفهم وقوه بإشهاد الفكر وعطاءك فامهد له بيوتات الشرف وذوي الحسب وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ ,وامتنان الصنيعة وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصر وحلمك فزعه عن التهاون وأحضره قوة الشكيمة وعقوبتك فقصر بها عن الإفراط وتعمد بها أهل الاستحقاق وعفوك ,فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ به واجب المفترض وأقم به أود الدين واستئناسك فامنع منه البذاء وسوء المناقثة وتعهد أمورك فحده أوقاتاً وقدره ساعاتٍ لا تستفرغ قوتك ولا تستدعي سآمتك وعزماتك فانف عنها عجلة الرأي ,ولجاجة الإقدام وفرحاتك فاشكمها عن البطر وقيدها عن الزهو وروعاتك فحطها من دهش الرأي واستسلام الخضوع وحذراتك ,فامنعها من الجبن واعمد بها الحزم ورجاءك فقيده بخوف الفائت وامنعه من أمن الطلب.

هذه جوامع خلال دخال النقص منها, واصلٌ إلى العقل بلطائف أبنه وتصاريف حويله فأحكمها بارفاً بها وتقدم في الحفظ لها معتزماً على الأخذ بمراشدها والانتهاء منها إلى حيث بلغت بك عظة

أمير المؤمنين وأدبه إن شاء الله.

ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرك أهل الفقه والورع من خاصة أهل بيتك ,وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور وخبطته فصالها بين فراسن البزل منها وقلبته الأمور في فنونها وركب أطوارها, عارفاً بمحاسن الأمور ومواضع الرأي وعين المشورة مأمون النصيحة منطوي الضمير على الطاعة.

ثم أحضرهم من نفسك وقاراً يستدعي لك منهم الهيبة, واستئناساً يعطف إليك منهم المودة وإنصاتاً يفل إفاضتهم له عنك بما تكره أن ينشر عنك من سخافة الرأي وضياع الحزم ولا يغلبن عليك هواك فيصرفك عن الرأي ويقتطعك دون الفكر.

وتعلم أنك – وإن خلوت بسر فالقيت دونه ستورك وأغلقت عليه أبوابك – فذلك لا محالة مكشوفٌ للعامة ظاهرٌ عنك, وإن استترت بربما ولعل وما أرى إذاعة ذلك وأعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن.

فتقدم في إحكام ذلك من نفسك واسدد خلله عنك: فإنه ليس أحدٌ أسرع إليه سوء القالة ولغط العامة بخيرٍ أو شرٍ ممن كان في مثل حالك ,ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والأمل المرجو المنتظر فيك.

وإياك أن يغمز فيك أحدٌ من حامتك وبطانة خدمتك بضعفةٍ يجد بها مساغاً إلى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمته ,ولا تأمن سوء الأحدوثة فيه ولا يرخص سوء القالة به إن نجم ظاهراً أو علن بادياً ولن يجترئوا على تلك عندك إلا أن يروا منك إصغاءً إليها وقبولاً لها, وترخيصاً لهم في الإفاضة بها.

ثم إياك وأن يفاض عندك بشيءٍ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ,ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ويجد فيها أهل الحسد مقالاً لعيب يذيعونه وطعناً في حقٍ يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة, وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ككمون النار في الحجر الصلد فإذا قدح لاح شرره وتلهب وميضه ووقد تضرمه وليست في أحد أقوى سطوةً وأظهر توقداً وأعلى كموناً وأسرع إليه بالعيب وتطرق الشين منها لمن كان في مثل سنك, من أغفال الرجال وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم تقع عليهم سمات الأمور ناطقاً عليهم لائحها ظاهراً فيهم وسمها ,ولم تمحضهم شمامتها مظهراً للعامة فضلهم مذيعةً حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمعاً يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغي

ومواد أبصار أهل الحسد.

ثم تعهد من نفسك لطيف عيبٍ لازمٍ لكثيرٍ من أهل السلطان والقدرة, من أبطال الذرع ونخوة الشرف والتيه وعيب الصلف فإنها تسرع بهم إلى فساد وتهجين عقولهم في مواطن جمة وأنحاء مصطرفة منها قلة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة, فمن مقلقلٍ شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله تزدهيه الخفة ويبطره إجلاب الرجال حوله ومن مقبلٍ في موكبه على مداعبة مسايره بالمفاكهة له والتضاحك إليه والإيجاف في السير مرحاً وتحريك الجوارح متسرعاً يخال أن ذلك أسرع له وأحث لمطيته, فلتحسن في ذلك هيأتك ولتجمل فيه دعتك وليقل على مسايرك إقبالك إلا وأنت مطرق النظر غير ملتفتٍ إلى محدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحادثته ولا موجف في السيرف, مقلقلٍ لجوارحك بالتحريك والاستنهاض فإن حسن مسايرة الوالي واتداعه في تلك الحالة دليلٌ على كثيرٍ من عيوب أمره ومستتر أحواله.

واعلم أن أقواماً يتسرعون إليك بالسعاية ويأتونك على وجه النصيحة.

ويستميلونك بإظهار الشفقة ويستدعون بالإغراء والشبهة ويوطئونك عشوة الحيرة: ليجعلوك لهم ذريعةً إلى استئكال العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة أو أسرعوا بك في أمره إلى الظنة فلا يصلن إلى مشافهتك ساعٍ بشبهة ولا معروفٌ بتهمة ولا منسوبٌ إلى بدعة فيعرضك لإيتغاغ دينك ويحملك على رعيتك بما لا حقيقة له عندك ويلحمك أعراض قوم لا علم لك بدخلهم إلا بما أقدم به عليهم ساعياً, وأظهر لك منهم منتصحاً. وليكن صاحب شرطتك المتولي لإنهاء ذلك هو المنصوب لأولئك والمستمع لأقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك إليك على ما يرفع إليه منه لتأمره بأمرك فيه ,وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامة, فإن كان صواباً نالتك خيرته وإن كان خطأً أقدم به عليك جاهلٌ أو فرطةً سعى اكاذبٌ فنالت الساعي منهما أو المظلوم عقوبةٌ أو بدر من واليك إليه عقوبةٌ ونكال لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب إلى تفريط وخلوت من موضع الذم فيه: محضراً إليه ذهنك وصواب رأيك وتقدم إلى من تولي ذلك الأمر وتعتمد عليه فيه أن لا يقدم على شيءٍ ناظراً فيه ولا يحاول أخذ أحد طارقاً له ولا يعاقب أحداً منكلاً به ولا يخلي سبيل أحد صافحاً عنه, لإصحار براءته وصحة طريقته ,حتى يرفع إليك أمره وينهي إليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق ويقين الخبر فإن رأيت عليه سبيلاً لمحبس, أو مجازاً لعقوبة أمرته بتولي ذلك من غير أدخاله عليك ولا مشافهةً لك منه فكان المتولي لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأي ولا غلظة عقوبةٍ وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلاً أو

كان مما قرف به خلياً كنت أنت المتولي للإنعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه بإطلاق أسره فتوليت أجر ذلك واستحققت ذخره وأنطقت لسانه بشكرك وطوقت قومه حمدك وأوجبت عليهم حقك فقرنت بين خصلتين وأحرزت حظوتين: ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في الدنيا.

ثم وإياك أن يصل إليك أحدٌ من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك أو حاجة يبدهك بطلبها حتى يرفعها قبل ذلك إلى كاتبك الذي أهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهياً لها على جهة الصدق عنها وتكون على معرفة من قدرها: إن أردت إسعافه بها ونجاح ما سأل منها أذنت له في طلبها باسطاً له كنفك مقبلاً عليه بوجهك, مع ظهور سرورك بما سألك وفسحة رأيٍ وبسطة ذرع وطيب نفس وإن كرهت قضاء حاجته وأحببت رده عن طلبته وثقل عليك إجابته إليها وإسعافه بها أمرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها فخفت عليك في ذلك المؤونة, وحسن لك الذكر ولم ينشر عنك تجهم الرد وينلك سوء القالة في المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمةٌ أنت منها بريء الساحة.

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل فلا يصلن إليك أحدٌ منهم إلا بعد وصول علمه إليك وعلم ما قدم له عليك وجهة ما هو مكلمك به وقدر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك فأصدرت رأيك في حوائجه وأجلت فكرك في أمره واخترت معتزماً على إرادتك في جوابه وأنفذت مصدور رويتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك وعلمه بوصول حاله إليك, فرفعت عنك مؤونة البديهة وأرخيت عن نفسك خناق الروية وأقدمت على رد جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه فإن دخل إليك أحدٌ منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعاً جميلاً ومنعته جوابك منعاً وديعاً ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له والغلظة عليه ,ومنعه من الوصول إليك فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب صارفاً عنك مؤونتها ومسهلاً عليك مستصعبها.

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إياك فلا يزدهينك إفراط عجبٍ تستخفك روائعه ويستهويك منظره ,ولا يبدرن منك ذلك خطأً ونزق خفة لمكروه إن حل بك أو حادثٍ إن طرأ عليك وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تتحرز به من آفات الردى, وتستعضده في موهم النازل وتتعقب به أمورك في التدبير ,فإن احتجت إلى مادة من عقلك وروية من فكرك أو انبساط من منطقك كان انحيازك إلى ظهريك مزداداً مما أحببت الامتياح منه ,والامتيار وإن استدبرت من أمورك بوادر جهلٍ أو مضى زلل أو معاندة حقٍ ,أو خطل تدبيرٍ كان ما احتجنت إليه

من رأيك عذراً لك عند نفسك,وظهرياً قوياً على رد ما كرهت وتخفيفاً لمؤونة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر وحصناً من غلوب الآفات عليك واستعلائها على أخلاقك. وامنع أهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام أعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب إليك بالسعاية والإغراء من بعضٍ ببعض, أو النميمة إليك بشيءٍ من أحوالهم المستترة عنك أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة, فإن ذلك أبلغ بك سمواً إلى منالة الشرف وأعون لك على محمود الذكر, وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير. وأملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق ,وعن القطوب بإظهار الغضب وتنحله, فإن ذلك ضعفٌ عن ملك سورة الجهل, وخروجٌ من انتحال اسم الفضل وليكن ضحكك تبسماً أو كشراً في أحايين ذلك وأوقاته, وعند كل رائع مستخفٍ مطرب وقطوبك إطراقاً في مواضع ذلك وأحواله, بلا عجلة إلى السطوة ولا إسراعٍ إلى الطيرة دون أن يكنفها روية الحلم وتملك عليها بادرة الجهل.

إذا كنت في مجلس ملئك وحيث حضور العامة مجلسك فإياك والرمي بنظرك إلى خاصٍ من قوادك أو ذي أثرة عندك ,من حشمك وليكن نظرك مقسوماً في الجميع وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعةٍ هادئة ووقار حسن وحضور فهم مجتمع وقلة تضجر بالمحدث ثم لا يبرح وجهك إلى بعض حرسك وقوادك متوجهاً بنظر ركين وتفقدٍ محض, فإن وجه إليك أحدٌ منهم نظره محدقاً أو رماك ببصره ملحاً فاخفض عنه إطراقاً جميلاً باتداعٍ وسكون وإياك والتسرع في الإطراق والخفة في تصريف النظر والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته إياك رامقاً وأعلم أن تصفحك وجوه جلسائك ,وتفقدك مجالس قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب وذكاء الفطنة وانتباه السنة فتفقد ذلك عارفاً بمن حضرك وغاب عنك عالماً بمواضعهم من مجلسك, م اعدبهم عن ذلك سائلاً لهم عن أشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك وعاقتهم بالتخلف عنك.

إن كان أحدٌ من حشمك وأعوانك تثق منه بغيب ضمير وتعرف منه لين طاعة وتشرف منه على صحة رأي ,وتأمنه على مشورتك فإياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ,وأن تريه أو أحداً من أهل مجلسك أن بك حاجةً إليه موحشة أو أ ليس بك عنه غنًى في التدبير أو أنك لا تقضي دونه رأياً إشراكاً منك له في رويتك وإدخالاً منك له في مشورتك واضطراراً منك إلى رأيه في الأمر يعروك, فإن ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك فانفها عن نفسك خائفاً لاعتلاقها ذكرك واحجبها عن رويتك قاطعاً لأطماع

أوليائك عن مثلها عندك أو غلوبهم عليها منك.

واعلم أن للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ولكل أمرٍ غايةٌ تحيط بحدوده, وتجمع معالمه فابغها محرزاً لها ورمها طالباً لنيلها وإياك والقصور عن غايتها أو العجز عن دركها أو التفريط في طلبهاإن شاء الله تعالى.

إياك والإغرام عن حديثٍ ما أعجبك أو أمرٌ ما ازدهاك بكثرة السؤال أو القطع لحديث من أرادك بحديثه حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره أو المسألة عما ليس منه, فإن ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم, وقصر الأدب عن تناول محاسن الأمور والمعرفة بمساويها ولكن أنصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم أن قد فهمت حديثه وأحطت معرفةً بقوله, فإن أردت إجابته فعن معرفةٍ بحاجته وبعد علم بطلبته وإلا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتبسم والإغضاء فأجرى عنك الجواب وقطع عنك ألسن العتب.

إياك وأن يظهر منك تبرمٌ بطول مجلسك أو تضجرٌ ممن حضرك وعليك بالتثبت عند سورة الغضب, وحمية الأنف وملال الصبر في الأمر تستعجل به والعمل تأمر بإنفاذه فإن ذلك سخفٌ شائنٌ وخفة مردية وجهالةٌ بادية وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس ,وسكون الريح والرفض لحشو الكلام والترك لفضوله والإغرام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك, من نحو اسمع وافهم عني وياهناه وألا ترى أو ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة بأهل العقل الشائنة لذوي الحجا في المنطق المنسوبة إليهم بالعي المردية لهم بالذكر.

وخصالٌ من معايب الملوك والسوقة عنها غبية النظر إلا من عرفها من أهل الأدب, وقلما لها مضطلع بها صابرٌ على ثقلها آخذٌ لنفسه بجوامعها فانفها عن نفسك بالتحفظ منها واملك عليها اعتيادك إياها معتنياً بها, منها كثرة التنخم والتبصق والتنخع والثؤباء والتمطي والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الأصابع والعبث بالوجه واللحية أو الشارب أو المخصرة أو ذؤابة السيف أو الإيماض بالنظر أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته ,أو السرار في مجلسك أو الاستعجال في طعمك أو شرك وليكن طعمك متدعاً, وشربك أنفاساً وجرعك مصاً وإياك والتسرع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور والشتيمة, بقول يا ابن الهناة أو الغميزة لأحدٍ من خاصتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك أو دارك وفناؤك: فإن ذلك كله مما يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه وتحمل عليك معايبه وينالك شينه وينتشر عليك سوء النبإ به فاعرف ذلك متوقياً له واحذره مجانباً لسوء عاقبته.

استكثر من فوائد الخير: فإنها تنشر المحمدة وتقيل العثرة واصبر على كظم الغيظ, فإنه يورث الراحة ويؤمن الساحة وتعهد العامة دخلهم وتبطن أحوالهم واستثارة دفائنهم حتى تكون منها على رأي عين ويقين خبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم, فإن ذلك من فعلك بهم يورثك العزة, ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان الصدق في العاقبة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك ,وقلوبهم المتنحية عنك. قس بين منازل أهل الفضل في الدين والحجا والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله والخمول عند مباهاة النسب وانظر بصحبة أيهم تنال من مودته الجميل, وتستجمع لك أقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المتصرفة بك فاعتمد عليهم مدخلاً لهم في أمرك وآثرهم بمجالستك لهم مستمعاً منهم وإياك وتضييعهم مفرطاً وإهمالهم مضيعاً.

هذه جوامع خصال قد لخصها لك أمير المؤمنين مفسراً وجمع لك شواذها مؤلفاً وأهداها إليك مرداً فقف عند أوامرها وتناه عن زواجرها ,وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل أنفس الحظوظ ورغيب الشرف وأعلى درج الذكر وتأثل سطر العز والله يسأل لك أمير المؤمنين حسن الإرشاد وتتابع المزيد وبلوغ الأمل وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة يسوغك إياها وعافيةً يحلك أكنافها ونعمة يلهمك شكرها, فإنه الموفق للخير والمعين على الإرشاد منه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتيح الخير وبيده الملك وهو على كل شيءٍ قدير.

فإذا أفضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم وأخذت أهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ إليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي منالة الظفر به ,وتكتهف به لمعالق الحذر تقوى الله مستشعراً لها بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لأمره مجتنباً لسخطه محتذياً سنته والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده أو تعدي شرائعه متوكلاً عليه فيما صمدت له واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز, راغباً فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد ورمى بك إليه محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين أكلبهم عليه وأظهره عداوةً لهم وأفدحه ثقلاً لعامتهم وآخذه بربقهم وأعلاه عليهم بغياً وأظهره عليهم فسقاً وفجوراً ,وأشده على فيئهم الذي أصاره الله لهم وفتحه عليهم مؤونةً وكلاً والله المستعان عليهم والمستنصر على جماعتهم عليه ,يتوكل أمير المؤمنين وإياه يستصرخ عليهم وإليه يفوض أمره وكفى بالله ولياً وناصراً ومعيناً وهو القوي العزيز.

ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكف معرتهم ورد مشتعل جهلهم وإحكام ضياع عملهم وضم منتشر قواصيهم ,ولم شعث أطرافهم وتقييدهم عمن مروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن السيرة وعفاف الطعمة ودعة الوقار وهدي الدعة وجمام المستجم محكماً ذلك منهم متفقداً لهم تفقدك إياه من نفسك.

ثم اصمد لعدوك المتسمي بالإسلام الخارج من جماعة أهله المنتحل ولاية الدين مستحلاً لدماء أوليائه, طاعناً عليهم راغباً عن سنتهم مفارقاً لشرائعهم يبغيهم الغوائل وينصب لهم المكايد أضرم حقداً عليهم وأرصد عداوةً لهم وأطلب لغرات فرصهم من الترك وأمم الشرك وطواغي الملل يدعو إلى المعصية, والفرقة والمروق من دين الله إلى الفتنة مخترعاً بهواه للأديان المنتحلة والبدع المتفرقة خساراً وتخسيراً وضلالاً وتضليلاً بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت له يداه وما الله بظلام للعبيد وساء ما سولت له نفسه الأمارة بالسوء والله من ورائه بالمرصاد: « **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** » .

حصن جندك واشكم نفسك بطاعة الله في مجاهدة أعدائه, وأرج نصره وتنجز موعوده متقدماً في طلب ثوابه على جهادهم معتزماً في ابتغاء الوسيلة إليه على لقائهم: فإن طاعتك إياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك نصره مسهل لك وعوره وعاصمك من كل سبة ومنجيك من كل هوة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة ,ودارئٌ عنك كل شبهة ومذهب عنك لطخة كل شك ومقويك بكل أيد ومكيدةٍ ومعزك في كل معترك قتال ومؤيدك في كل مجمع لقاء وكالئك عند كل فتنةٍ مغشية, وحائطك من كل شبهة مردية والله وليك وولي أمير المؤمنين فيك والمستخلف على جندك ومن معك.

اعلم أن الظفر ظفران: أحدهما وهو أعم منفعةً وأبلغ في حسن الذكر قالةً وأحوطه سلامة وأتمه عافيةً وأعوده عاقبةً وأحسنه في الأمور مورداً, وأعلاه في الفضل شرفاً وأصحه في الروية حزماً وأسلمه عند العامة مصدراً , ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة ولطف المكيدة ويمن النقيبة واستنزال طاعة ذوي الصدوف بغير إخطار الجيوش في وقدة جمرة الحرب ومبارزة الفرسان في معترك الموت وإن ساعدتك طلوق الظفر ونالك مزيد السعادة في الشرف, ففي مخاطرة التلف مكروه المصائب وعضاض السيوف وألم الجراح وقصاص الحروب وسجالها بمغاورة أبطالها. على أنك لا تدري لأيٍ يكون الظفر في البديهة ومن المغلوب بالدولة ,ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جندك ورعيتك وأشهرهما صيتاً في بدو تدبيرك ورأيك

وأجمعهما لألفة وليك وعدوك, وأعوهما على صلاح رعيتك وأهل ملتك وأقواهما شكيمةً في حزمك وأبعدهما من وصم عزمك وأعلقهما بزمام النجاة في آخرتك, وأجزلهما ثواباً عند ربك. وابدأ بالإعذار إلى عجوك والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة ,وعز الألفة آخذاً بالحجة عليهم متقدماً بالإنذار لهم باسطاً أمانك لمن لجأ إليك منهم داعياً لهم إليه بألين لفظك وألطف حيلك متعطفاً برأفتك عليهم, فقاً بهم في دعائك مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم وإحاطة الهلكة بهم منفذاً رسلك إليهم بعد الإنذار تعدهم إعطاء كل رغبة يهش ليها طمعهم في موافقة الحق وبسط كل أمان سألوه لأنفسهم, ومن معهم ومن تبعهم موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك قابلاً توبة نازعهم عن الضلالة ومراجعة مسيئهم إلى الطاعة مرصداً للمنحاز إلى فئة المسلمين وجماعتهم إجابةً إلى ما دعوته إليه, وبصرته إياه من حقك وطاعتك بفضل المنزلة وإكرام المثوى وتشريف الجاه وليظهر من أثرك عليك وإحسانك إليه ما يرغب في مثله الصادف عنك, المصر عل خلافك ومعصيتك ويدعو إلى اعتلاق حبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام عاجلاً وأنجى له من العقاب آجلاً, وأحوطه على دينه ومهجته بدءاً وعاقبة فإن ذلك مما يستدعي به من الله نصره عليهم, ويعتضد به في تقديمه الحجة إليهم معذراً أو منذراً إن شاء الله.

: عيونك على عدوك متطلعاً لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم التي هم بها ,ومطامعهم التي قد مدوا أعناقهم نحوها وأي الأمور أدعى لهم إلى الصلح وأقودها لرضاهم إلى العافية وأسهلها لاستنزال طاعتهم ومن أي الوجوه مأتاهم ,أمن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد أو الترغيب والإطماع متثبتاً في أمرك متخيراً في رويتك, مستمكناً من رأيك مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم السن وخبطتهم التجربة ونجتهم الحروب متشزناً في حربك ,آخذاً بالحزم في سوء الظن معداً للحذر محترساً من الغرة كأنك في مسيرك كله, ونزولك أجمع مواقفٌ لعدوك رأي عينٍ, تنتظر حملاتهم وتتخوف كراتهم معداً أقوى مكايدك وأرهب عتادك وأنكأ جدك ,وأجد تشميرك معظماً أمر عدوك لأعظم مما بلغك حذراً يكاد يفرط, لتعد له من الاحتراس عظيماً ومن المكيدة قوياً ,من غير أن يفتأك ذلك عن إحكام أمورك وتدبير رأيك وإصدار رويتك, والتأهب لما يحزبك مصغراً له بعد استشعار الحذر واضطمار الحزم, وإعمال الروية وإعداد الأهبة, فإن ألفيت عدوك كليل الحد وقم الحزم نضيض الوفر لم يضرك ما اعتددت له من قوة وأخذت له من حزم, ولم يزدك ذلك إلا جرأةً عليه وتسرعاً إلى لقائه.

وإن ألفيته متوقد الحرب ,مستكثف الجمع قوي التبع مستعلي سورة الجهل معه من أعوان الفتنة وتبع إبليس من يوقد لهب الفتنة مسعراً ويتقدم إلى لقاء أبطالها, متسرعاً كنت لأخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط في الرأي, ولا متلهفٍ على إضاعة تدبيرٍ ولا محتاجٍ إلى الإعداد وعجلة التأهب مبادرةً تدهشك وخوفاً يقلقك.

ومتى تغتر بترقيق المرققين وتأخذ بالهوينى في أمر عدوك, لتصغير المصغرين ينتشر عليك رأيك ويكون فيه انتقاض أمرك ووهن تدبيرك وإهمالٌ للحزم في جندك ,وتضييعٌ له وهو ممكن الإصحار رحب المطلب قوي العصمة فسيح المضطرب ,مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن إحكام أحراسهم وضبط مراكزهم لما يرون فيه من استنامتك إلى الغرة ,وركونك إلى الأمن وتهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار الأطراف وضياع الأحكام, احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك من أخبار عدوك وإياك ومعاقبة أحدٍ منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه أو أن تكذبه فيه فترده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الأول أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك وقد أبرموا لك أمراً وحاولوا مكيدة وأرادوا منك غرة فازدلفوا إليك في الأهبة ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فأرادوا رأياً وأحدثوا مكيدة وأظهروا قوة وضربوا موعداً وأموا مسلكاً لمدد أتاهم أو قوةٍ حدثت لهم ,أو بصيرةٍ في ضلالة شغلتهم فالأحوال بهم متنقلة في الساعات وطوارق الحادثات.

ولكن البسهم جميعاً على الانتصاح وارضخ لهم بالمطامع فإنك لن تستعبدهم بمثلها ,وعدهم جزالة المثاوب في غير ما استنامةٍ منك إلى ترقيقهم أمر عدوك, والاغترار إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم والإستكثار من العدة ,واجعلهم أوثق من تقدر عليه وآمن من تسكن إلى ناحيته: ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ,إن استطعت ذلك فتنقض عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا وتأتيهم من حيث أمنوا ,وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا.

واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك, وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ,ونصحوا عدوك وكثيراً ما يصدقونك ويصدقونه فلا تبدرن منك فرطة عقوبةٍ إلى أحد منهم ولا تعجل بسوء الظن إلى من اتهمته على ذلك ,واستنزل نصائحهم بالمياحة والمنالة وابسط من آمالهم فيك من غير أن يرى أحدٌ منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه, أو رددته عيه رد المكذب به المتهم له المستخف بما أتاك منه

فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتر عداوته.

واحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يشار إليهم بالأصابع ,وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم.

واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة, وجواسيس متجسسة وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به, وسيحتال لك كاحتيالك له ويعد لك كإعدادك فيما تزاوله منه ويحاولك كمحاولتك إياه فيما تقارعه عنه فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعد له المراصد ويحتال له بالمكايد.

إن ظفر به فأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها ستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من ينابيعها ,حتى يصيروا إلى أخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطاً لها بالأخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة.

واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً, فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك ,ومما لأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك وإصفاقهم على خيانتك, وأن يورط بعضاً عند .وك فأحكم أمرهم فإنهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك, وهو أول ظفرك فاعمل على حب ذلك وحيث رجاؤك به, تنل أملك من عدوك وقوتك على قتاله واحتيالك لإصابة غراته وانتهاز فرصه إن شاء الله.

فإذا أحكمت ذلك وتقدمت في إتقانه واستظهرت بالله وعونه فول شرطتك, وأمر عسكرك أوثق قواد عندك وأظهرهم نصيحةً لك ,وأنفذهم بصيرةً في طاعتك وأقواهم شكيمةً في أمرك وأمضاهم صريمة وأصدقهم عفافاً وأجزأهم غناء ,وأكفاهم أمانة وأصحهم ضميراً وأرضاهم في العامة ديناً وأحمدهم عند الجماعة خلقاً, وأعطفهم على كافتهم رأفة وأحسنهم لهم نظراً وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ثم فوض إليه مقوياً له,وابسط من أمله مظهراً عنه الرضا حامداً منه الابتداء وليكن عالماً بمراكز الجنود بصيراً بتقدم المنازل ,مجرباً ذا رأي وتجربةٍ وحزم في المكيدة له نباهةٌ في الذكر وصيتٌ في الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم إليه في ضبط معسكره وإذكاء أحراسه في آناء ليلة ونهاره ,ثم حذره أن يكون منه إذنٌ لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك فتصاب لهم رة يجتريء بها عدوك عليك ويسرع إقداماً إليك ويكسر من إياد جندك ويوهن من قوتهم: فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جندك أو عبيدهم مطمع لهم فيك مقوٍ لهم على شحذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم إليه فيه ولا يكونن منه إفراطٌ في

التضييق عليهم, والحصر لهم فيعمهم أزله ويشملهم ضنكه وتسوء عليهم حاله وتشتد به المؤونة عليهم وتخبث له ظنونهم وليكن موضع إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم مستديراً بهم جامعاً لهم ولا يكون منبسطاً منتشراً متبدداً فيشق ذلك على اصحاب الأحراس وتكون فيه النهزة للعدو والبعد من المادة إن طرق طارق في فجآت الليل وبغتاته.

وأوعز إليه في أحراسه وتقدم إليه فيهم كأشد التقدم وأبلغ الإيعاز ومره فليول عليهم رجلاً ركيناً مجرباً جريء الإقدام ذاكي الصرامة ,جلد الجوارح بصيراً بمواضع أحراسه غير مصانع ولا مشفع للناس في التنحي إلى الرفاهية والسعة وتقدم العسكر والتأخر عنه فإن ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه لاستنامته إلى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه.

علم أن مواضع الأحراس من معسكرك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقاً أو أرادهم خاتلاً ومراصدها المنسل منها والآبق من أرقائهم وأعبدهم وحفظها من العيون والجواسيس من عدوهم.

واحذر أن تضرب على يديه أو تشكمه عن الصرامة بمؤامرتك في كل حادثٍ وطارئ إلا في المهم النازل والحدث العام: فإنك إذا فعلت ذلك به دعوته إلى نصحك واستوليت على محصول ضميره في طاعتك وأجهد نفسه في ترتيبك, وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك وإعانتك وكان ثقتك وردأك وقوتك ودعامتك وتفرغت أنت لمكايدة عدوك مريحاً لنفسك من هم ذلك والعناية به ملقياً عنك مؤونةً باهظة وكلفة فادحة إن شاء الله.

واعلم أن القضاء من الله بمكانٍ ليس به شيءٌ من الأحكام ولا بمثل محله أحدٌ من الولاة, لما يجري على يديه من مغاليظ الأحكام,ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء في عسكرك من ذوي الخير في القناعة والعفاف ,والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجوه القضايا ومواقعها قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمته الأمور ممن لا يتصنع للولاية ويستعد للنهزة ويجترئ على المحاباة في الحكم ,والمداهنة في القضاء عدل الأمانة عفيف الطعمة حسن الإنصاف فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت بادي الوقار محتسباً للخير.

ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه وفرغه لما حملته وأعنه على ما وليته, فإنك قد عرضته لهلكة الدنيا وبوار الآخرة أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة إن حسنت نيته وصدقت رويته وصحت سريرته وسلط حكم الله على رعيته مطلقاً عنانه,منفذاً قضاء الله في خلقه عاملاً بسنته في شرائعه آخذاً بحدوده وفرائضه.

واعلم أنه من جندك بحيث ولايتك الجارية أحكامه عليهم النافذة أقضيته فيهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده إليه.

ثم ندم في طلائعك فإنها أول مكيدتك,ورأس حربك ودعامة أمرك فانتخب لها من كل قادةٍ وصحابةٍ رجالاً ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة حماةً كفاة قد صلوا بالحرب وذاقوا سجالها وشربوا مرار كؤوسها وتجرعوا غصص درتها وزبنتهم بتكرار عواطفها وحملتهم على أصعب مراكبها وذللتهم بثقاف أودها.

ثم انتقهم على عينك واعرض كراعهم بنفسك,وتوخ في انتقائك ظهور الجلد وشهامة الخلق وكمال الآلة.

ياك أن تقبل من دوابهم إلا الإناث من الخيل المهلوبة,فإنهن أسرع طلباً وأنجى مهرباً وألين معطفاً وأبعد في اللحوق غاية وأصبر في معترك الأبطال إقداماً وخذهم من السلاح بأبدان الدروع مادية الحديد شاكة النسج متقاربة الحلق متلاحمة المسامير,وأسوق الحديد مموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي وصوغها فارسيٌ رقاق المعاطف بأكفٍ واقية وعملٍ محكم. ويلمق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس واقية الجنن مستديرة الطبع مبهمة السرد وافية الوزن كتريك النعام في الصنعة,واستدارة التقبيب واستواء الصوغ معلمة بأصناف نرير وألوان الصبغ فإنها أهيب لعدوهم وأفت لأعضاد من لقيهم,والمعلم مخشيٌ محذور له بديهةٌ رادعة وهيبة هائلة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رقاق الشفرات مسنونة الشحذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر صافية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها أمت الصوغ ولا شانها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد أشرعوا لدن القنا طوال الهوادي مقومات الأود زرق الأسنة مستوية الثعالب,وميضها متوقد وسنخها متلهب معاقص عقدها منحوتة ووصوم أودها مقومة وأجناسها مختلفة , بها جعدة وعقدها حبكة شطبة الأسنان مموهة الأطراف مستحدة الجنبات لأطراف ليس فيها التواء أود ولا أمت وصم ولا بها مسقط عيب ولا عنها وقوع أمنية مستحقبي كنائن النبل وقسي الشوحط والنبع أعرابية التعقيب رومية النصول مسمومة الصوغ ,وتكن بلى خمس قبضات سوى النصور فإنها أبلغ في الغاية وأنفذ في الدروع وأشك في الحديد,سامطين حقائبهم على متون خيولهم مستخفين من الآلة والأمتعة ازاد إلا ما لا غناء بهم عنه.

واحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى أحد من أعوانك وكتابك فإنك إن وكلته إليهم

أضعت مواضع الحزم وفرطت حيث الرأي,ووقفت دون عز الروية ودخل عملك ضياع الوهن وخلص إليك عيب المحاباة وناله فساد المداهنة وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين ولا عدةً ولا حصناً يدرئون به ويكتهفون بموضعه.

لطلائع حصون المسلمين وعيونهم وهم أول مكيدتك وعروة أمرك فليكن اعتناؤك بهم وانتقاؤك إياهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك,ثم انتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت مشهور الاسم ظاهر الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وأيامٌ طوال وصولات متقدمات قد عرفت نكايته,وحذرت شوكته وهيب صوته وتنكب لقاؤه أمين السريرة ناصح الجيب قد بلوت منه ما يسكنك إلى ناحيته: من لين الطاعة وخالص المودة وركانة الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة,وحصافة التدبير ثم تقدم إليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعذاب ضمائرهم وأجر عليهم وعليه أرزاقاً تسعهم وتمد من أطماعهم سوى أرزاقهم في العامة فإن ذلك من القوة لك عليهم,والاستنامة إلى ما قبلهم.

ثم أنهم في أهم الأماكن لك وأعظمها غناءً عنك وعمن معك وأقمعها كبتاً لمحادك وأشجاها غيظاً لعدوك ومن يكن في الثقة والجلد والبأس والطاعة والقوة والنصيحة والعدة والنجدة حيث وصف لك أمير المؤمنين وأمرك به يضع عنك مؤونة الهم,ويرخ من خناقك روع الوف وتلتجيء إلى يع وظهر قوي ورأيٍ حازم تأمن به فجآت عدوك وغرات بغتاتهم وطوارق أحداثهم ويصير إليك علم أحوالهم ومتقدمات خيولهم فانتخبهم رأي عين وقوهم بما يصلحهم من المنالات والأطماع والأرزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علاقتك وحصانة كهوفتك وقوة سيارة عسكرك.

وإياك أن تدخل فيهم أحداً بشفاعة,أو تحتمله عل هوادة أو تقدمه لأثرة أو أن يكون مع أحدٍ منهم بغلٌ نفلٌ أو فضلٌ من الظهر أو ثقل فادح فتشتد عليهم مؤونة أنفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من أثقالهم,ويشتغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رائع,أو فجأهم منه طليعةٌ فتفقد ذلك محكماً له وتقدم فيه آخذاً بالحزم في إمضائه أرشدك الله لإصابة الحظ ووفقك ليمن التدبير وقصد بك لأسهل الرأي وأعوده نفعاً في العاجل والآجل وأكبته لعدوك وأشجاه لهم وأردعه لعاديتهم.

ول دراجة عسكرك وإخراج أهله إلى مصافهم,ومراكزهم رجلاً من أهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروفاً بالنجدة ذا سنٍ وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرةٌ بالحق نافذةٌ

تقدمه ونية صادقةٌ عن الإدهان تحجزه واضمم إليه عدة نفر من ثقات جندك,وذوي أسنانهم يكونون شرطةً معه,ثم تقدم إليه في إخراج المصاف وإقامة الأحراس وإذكاء العيون وحفظ الأطراف وشدة الحذر ومره فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم كل قائدٍ بإزاء مكانه وحيث منزله قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة والترسة موضونة والرجال راصدةً ذاكية الأحراس وجلة الروع خائفةً طوارق العدووبياته,ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً في أصحابه أو عدةٍ منهم إن كانوا كثيراً على غلوة أو اثنتين من عسكرك منتبذاً عنك محيطاً بمنزلك ذاكيةً أحراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبةً للقتال آخذةً على أطراف المعسكر ونواحيه متفرقين في اختلافهم كردوساً كردوساً يستقبل بعضهم بعضاً في الاختلاف ويكسع تالٍ متقدماً في التردد واجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة لا تعر منها مزدلفاً منك بمودة ولا تتحامل فيه على أحدٍ بموجدة إن شاء الله تعالى.

فوض إلى أمراء أجنادك وقواد خيلك أمور أصحابهم,والأخذ على قافية أيديهم رياضةً منك لهم على السمع والطاعة لأمرائهم والاتباع لأمرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم إلى أمراء الأجناد في النوائب التي ألزمتهم إياها والأعمال التي استنجدتهم لها,والأسلحة والكراع التي كتبتها عليهم واحذر اعتلال أحدٍ من قوادك عليك بما يحول بينك وبين تأدي بجندك وتقويمهم لطاعتك وقمعهم عن الإخلال بمراكزهم لشيء مما وكلوا به من أعمالهم,فإن ذلك مفسدة للجند مفتأةٌ للقواد عن الجد والإيثار للمناصحة والتقدم في الاحكام.

واعلم أن في استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمر رؤسائهم دخولاً للضياع على أعمالك واستخفافاً بأمرك الذي يأتمرون به,ورأيك الذي ترتئي وأوعز إلى القواد أن لا يقدم أحد منهم على عقوبة أحدٍ من أصحابه إلا عقوبة تأديب في تقويم ميل وتثقيف أود فأما عقوبة تبلغ تلف المهجة وإقامة حدٍ في قطع أو إفراطٌ في ضرب أو أخذ مال أو عقوبةٌ في شعر فلا يلين ذلك من جندك أحدٌ غيرك أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك وإذنك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرعهم لأمرائهم توجب لهم عليك الحجة بتضييع إن كان منهم لمرك,أو خلل إن تهاونوا به من عملك أو عجز إن فرط منهم في شيءٍ مما وكلتهم به أو أسندته إليهم ولا تجد إلى الإقدام عليهم باللوم,وعض العقوبة يهم مجازاً تصل به إلى تعنيفهم بتفريطك في تذليل أصحابهم لهم وإفسادك إياهم عليك وعليهم فانظر في ذلك نظراً محكماً,وتقدم فيه برفقك تقدماً بليغاً وإياك أن يدخل حزمك وهن أو يشوب عزمك إيثارٌ أو يخلط رأيك ضياع والله يستودع أمير المؤمنين نفسك ودينك.

إذا كنت من عدوك على مسافةٍ دانية وسنن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقترباً قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فتنته,فتأهب أهبة المناجز وخذ اعتداد الحذر وكتب خيولك وعب جندك,وإياك والمسير إلا في مقدمة وميمنة وميسرة,وساقةٍ قد شهروا الأسلحة ونشروا البنود والأعلام وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملتجئين إلى مواقفهم,عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم وليكن ترحلهم وتنزلهم على راياتهم وأعلامهم وفي مراكزهم قد عرف كل قائد منهم أصحابه مواقفهم, من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها غير مخلين بها,استنجدوا له ولا متهاونين بما أهيب بهم إليه حتى تكون عساكرك في منهلٍ تصل إليه ومسافةٍ تختارها كأنها عسكرٌ واحد في اجتماعها على العدو وأخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها في مراكزها ومعرفتها بمواضعها إن ضلت دابةٌ من موضعها عرف أهل العسكر من أي المراكز هي, ن صاحبها وفي أي المحل حلوله منها فردت إليه هدايةً معروفة بسمت صاحب قيادتها فإن تقدمك في ذلك وإحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة.

ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك في نفسك صرامةً ونفاذاً ورضاً في العامة وإنصافاً من نفسه للرعية,وأخذاً بالحق في المعدلة مستشعراً تقوى الله وطاعته آخذاً بهديك وأدبك واقفاً عند أمرك ونهيك معتزماً على مناصحتك وتزيينك نظيراً لك في الحال وشبيهاً بك في الشرف وعديلاً في الموضع ومقارباً في النسب ثم أكثف معه الجمع وأيده بالقوة وقوه بالظهر وأعنه بالأموال واعمده بالسلاح ومره بالتعطف على ذوي الضعف من جندك,ومن أزحفت به دابته وأصابته نكبة: من مرض أو رجلة أو آفة م غير أن يأذن لأحدٍ منهم في التنحي عن عسكره أو التخلف بعد ترحله إلا لمجهودٍ سقماً أو لمطروقٍ بآفة جائحة.

ثم تقدم إليه محذراً ومره زاجراً وانهه مغلظاً في الشدة على من مر به,منصرفاً عن معسكرك من جندك بغير جوازك شاداً لهم أسراً وموقرهم حديداً ومعاقبهم موجعاً وموجههم إليك فتنهكهم عقوبةً وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة.

واعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقاً بنصيحته, قد بلوت منه أمانة تسكنك إليه وصرامةً تؤمنك مهانته, ونفاذاً في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في إضاعته لم يأمن أمير المؤمنين تسلل الجند عنك لواذاً ورفضهم مراكزهم وإخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن أعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اجترمه منهم, فأوشك ذلك في وهنك وخذل من قوتك وقلل من كثرتك.

اجعل خلف ساقتك رجلاً من وجوه قوادك, جليداً ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر شكيم القوة غير مداهن في عقوبة ولا مهين في قوة في خمسين فارساً, يحشر إليك جندك ويلحق بك من تخلف عنك بعد الإبلاغ في عقوبة والنهك لهم والتنكيل بهم. وليكن بعقوبتك في المنزل الذي ترحل عنه والمنهل الذي تتقوض منه مفرطاً في النفض له والتتبع لمن تخلف عنك به مشتداً فيأهل المنزل ,وساكنه بالتقدم موعزاً إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم وإخراجهم عن مكامنهم وإيعاد العقوبة الموجعة ,والنكال المبسل في الأشعار والأبشار واستصفاء الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحداً أو ستر موضعه أو أخفى محله وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحدٍ والمحاباة لذي قرابة, والاختصاص بذلك لذي أثرة وهوادة ولتكن فرسانه منتخبين في القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الاستجنان متقلدين سيوفهم مامطين كنائنهم مستعدين لهيج إن بدهمهم أو كمين إن يظهر لهم وإياك أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرساً قوياً أو برذوناً وثيجاً: فإن ذلك من أقوى القوة لهم, وأعون الظهري على عدوهم إن شاء الله.

ليكن رحيلك إباناً واحداً ووقتاً معلوماً, لتخف المؤونة بذلك على جندك ويعلموا أوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ,وأعلاف دوابهم,وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه ,ويطمئن ذوو الرأي إلى إبان الرحيل ومتى يكن رحيلك مختلفاً, تعظم المؤونة عليك وعلى جندك,ويخلوا بمراكزهم ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالإرجاف ,وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إياك أن تظهر استقلالاً أو تنادي برحيل من منزل تكون فيه, حتى تأمر صاحب تعبئتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك, آخذاً بجنبتي فوهته بأسلحتهم عدةً لأمرٍ إن حضر أو مفاجأةٍ من طليعة للعدو, رأت منكم نهزةً أو لمحت عندكم غرة ثم مر الناسّ بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك واقية حتى إذا استقللتم من معسكركم, وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبئتكم بسكون ريح وهدو حملة وحسن دعة.

فإذا انتهيت إلى منهل أردت نزوله أو هممت, بالمعسكر به فإياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله, والمعرفة بمرافقه ومر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله ويستثير لك علم دفينه ويستبطن علم أموره ثم ينهيها إليك على ما صارت إليه, لتعلم كيف احتماله لعسكرك وكيف ماؤه وأعلافه وموضع معسكرك منه وهل لك – إن أردت مقاماً به أو مطاولة عدوك أو مكايدته فيه – قوةٌ تحملك ومددٌ يأتيه, انك إن لم تفعل ذلك لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك, ويزعجك عنه ضيق مكانه ,وقلة

مياهه وانقطاع مواده إن أردت بعدوك مكيدة ,أو احتجت من أمورهم إلى مطاولة فإن ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ولم تجد إلى المحاربة والاخطار سبيلاً ,وإن أقمت به أقمت على مشة وحصر وفي أزل وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه.

فإن أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنحيةً من معسكرك عدةً لأمر إن غالك ,ومفزعاً لبديهة إن راعتك, فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك وعرفت موقعها من حرزك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الأثقال مواضعها ويأتيك خبر طلائعك وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بعسكرك وعدةً إن احتجت إليها. لتكن دبابات جندك أهل جلد وقوة قائداً أو اثنين أو ثلاثةً بأصحابهم في كل ليلةٍ ويومٍ نوباً بينهم فإذا غربت الشمس ,ووجب نورها أخرج إليهم صاحب تعبئتك أبدالهم عسساً بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباةٍ لأحدٍ فيه, ولا إدهان إن شاء الله. إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق, وحصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأثقال, وحطت أبنية أهل العسكر لم يمدد طنب ,ولم يرفع خباء ولم ينصب بناءٌ حتى تقطع لكل قائدٍ ذرعاً معلوماً من الأرض, بقدر أصحابه فيحفروه عليهم خندقاً يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك طارحين لها دون اشتجار الرماح ,ونصب الترسة لها بابان قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلاً من قوادك في مائة رجلٍ من أصحابه ,فإذا فرغ من الخندق كان ذانك الرجلان قائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز, وموضع تلك الخيل وكانوا البوابين والأحراس لذينك الموضعين, قد كفوهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال العسكر ومكروهه غيرهما. واعلم أنك إذا كنت في خندق أمنت بإذن الله ,وقوته طوارق عدوك وبغتاتهم فإن راموا تلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالحزم فيه وتقدمت في الإعداد له ورتقت مخوف الفتق منه, وإن تكن العافية استحقيت حمد الله عليها وارتبطت شكره بها ولم يضررك أخذت بالحزم: لأن كل كلفة ونصب ومؤونة إنفاق ,ومشقة عمل مع السلامة غنم وغير خطر بالعاقبة إن شاء الله. فإن ابتليت ببيات عدوك أو طرقك رائعاً في ليلك, فليلفك حذراً مشمراً عن ساقك حاسراً عن ذراعك متشزناً لحربك قد تقدمت دراجتك إلى مواضعها على ما وصفه لك أمير المؤمنين ودبابتك في وقاتها التي قدر لك وطلائعك حيث أمرك, وجندك على ما عبأ لك قد خطرت عليهم بنفسك وتقدمت إلى جندك إن طرقهم طارق, أو فجاأهم عدو أن لا يتكلم منهم أحدٌ رافعاً صوته بالتكبير مغرقاً في الإجلاب ,معلناً بالإرهاب لأهل الناحية التي يقع بها العدو طارقاً وليشرعوا رماحهم ناشبين

بها في وجوههم ,ويرشقونهم بالنبل مكتنين بأترستهم لازمين لمراكزهم غير مزيلي قدم عن موضعها ولا متجاوزين إلى غير مركزهم, وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون لتعرف موضع عدوك من معسكرك ,فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك ومن انتخبت قبل ذلك عدةً للشدائد, بحضرتك وتدس إليهم النشاب والرماح. وإياك وأن يشهروا سيفاً يتجالدون به.

وتقدم إليهم أن لا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرقهم إلا بالرماح, مسندين لها إلى صدورهم والنشاب راشقين به وجوههم,قد ألبدوا بالأترسة واستجنوا بالبيض وألقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو فإن صد العدو عنهم حاملين على جهةٍ أخرى كبر أهل تلك الناحية التي يقع فيها ,كفعل الناحية الأولى وبقية العسكر سكوتٌ والناحية التي صد عنها العدو لازمةٌ مراكزهم منتطقة الهدو ,ساكنة الريح ثم عملت في تقويتهم و ادهم بمثل صنيعك بإخوانهم. وإياك أن تخمد نار رواقك وإذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها,وأوقدها حطباً جزلاً يعرف به أهل العسكر مكانك, وموضع رواقك فيسكن نافر قلوبهم, ويقوى واهي قوتهم ويشتد منخذل ظهورهم, ولا يرجمون بك الظنون ويجعلون لك آراء السوء ,ويرجفون بك آناء الخوف وذلك من فعلك ,رادٌ عدوك بغيظه لم يستفلل منك ظفراً, ولم يبلغ من نكايتك سروراً. وإن انصرف عنك عدوك ونكل عن الإصابة من جندك, وكانت بخيلك قوةٌ على طلبه أو كانت لك من فرسانك خيلٌ معدة وكتيبةٌ منتخبة, قدرت على أن تركب بهم أكساءهم وتحملهم على سننهم فأتبعهم جريدة خيل عليها الثقات من فراسنك وأولو النجدة من حماتك فإنك ترهق عدوك وقد أمن من بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والأخذ بأبواب معسكره, والضبط لمحارسه عليك موهنةً حماتهم لغبةً أبطالهم, لما ألفوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم وأصاب منهم وجرح من مقاتلتهم وكسر من أماني ضلالهم ورد من مستعلي جماحهم.

وتقدم إلى من توجهه في طلبهم وتتبعه أكساءهم في سكون الريح وقلة الرفث وكثرة التسبيح والتهليل واستنصار الله ز وجل بألسنتهم وقلوبهم سراً وجهراً بلا لجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون أن يردوا على مطلبهم وينتهزوا فرصتهم ثم ليشهروا السلاح وينتضوا السيوف فإن لها هيبة رائعة وبديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل ,وحندسه إلا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي والمستميت المقاتل, وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع.

ليكن أول ما تتقدم به في التهيؤ لعدوك, والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك وحماة

جندك ذوي البأس والحنكة والجلد والصرامة من قد اعتاد طراد الكماة ,وكشر عن ناجذه في الحرب وقام على ساقٍ في منازلة الأقران, ثقف الفروسية مجتمع القوة مستحصد المريرة صبوراً على هول الليل عارفاً بمناهزة الفرص لم تمهنه الحنكة ضعفاً ولا بلغت به السن كلالاً ولا أسكرته غرة الحداثة جهلاً ,ولا ابطرته نجدة الأغمار صلفاً جريئاً على مخاطرة التلف مقدماً على ادراع الموت مكابراً لمهيب الهول, متقحماً مخشي الحتوف خائضاً غمرات المهالك ,برأي يؤيده الحزم ونية لا يخالجها الشك وأهواء مجتمعة وقلوبٍ مؤتلفة عارفين بفضل الطاعة ,وعزها وشرفها وحيث محل أهلها من التأييد والظفر والتمكين, اعرضهم رأي عين على كراعهم وأسلحتهم ولتكن دوابهم إناث عتاق الخيل وأسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجوهر وصافي الحديد المتخيرة من معادن الأجناس هندية الحديد أو تبتية يمانية الطبع رقاق المضارب مسمومة الشحذ, مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب معلمة المقابض بحلق الحديد, أنحاؤها مربعة ومخارزها بالتجليد ,مضاعفة محملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي, قد استحقبوها وقسي الشريان, والنبع أعرابية الصنعة مختلفة الأجناس محكمة العمل مقومة التثقيف ونصول النبل مسمومة وعملها مصيصي, وتركيبها عراقي وترييشها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الأعمال في التشطيب والتجنيح والاستدارة, ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة السية سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الأسهم فرضها سهلة الورود ومعاطفها غير مقتربة المواتاة, ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصتك وثقاتك ونصحائك له صيتٌ في الرياسة, وقدم في السابقة وأولية في المشايعة وتقدم إليه في ضبطهم وكف معرتهم واستنزال نصائحهم ,واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمائرهم وتعاهد كراعهم وأسلحتهم, معفياً لهم من النوائب التي تلزم أهل عسكرك وعامة جندك واجعلهم عدة لمرٍ إن حزبك أو طارقٍ إن أتاك,ومرهم أن يكونوا ى أهبة معدة وحذرٍ نافٍ لسنة الغفلة عنهم فإنك لا تدري أي الساعات من ليلك ونهارك تكون إليهم حاجتك فليكونوا كرجلٍ واحدٍ في التشمير والترادف وسرعة الإجابة فإنك عسيت أن لا تجد عند جماعة جندك في مثل تلك الروعة والمباغتة – إن احتجت إلى ذلك منهم – معونةً كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك.

فليكن هؤلاء القوم الذين تنتخب عدتك وقوتك بعوثاً قد وظفتها على القواد الذين وليتهم أمورهم فسميت أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً فإن اكتفيت فيما يطرقك ويبدهك ببعث واحد بعداً لم تحتج إلى انتخابهم في ساعتك تلك فقطع البعث عليهم عند ما يرهقك.

وإن احتجت إلى اثنين أو ثلاثة وجهت منهم إرادتك أو ما ترى قوتك إن شاء الله. وكل بخزائنك ودواوينك رجلاً ناصحاً أميناً ذا ورع حاجز ودين فاضل وطاعة خالصة وأمانة صادقة واجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزانتك وحولها وتقدم إليه في حفظها والتوقي واتهام كل من تسند إليه شيئاً منها على إضاعته والتهاون به والشدة على من دنا منها في مسير أو ضامها في منزل أو خالطها في منهل.

وليكن عامة الجند والجيش – إلا من استخلصت للمسير معها – متنحين عنها مجانبين لها في المسر والمنزل فإنه ربما كانت الجولة وحدثت الفزعة فإن لم يكن للخزائن ممن يوكل بها أهل حفظ لها وذبٍ عنها وحياطةٍ دونها وقوةٍ على من أراد انتهابها أسرع الجند إليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ك بهم إلى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فإن أهل الفتن وسوء السيرة كثير وإنما همتهم الشر فإياك أن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطمع أو يجد سبيلاً إلى اغتيالها ومرزأتها إن شاء الله.

اعلم أن أحسن مكيدتك أثراً في العامة وأبعدها صيتاً في حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحزم الروية وحسن السيرة ولطف الحيلة ,فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على إصابته بالحيل لا بالقتال وأخطار التلف وادسس إلى عدوك, وكاتب رؤساءهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنهم الولايات وسوغهم التراث وضع عنهم الإحن واقطع أعناقهم بالمطامع, ستدعهم بالمثاوب واملأ قلوبهم بالترهيب إن أمكنتك منهم الدوائر وأصارتهم إليك الرواجع وادعهم إلى الوثوب بصاحبهم أو اعتزاله إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ,ولا عليك أن تطرح إلى بعضهم كتباً كأنها جواب كتبٍ لهم إليك وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم وتحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة, فلعل مكيدتك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعتهم وإحن قلوبهم, وسوء الظن من واليهم بهم فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا باتهامه إياهم ,فإن بسط يده فقتلهم وأولغ سيفه في دمائهم وأسرع الوثوب بهم أشعرهم جميعاً الخوف وشملهم الرعب ودعاهم إليك الهرب ,فتهافتوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب وإن كان متأنياً محتملاً رجوت أن تستميل إليك بعضهم, ويستدعي الطمع ذوي الشره منهم وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم إن شاء الله.

إذا تدانى الصفان وتواقف الجمعان ,واحتضرت الحرب وعبأت أصحابك لقتال عدوهم فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله, والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ومسألته توفيقك

وإرشادك وأن يعزم لك على الرشد المنجي, والعصمة الكالئة والحياطة الشاملة. ومر جندك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة ,وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح بضمائرهم ولا يظهروا تكبيراً إلا في الكرات والحملات, وعند كل زلفةٍ يزدلفونها فأما وهم وقوفٌ فإن ذلك من الفشل والجبن وليذكروا الله في أنفسهم, ويسألوه نصرهم وإعزازهم وليكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل, اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شوكته المستحدة وأيدنا بملائكتك الغالبين, واعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين.

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة ,وقومٌ موقوفون يخصونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم, ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم, ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم أهلها وسكانها ويقولون: اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم والتجئوا إليه يمنعكم,وإن استطعت أن تكون أنت المباشر لتعبئة جندك ,ووضعهم مواضعهم من رأيك, ومعك رجالٌ من ثقات فرسانك ذوو سنٍ وتجربة ,ونجدة على التعبئة التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابك فافعل إن شاء الله تعالى.

أيدك الله بالنصر, وغلب لك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزيغ, وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء, ومنازل الأصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب سنة تسع وعشرين ومائةٍ.

القلقشندي :صبح الأعشى,ج10, ص198، 241.

ملحق رقم(٣٠) : رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب:

أما بعد حفظكم الله يا أهل صِناعة الكتابة وحاطَكم ووفّقَكم وأرشَدكم, فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرَّمين أصنافاً ,وإن كانوا في الحقيقة سواءٌ ,وصَرَفهم في صُنوف الصِّناعات وضُروب المُحاولات إلى أسباب مَعاشهم وأبواب أرزاقهم, فجعلكم مَعشَر الكتَّاب في أشرف الجهات, أهل الأدب والمُروءات والعلم والرَّزانة.

بكم ينتظم للخلافة مَحاسِنها وتستقيم أُمورها, وبنصحائكُم يُصلح الله للخلق سلطانَهم, وتَعمُر بلدانَهم, لا يسْتغني الملك عنكم ولا يوجد كافٍ إلا منكم, فمَوقِعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون و ألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبْطِشون, فأَمتعكم الله بما خصَّكم من فضل صناعتكم, ولا نزَعَ عنكم ما أضْفاه من النِّعمة عليكم. و ليس أحدٌ من أهل الصناعات كلها أحوَج إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة, وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم.

أيها الكتاب: إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صِفتكم, فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يَثق به في مُهمَّات أموره أن يكون حليماً في موضِع الحِلم ,فهيماً في

موضع الحُكم ,مقداماً في موضع الإقدام, مُحجِماً في موضع الإحجام ,مُؤثراً للعفاف, والعدل والإنصاف ,كَتُوماً للأسرار, وفيّاً عند الشّدائد, عالماً بما يأتي من النَّوازل, يضع الأمور مواضِعها, والطَّوارق في أماكنها ,قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكَمه, وإن لم يُحكِمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به, يعرف بغَريزة عقله وحُسن أدبه وفضلِ تجْربته ما يرد عليه قبل وُرُوده ,وعاقبة ما يصدر عنه قبل صُدوره, فيُعدّ لكل أمر عُدته وعتاده, و يُهيِّئ لكل وجه هيئته وعادته.

فتنافسُوا يا معشر الكتّاب في صُنوف الآداب, وتفقّهوا في الدين, وابْدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض, ثم العربية فإنّها ثِقافُ ألسنتكم, ثمَّ أجيدوا الخَطّ فإنّه حِلية كُتبكم ,وارْوُوا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها, وأيام العرب والعَجم وأحاديثها وسِيَرها فإنَّ ذلك مُعين لكم على ما تَسمو إليه هِممكم, ولا تُضيعوا النّظر في الحساب فإنّه قِوَام كتّاب الخراج, وارغبوا بأنفسكم عن المَطامع سَنيِّها ودَنيِّها و سَفْساف الأمور و مَحاقِرها فإنّها مَذلّة للرِّقاب مَفسدة للكتّاب,ونزهوا صِناعتكم عن الدَّناءة وارْبَؤُوا بأنفسكم عن السِّعاية والنَّميمة وما فيه أهل الجَهَالات, وإيَاكم والكِبر والسّخف والعظمة فإنّها عداوة مُجتلبة من غير إِحْنة, وتحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالّذي هو أَلْيَق لأهل الفضل والعدل والنُّبل من سلفكم.

وإن نبَا الزمان برجل منكم فاعْطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله ,ويثوب إليه أمره,وإن أقعد أحداً منكم الكِبَر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزُوروه, وعظّموه وشاوروه, واستظهروا بفضل تجرِبته وقديم معرفته ,وليكن الرجل منكم على من اصْطَنعه ,واستظهر به ليوم حاجته إليه أحفَظ منه على ولده وأخيه, فإن عرضَتْ في الشُّغل محمَدة فلا يضيفها إلاّ إلى صاحبه, وإن عرضت مَذمّة فليحملها هو من دونه, وليحذر السَّقطة والزّلة والملل عند تغيّر الحال, فإنَّ العيب إليكم معشر الكتّاب أسرعُ منه إلى القُراء, وهو لكم أفسَدُ منه لهم.

فقد علِمتم أنّ الرجل منكم إذا صحِبه من يبذل له من نفسه ما يجِب له عليه من حقه, فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله, وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره, ما هو جزاءٌ لحقّه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه, فاستشعروا ذلك. وفّقكم الله من أنفسكم, في حالة الرّخاء والشّدة والحرمان, والمواساة والإحسان, والسّراء والضَّراء. فنعمتُ الشِّيمة هذه مَن وسِم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة, وإذا ولي الرجل منكم أو صُيّر إليه من أمرِ خلق الله وعياله أمرٌ, فليُراقب الله عز وجل وليُؤثر طاعته, وليكنْ مع الضَّعيف رفيقاً,

وللمظلوم مُنصفاً فإنّ الخلق عيال الله وأحبُّهم إليه أرفقهم بعياله, ثمّ ليكن بالعدل حاكماً وللأشراف مكرماً وللفَيء موفراً, وللبلاد عامراً وللرعية مُتألفاً, وعن أذاهم متخلفاً, وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ,وفي سجلاَّت خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً, وإذا صحِب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه, فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يُوافقه من الحسن,واحتال على صرفِه عما يهواه من القُبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة.

وقد علِمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمسَ معرفة أخلاقها , فإنْ كانت رَموحا–التي ترفس– لم يَهجها إذا ركبها, وإن كانت شبوباً–التي ترفع يديها– اتَّقاها من بين يديها, وإن خاف منها شُروداً توقّاها من ناحية رأسها, وإن كانت حَرُوناً قمع برفق هواها في طريقها ,فإن استمرت عطفها يسيراً فيَسْلس له قيادها, وفي هذا الوصف من السّياسة دلائل لمن ساس الناس وعامَلهم ,وجرّبهم وداخَلهم.

والكاتب لفضل أدَبه وشريف صَنعته ولطيف حيلته, ومعاملته لمن يجاورُه من الناس, ويناظره ويفهم عنه, أو يخاف سطوته ,أَوْلى بالرفق لصاحبه ومُداراته, وتقويم أوْده من سائس البهيمة التي لا تُحير جواباً, ولا تعرف صواباً, ولا تَفهم خطاباً, إلا بقدر ما يُصيِّرها إليه صاحبها الراكب عليها,أَلا فأمعنوا رحمكم الله في النّظر, واعملوا ما أمكَنكم فيه من الرَّوية والفكر, تأمنوا بإذن الله ممّن صحبتُموه النَّبْوة والاسْتثقال والجَفوة ,ويصير منكم إلى المُوافقة ,وتصيروا منه إلى المؤاخاة, والشفقة إن شاء الله,ولا يجاوِزنَّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه, ومركبه ومطعمه ومشربه, وبنائه وخَدمه ,وغير ذلك من فنون أمره ,قدر حقه, فإنَّكم مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم خَدمة, لا تحملون في خدمتكم على التقصير حفظة لا تحتمل منكم أفعال التَّضييع والتبذير, واستعينوا على عفافكم بالقَصد في كل ما ذكرتُه لكم وقَصَصته عليكم, واحذروا مَتالف السَّرف , وسوء عاقبة التَّرف, فإنّهما يُعقبان الفقر ويُذلان الرقاب,ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتّاب وأرباب الأداب.

وللأمور أشباهٌ وبعضها دليلٌ على بعض, فاستدلوا على مُؤتَنف أعمالكم بما سبقت إليه تجرِبتكم, ثم اسلكوا من مسالك التَّدبير أوضحها مَحجّة وأصدقها حجّة وأحمدها عاقبة, واعلموا أن للتدبير آفة مُتلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورُوِيّته, فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليُوجز في ابتدائه وجوابه, وليأخذ بمجامع حُجَجه فإنّ ذلك مصلحة لفعله, ومَدفعة للتّشاغل عن إكثاره, وليَضرع إلى الله في صلة توفيقه,وإمداده بتسديده ,مخافة وقوعه

في الغلط المُضر ببدنه وعقله وآدابه, فإنه إن ظنّ منكم ظَان أو قال قائل, إن الذي برز من جميل صنعته وقوّة حركته, إنّما هو بفضل حيلته وحُسن تدبيره, فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يَكِلَه الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف, وذلك على من تأمله غير كاف.

ولا يقول أحد منكم إنه أبصرُ بالأمور وأحملُ لِعبْء التدبير من مرافقه في صناعته, ومُصاحبه في خدمته ,فإنّ أعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعُجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقلَ منه وأجملَ في طريقته, وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه, ولا تزكية لنفسه ولا يُكاثرعلى أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره.

وحمدُ الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتَّذلل لعِزَّته والتحدث بنعمته. وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل: من تَلزمُه النصيحة يَلزمه العمل. وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل, فلذلك جعلتُه آخره وتَمَّمته به. تولّانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده, فإن ذلك إليه وبِيَده, والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القلقشندي:صبح الأعشى,ج ﷺ، ص ﷺ – ﷺ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 5، 6، 7: النقود في مرحلة التعريب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

حسان حلاق: تعريب النقود والدواوين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

ثانيا: فهرس الأماكن

ثالثا: المصادر والمراجع

رابعا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحات
إبان بن سعيد بن العاص	2
إبراهيم بن أبي جمعة	124
إبراهيم بن الوليد	79، 124، 170
إبراهيم جمعة	31، 34، 65
ابن أثال النصراني	127
ابن الأثير	13، 99، 155
ابن الأزرق	84
ابن الجوزي	5، 14، 56، 79، 161، 182
ابن الصيرفي	84
ابن النديم	48، 57، 58، 60، 62، 152
ابن بطريق	118، 151
ابن حبان	136، 139، 157
ابن خلدون	28، 29، 52، 58، 77، 105، 144، 179
ابن خلكان	160
ابن درستويه	14، 61، 68، 70، 75
ابن سعد	102، 167
ابن شهاب الزهري	53، 136، 139، 166
ابن طباطبا	77
ابن عبد البر	4
ابن عبد ربه	103، 104، 114، 127، 179، 180
ابن عساكر	14، 57، 106، 111، 123، 138، 139، 142، 143، 147، 158،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	166، 171، 175
ابن قتيبة	101، 140، 183
ابن كثير	112، 135
ابن مقلة	46، 47، 60
ابن هرثمة	86
ابن يربوع الفزاري	181
أبو الأسود الدؤلي	62، 63، 64، 65
أبو الزعيزعة	114، 125، 149، 156
أبو الزناد	100، 165
أبو العباس السفاح	124، 164
أبو أيوب الأنصاري	45
أبو بكر الصديق	6، 8، 10، 11، 13، 17، 20، 21، 23، 83، 90
أبو جبيرة بن الضحاك	11
أبو جعفر المنصور	121
أبو جمعة الأنصاري	136
أبو سفيان بن حرب	2
أبو طلحة الطلحات	11
أبو عبيد القاسم	19
أبو عبيدة يبن الجراح	2، 20
أبو غطفان بن عوف	11
أبو مسلم الخرساني	163
أبو موسى الأشعري	12، 20
أبو نعيم	158
أبو هريرة	17، 35، 149، 165
أبو هلال العسكري	67، 72
أبو يوسف	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبي بن كعب	3، 4
أبي عقيل	135
أحمد الحوفي	8، 83
أرسطاليس	152
أسامة بن زيد	19، 116، 120، 121، 139
إسحاق بن طليق	180
إسحاق بن قبيصة	121
الإسكندر	152
إسماعيل بن أبي حكيم	119، 126، 151، 158
أشناس	181
أم الحكم بنت أبي سفيان	117، 126
أم سلمة	21
أم كلثوم بنت مقداد	5
أنس بن مالك	39، 71، 115
أهرون القسي	53
أهيب	11
أيوب بن سليمان	45، 159
بشر بن مروان	156
بكير بن الشماخ	122
البلاذري	5، 74، 93، 105، 149، 157، 158، 174،178، 180
بيهس بن زميل	123، 169
البيهقي	85
تاذري بن أسطين	127
ثابت بن سليمان بن سعد	123
ثابت بن قيس	9

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجاحظ	100
جرول	119
جناح	73، 116، 117، 125، 166
جنادة بن أبي خالد	121
جندب	93
الجهشياري	هـ، 14، 60، 69، 101، 125، 132، 142، 151، 157، 162
جهيم بن الصلت	2، 3
جويرية	19
الحارث بن كعب	120
حاطب بن عمرو بن عبد شمس	2
الحجاج بن عمير	122
الحجاج بن يوسف	30، 36، 39، 40، 42، 51، 63، 64، 67، 71، 72، 73، 76، 82، 85، 87، 94، 99، 103، 104، 105، 114، 135، 139، 149، 157، 165، 166، 179، 180، 182، 183، 185، 187
حجر بن عدي	74
حذيفة بن اليمان	3، 4
حذيفة بن عقبة	2
حسان حلاق	177
حسن إبراهيم حسن	181، 187
الحسن البصري	68، 70، 96
حسن بن إبراهيم حسن	107
الحسن بن النمر	4
الحسن بن علي	76
الحسين بن علي	35، 92، 142، 156
حسين عبد الرحيم	31، 60
الحصين بن نمير	3

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حفصة	5
الحكم بن يزيد	40، 42، 43، 74، 75، 81، 91
حمران	11
حنظلة بن الربيع	4، 11
حويطب بن عبد العزى	2
خاقان	94
خالد بن أبي الهيجاء	30، 59، 151
خالد بن الوليد	20، 21، 183
خالد بن سعيد	2، 3، 4، 9، 13، 120
خالد بن عبد الله القسري	36، 42، 93
خالد بن يزيد بن معاوية	30، 140، 141، 184، 187
الخزاعي	5، 16
خليفة بن خياط	125
الخليل بن أحمد الفراهدي	64
داوود بن سليمان	45
دنون طه	188
الدينوري	141
الذهبي	100، 130، 157
رباح بن أبي عمارة	123
الربيع بن زياد الحارثي	114
الربيع بن شابور	122، 169
ربيعة الجرشي	99، 103، 114، 128، 135، 136، 147، 179، 180، 189، 190، 192، 193
رتبيل	94، 112
رجاء بن حيوة	جـ، 102، 106، 109، 130، 131، 150، 151، 158، 159، 160، 161، 165، 170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرسول ﷺ	39، 41، 43، 76، 83، 88، 90، 96، 98، 115، 136، 145، 197، 182، 184، 192
رمزي بعلبكي	64
روح بن زنباع	106، 115، 131، 149، 150، 156، 157، 165، 168
الريان بن سلم	113، 149
زادان فروخ	104، 114، 127، 179، 180
الزبير بن العوام	3، 120، 126
الزجاجي	28
زمل بن عمرو العذري	113
زياد بن أبي الورد	125، 170
زياد بن أبيه	35، 37، 41، 54، 62، 67، 71، 74، 75، 76، 86، 91، 105، 113، 127
زيد بن ثابت	3، 4، 11، 98، 165
سالم بن عبد الرحمن	121، 152
سالم مولى هشام	104، 122، 127، 161
سرجون بن منصور	105، 111، 113، 114، 127، 142، 146، 175، 178، 189
سعد بن أبي وقاص	13
سعد بن عبادة	9
سعيد بن المسيب	137، 167
سعيد بن الوليد الأبرش	121، 132، 152
سعيد بن عبد الملك	121، 122
سعيد بن عقبة	120، 121
سعيد بن نمران	11
سفيان الأحول	114
سلم بن عقبة المري	85
سليم بن نعيم الحميري	118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سليمان بن سعد	101، 102، 105، 114، 116، 117، 118، 120، 135، 142، 147، 164، 174، 175، 178، 179، 192، 193
سليمان بن عبد الملك	40، 45، 72، 73، 78، 81، 82، 85، 87، 99، 101، 102، 114، 117، 118، 126، 130، 131، 135، 139، 150، 151، 158، 159، 171
سمّال	74، 75
سهيل بن عمرو	10
شحاذة الناطور	178، 184، 186
شريح القاضي	21
شعيب الصابي	117
شمعل النصراني	115، 127
شوقي أبو خليل	170
صالح بن جبير الصدائي	118، 119، 120، 137، 138، 139، 143، 147، 148
صالح بن عبد الرحمن	99، 103، 114، 128، 135، 136، 147، 179، 180، 189، 190، 192، 193
الصباح بن المثنى	73، 74، 119
صفية	19
الصولي	51، 54
الضحاك بن قيس الفهري	162
الطبري	11، 14، 37، 40، 42، 74، 92، 122، 131، 137، 143، 151، 156
طلحة بن عبيد الله	2، 13، 21
عائشة	19، 21، 166
عامر بن فهيرة	3
العباس بن عبد المطلب	19
عبد الأعلى بن أبي عمرة	161
عبد الأعلى بن ميمون بن مهران	125
عبد الحميد الكاتب	27، 45، 81، 96، 101، 104، 124، 129، 132، 152، 153، 154،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	162، 163، 164، 180، 190، 192
عبد الحميد بن عبد الرحمن	67، 72
عبد الحميد جيدة	ج، 47
عبد الخصر جاسم	31
عبد الرحمن بن أبي بكرة	113
عبد الرحمن بن الأشعث	110، 114، 127، 180
عبد الرحمن بن حنبل الكلبي	123
عبد الرحمن بن دراج	111، 125، 146، 147
عبد الرحمن بن عوف	10
عبد الستار الحلوجي	63، 65
عبد العزيز بن مروان	88، 141، 142، 168، 181، 186
عبد العزيز بن مروان	141، 142، 181، 186
عبد العزيز سالم	130
عبد الله بن الأرقم	3، 4، 11
عبد الله بن الزبير	35، 70، 71، 76، 86، 87، 93، 140، 157، 168
عبد الله بن بعد بن أبي السرح	3، 4
عبد الله بن جبير	11
عبد الله بن جحش	7
عبد الله بن خلف الخزاعي	11
عبد الله بن رواحة	4
عبد الله بن سالم	122
عبد الله بن صخر	49
عبد الله بن عامر	84
عبد الله بن عبد الرحمن	169
عبد الله بن عبد الملك	176، 181
عبد الله بن عمرو	19، 93

عبد الله بن عمرو بن الحارث	118، 122
عبد الله بن مروان	45، 81، 162
عبد الله بن مسعود	11
عبد الله بن نعيم	123
عبد الملك بن محمد بن الحجاج	122، 143
عبد الملك بن مروان	11، 12، 36، 40، 41، 43، 44، 63، 64، 67، 70، 71، 72، 76، 78، 82، 85، 87، 88، 101، 104، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 118، 123، 125، 127، 130، 131، 135، 136، 137، 140، 141، 142، 145، 149، 150، 151،/ 156، 157، 158، 164، 165، 166، 167، 168، 172، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 189
عبيد الله بن أبي بكرة	112
عبيد الله بن أبي رافع	11
عبيد الله بن الحبحاب	121، 143
عبيد الله بن أوس الغساني	112، 113، 149
عبيد الله بن زياد	85، 109، 142، 156
عبيد الله بن عمرو الحميري	113، 171
عبيد الله بن نصر بن الحجاج	112
عبيد بن قيس	115
عثمان بن حيان	24
عثمان بن عفان	2، 3، 4، 6، 11، 12، 20، 22، 23، 52، 63، 114، 119، 134، 182
عثمان بن محمد	92
عثمان بن يزيد	40، 42، 43، 74، 75، 81، 91
عدي بن الصباح	119
العلاء بن الحضرمي	8، 9
العلاء بن عقبة	4
علي أومليل	26، 31، 160، 174

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علي بن أبي طالب	2، 3، 4، 10، 11، 13، 21، 22، 23، 48، 69
عمر بن الخطاب	2، 6، 10، 11، 12، 14، 15، 17، 18، 19، 20، 22، 23، 26، 63، 83، 90، 105، 14، 173، 174، 176، 182
عمر بن عبد العزيز	30، 36، 37، 40، 41، 42، 44، 48، 51، 53، 56، 59، 67، 69، 70، 72، 73، 74، 78، 79، 81، 85، 88، 89، 91، 94، 102، 105، 107، 110، 114، 117، 118، 120، 123، 126، 128، 130، 137، 138، 139، 147، 148، 151، 158، 159، 160، 161، 166، 187
عمران بن صالح	124، 125، 171
عمرو بن الحارث الفهمي	116، 124، 166
عمرو بن الزبير	75، 170
عمرو بن العاص	13
عمرو بن حبحاب	50
عمرو بن سعيد	88، 111، 112، 134، 135، 139، 140، 141، 142، 156، 157، 168
عمرو بن عتبة	122، 132، 162، 165
عمرو بن هبيرة	114
عياض بن سلم	144
غانم قدوري	59
الغيرة بن أبي قرة	115، 117
غيلان الدمشقي	137
فتحية النبراوي	19
الفرزدق	85
قاسم السامرائي	ه، 50، 53، 55، 65
قبيصة بن ذؤيب	100، 104، 115، 116، 118، 130، 131، 165، 166، 167، 168، 169
قحذم	179
قدامة بن جعفر	26، 28، 96
قطبة المحرر	47، 60

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قطن مولى يزيد بن الوليد	124، 170
القعقاع بن خليد	117
القلقشندي	هـ، 13، 14، 26، 43، 46، 48، 54، 55، 61، 71، 72، 93، 96، 101، 129، 155، 163، 181
قيس بن سعد	38، 88
الكتاني	14، 28، 52، 182
كسرى	6، 15، 104، 146
الكلاعي	73، 94، 96
الليث بن أبي رقية	117، 119، 126، 151
الماوردي	15، 18، 19، 102، 144
المبرد	160
المثنى بن حارثة	22
محمد بن أبي بكر	70
محمد بن الحنفية	41، 167
محمد بن سعيد بن عقبة	120
محمد بن مسلمة	9
مخلد بن محمد بن الحارث	125
مربع	85
مرداس	111
مردان شاه بن زادان فروخ	180، 189
مروان بن الحكم	11، 37، 39، 42، 77، 86، 104، 112، 113، 114، 115، 140، 141، 142، 156، 175
مروان بن محمد	43، 53، 79، 124، 132، 162، 163، 164، 170
المسعودي	43
مسيلمة	8، 9
مصطفى الحياري	99
مصعب بن ربيع الخثعمي	124
مصعب بن عبد الرحمن بن عوف	140
مطير مولى يزيد بن عبد الملك	121، 166
معاذ بن جبل	136
معاوية بن أبي سفيان	ب، 3، 4، 26، 35، 37، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 48، 50، 54،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	69، 70، 71، 73، 74، 75، 76، 77، 82، 84، 86، 88، 89، 90، 92، 93، 96، 100، 106، 108، 109، 110، 111، 112، 115، 125، 127، 130/ 134، 140، 142، 145، 146، 147، 150، 170، 171، 172، 182، 183، 187
معاوية بن يزيد	111، 113
معيقيب بن أبي فاطمة	3
المغيرة بن شعبة	3، 4، 82، 88، 89، 142
المقريزي	146، 181، 182
المقوقس	6
المنذر بن ساوي	6
منصور بن سرجون	127
منير حميد البياتي	175
المهلب بن أبي صفرة	36، 43
موسى بن نصير	45، 52
نافع مولى الوليد	116
ناهد حمدي	هـ، 23، 45، 53
النجاشي	6
نجدة خماش	هـ
النحاس	هـ، 15، 28، 30، 71
نصر بن سيار	91
نصر بن عاصم	63، 64
النضر بن عمرو	123، 124، 143
النعمان بن بشير	156
نعيم بن سلامة	118، 120، 126، 166
نفيع بن ذؤيب	125
النويري	41
هاني العمد	158
هرقل	6، 185
الهرمزان	14
هشام بن إسماعيل المخزومي	167
هشام بن عبد الملك	44، 78، 81، 85، 88، 93، 102، 104، 106، 116، 118، 119،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	120، 121، 122، 127، 131، 137، 143، 144، 152، 159، 161، 162، 169، 171، 172، 180، 185
الواقدي	23
الوليد بن عبد الملك	30، 43، 59، 60، 71، 73، 78، 81، 82، 87، 94، 101، 106، 114، 116، 125، 142، 157، 172، 173، 181
الوليد بن هشام القحذمي	179
الوليد بن يزيد	40، 42، 74، 76، 78، 81، 91، 120، 121، 122، 132، 143، 145، 161، 162، 166، 169
يحي بن يعمر	64
يحي وهيب	60
يزيد بن أبي سفيان	2
يزيد بن أبي سلم	105
يزيد بن الوليد	39، 69، 78، 82، 123، 143، 169، 170
يزيد بن عبد الملك	40، 41، 69، 78، 85، 86، 106، 114، 117، 118، 120، 139، 161، 166
يزيد بن معاوية	35، 38، 39، 40، 73، 87، 92، 93، 111، 113، 115، 123، 140، 142
اليعقوبي	23، 146
يوسف بن عمرو	91، 93، 180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأماكن

المكان	الصفحات
الأردن	105، 114، 118، 119، 146، 174
أرمينية	162
افريقية	121
الأنبار	124
الأندلس	143
البحرين	6، 17
بدر	19، 30
البصرة	11، 36، 40، 113، 115، 123، 135، 142، 143، 156، 172، 183
البطائح	20
بعلبك	45
بني حنيفة	20
بيت المقدس	151، 165
بيزنطا	176، 177، 178
الترك	94
تونس	143
الجابية	140، 156
جبل سلع	6
الجزيرة	50، 136، 137، 138، 143، 147، 162
الحبشة	6، 19
الحجاز	40، 42، 49، 58، 168، 182، 185
الحديبية	5، 7، 10، 43
الحرة	85، 140، 169

حماه	52
حمص	127، 141، 169، 181
حمير	9
خراسان	36، 52، 85، 110، 179، 180
دمشق	52، 110، 111، 123، 127، 140، 143، 146، 156، 166
دير الجماجم	87
الرقة	118، 119، 124، 136
الرملة	151
الروم	6، 17، 33، 44، 53، 91، 94، 98، 105، 109، 158، 161، 173، 174، 175، 176، 177، 179، 182، 183، 184، 186، 189
سجستان	112، 114
السودان	143
سورية	184
الشام	13، 17، 32، 33، 37، 49، 50، 52، 55، 57، 58، 110، 112، 116، 117، 119، 121، 123، 127، 134، 136، 141، 150، 164، 172، 174، 176، 178، 179، 182، 187، 190
صقلية	143
الصنبرة	115
الصين	49، 55
الطائف	8، 39، 135
طبرية	120
طرابلس	52
طيئ	9
العراق	17، 33، 36، 40، 44، 52، 57، 75، 85، 91، 93، 103، 127، 135، 146، 147، 156، 165، 172، 174، 179، 187
فارس	6، 13، 15، 17، 32، 33، 35، 37، 46، 47، 49، 52، 84، 91، 98، 108، 109، 146، 152، 173، 175، 176، 177، 178، 180، 182،

جامعة الأمير القادر للعلوم الإسلامية

	189
فلسطين	115، 117، 118، 146، 157
قبرس	44، 45، 143
قريش	134، 140
القسطنطينة	158
كنانة	124
الكوفة	11، 20، 21، 36، 40، 52، 58، 59، 67، 134، 135، 142، 156، 162، 172
المدينة	2، 6، 7، 11، 24، 30، 35، 37، 38، 42، 50، 58، 92، 93، 110، 115، 119، 120، 139، 140، 142، 150، 157، 165، 167، 169
مرج راهط	115
مرعش	170
مصر	17، 29، 43، 50، 51، 11، 121، 139، 140، 143، 172، 173، 176، 177، 181، 183، 184، 186، 188
المغرب	143
مكة	8، 9، 19، 24، 42، 110، 134، 139، 142، 150
نخلة	8
الهند	49، 55
واسط	185
اليمن	55
اليونان	54، 59، 69، 92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

المصادر

1. ابن الأثير ضياء الدين (ت637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1983.
2. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، 1985.
3. ابن الأزرق أبو عبد الله (ت 896هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.
4. ابن أعثم الكوفي أبو محمد أحمد (ت314هـ): كتاب الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت.
5. ابن إسحاق محمد بن يسار المطلبي (ت151هـ): السيرة النبويّة، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت 256هـ):

6. التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت,د ط .
7. خلق أفعال العباد، تح: عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ، جدة,دط.

- ابن عبد البر القرطبي أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ):

8. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995
9. بهجة المجالس وأنس المجالس، تح: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

- البلاذي أحمد بن يحي جابر (ت 279هـ):

10. أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت ، 1996

11. فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباغ، دار النشر للجامعيين، 1987.

12. البغدادي أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز (ت 256هـ): الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تح: هلال ناجي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973.

13. البيهقي إبراهيم بن محمّد: المحاسن والمساوئ، دار بيروت للطباعة، 1979.

14. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ): الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، دار السلام، الرياض، 2000.

15. ابن تغرى بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: إبراهيم علي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963.

16. الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ): خاص الخاص، تح: حسن الأمين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت,دط.

-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ):

17. رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

18. البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت,دط.

19. الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ): الوزراء والكتاب، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة ، 1938.

-ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ):

20. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

21. صفة الصفوة، دار الجيل، بيروت، 1992.

22. سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفجر، القاهرة، 1999.

23. ابن حبان محمد بن أحمد بن أبي حاتم التميمي (ت965هـ): كتاب الثقات، مؤسسة الكتب الثقافية، حيدر أباد الهند ، 1973.

-ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت852هـ):

24. تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، 1984.

25. لسان الميزان، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

26. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز عبد الله بن باز، دار السلام، الرياض، 2000.

27. ابن حديدة الأنصاري أبو عبد الله محمد بن علي (ت783هـ): المصباح المضيء في كتاب النبي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تح: محمد عظيم الدين، دار عالم الكتب، 1985.

28. ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد بن هبة الله (ت656هـ): شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1979.

29. الخزاعي علي بن محمّد بن مسعود (ت 789هـ): تخريج الدلالات السّمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصّنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ):

30. المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004.

31. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت,دط.

32. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972.

32.خليفة بن خياط أبو عمر العصفري (ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تح: مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

33. ابن دسترويه أبو محمّد عبد الله بن جعفر (ت346هـ) كتاب الكتاب، تح: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، 1927.

34. الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ): الأخبار الطوال، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت,دط.

-الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)

35. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989.

36. العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني 1985.

37. سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

38. الرازي أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي (ت327هـ): كتاب الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.دط.

39. الراغب الأصبهاني أبو القاسم حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت,دط.

40. ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر أحمد بن محمد (ت327هـ): العقد الفريد، تح: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.

41. ابن رجب الحنبلي (ت795هـ): أحكام الخواتيم وما يتعلّق بها، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

42. الزبير بن بكار أبو عبد الله بن عبد الله بن مصعب (ت256هـ)، الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، مكتبة العاني، بغداد، 1972.

43. الزجاجي يوسف بن عبد الله (ت 415هـ)، عمدة الكتاب، تح: ابتسام مرهون الصفّار، وليد بن أحمد الحسن، سلسلة دار الحكمة، المدينة، 1999.

44. أبو زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله صفوان النصري (ت281هـ): تاريخ أبي زرعة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

45. ابن طباطبا محمد بن علي (ت 907هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب سوريا، 1997.

46. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1960.

47. الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري المالكي (ت 520هـ): سراج الملوك، تح: نعمان صالح الصالح، دار العاذريّة للطباعة والنشر، الرياض،2005.

48. ابن طولون محمد الدمشقي (ت953هـ): إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تح: محمد الأرناؤوطي، عبد القادر الأرناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987.

49. الكتبي محمد بن شاكر (ت764هـ): فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973.

50. ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت774هـ): البداية والنهاية، تح: أحمد شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003.

51. الكندي محمد بن يوسف (ت350هـ): ولاة مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، 1959.

52. الكلاعي أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي: أحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت,دط.

- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ):

53. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999.

54. أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

55. المبّرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، السيّد شحاتة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

56. مرتضى الزبيدي: محبّ الدين أبو فيض السيد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994.

57. المزي جمال الدين أبو الحجّاج يوسف (ت742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

-ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ):

58. لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت،2005

59. مختصر تاريخ دمشق، تح: سكينة الشّهابي، دار الفكر، دمشق، 1988.

-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ):

60. إغاثة الأمّة بكشف الغمّة، تح: مصطفى محمد زيادة، جمال الدين محمد الشبّال، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002.

61. المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، القاهرة,دط.

62. مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

-المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ):

63. التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة العصرية، بغداد، 1938.

64. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مؤسسة السعادة، مصر، 1958.

65. النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت338هـ): عمدة الكتّاب، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، 2004.

66. ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت 438هـ): الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، 1994.

67. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980.

68. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733): نهاية الإرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1991.

69. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ): الوافي والوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

70. الصولي أبو بكر محمد بن يحيى(ت335هـ): أدب الكاتب، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

71. ابن الصيرفي أبو القاسم علي بن منجب الكاتب (ت542هـ): القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تح: أيمن فؤاد سيّد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1990.

72. ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر أحمد بن محمد (ت337هـ): العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.

73. أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ): كتاب الأموال، تح: محمد خليل حراس، دار الفكر، القاهرة، ط3، 1981.

74. أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (ت356هـ): كتاب الأمالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.

75. ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت,دط.

76. ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ): تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة الغمروي، دار الفكر، بيروت، 2001.

77. الفراء أبو يعلى محمد الحسين (ت458هـ): الأحكام السلطانية، تح: محمد حامد الفقّي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

78. أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (ت356هـ): الأغاني، دار الفكر، بيروت,دط.

-ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ):

79. أدب الكاتب، تح: محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

80. الإمامة والسياسة المنسوب إليه، تح: محمد طه الزّيني، دار المعرفة، بيروت,دط.

81. المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

82. عيون الأخبار، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت 1986.

83. قدامة بن جعفر أبو الفرج بن قدامة (ت337هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي,دط.

84. القلقشندي أحمد بن علي (ت861هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

- القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر (ت 454هـ):

85. الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1998.

86. عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تح: عبد الرحيم محمّد عبد الحميد علي، دار الينابيع، عمان، 1997.

87. ابن قيّم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء (ت 751هـ): أحكام أهل الذمة، تح: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1983.

88. السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ): أدب الإملاء والاستملاء، تح: أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، جدة، 1993.

89. ابن سعد محمد (ت 230هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1960.

90. ابن سيد الناس أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله (ت734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيّر، دار الفكر,دط.

91. السيوطي جلال الدين (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، تح: أبو عبد الله محمد بن الجميل، دار البصيرة، الإسكندرية، 2004.

92. أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ): كتاب الصناعتين، – الكتابة والشعر– تح: علي محمد لبجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.

93. ابن هشام أبو محمد عبد الملك (ت 213هـ): سيرة النبي ﷺ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، 1981

94. الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ): كتاب الرّدة، تح: يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

-ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت626هـ):

95. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

96. معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990

97. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.دط.

98. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(ت 182هـ): كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت,دط.

المراجع:

1. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر,دط.

2. إبراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية، دار الكتب، القاهرة، 1981.

3. إبراهيم القاسم رحاحلة: النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأوليين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

4. إبراهيم ياسين الخطيب وآخرون: النظم الإسلامية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.

5. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت,دط.

6. أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت,دط.

7. أحمد السيد دراج: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، دار الأصفهاني، جدّة، 1980.

8. أحمد شلبي: السياسة في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992.

9. عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب، دار إقرأ، بيروت، 1985.

10. أنور الرفاعي: الإسلامي في حضارته ونظمه، دار الفكر، دمشق، 1982.

11. أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1997,دط.

12. جاسم صبكان علي: تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار الفكر، عمان، 2002.

13. جرجي زيدان: تاريخ التمدّن الإسلامي، مكتبة الحياة، بيروت،دط.

14. حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، دار القاهرة للكتاب، 2001.

15. حميد آدم تويني: الأمالي في أصول الكتابة العربية، دار صفاء، عمان، 2006.

16. عبد الحميد جيدة: صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت، 1998.

17. حسان علي حلاق: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986.

18. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، 2001

19. حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

20. حسن الممي: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

21. رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسّامية، دار العلم للملايين، بيروت،1981.

22. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

23. كامل سلامة الدقس: دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، دار عمان، عمان، 1994.

24. الكتاني محمد عبد الحي الإدريسي: نظام الحكومة النبوية المسمّى بالتراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت,دط.

25. عبد الله بن عبد الرحمن ابن زيد الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، مكتبة الرشد، الرياض، 1424.

-محمد كرد علي:

26. أمراء البيان، دار الأمانة، بيروت، 1969.

27. خطط الشام، مطبعة الترقي، دمشق، 1967.

28. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

29. محمد مهنا العلي: الإدارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر,دط.

30. محمد ضيف الله بطاينة: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان، عمان، 1999.

31. محمد المقداد: الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1408هـ-1988م.

32. منير البعلبكي: موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م

33. منير حميد البياتي: النظم الإسلامية، دار وائل، عمان، ط1، 2006.

34. مصطفى الحياري: الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر، الجامعة الأردنية، عمان، 1986.

35. ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الفكر، 1986.

36. ناهد حمدي: المرجع في علم الديبلوماتيك العربي واستراتيجيات النقد والتحليل، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

37. ناهض القيسي: موسوعة النقود العربية والإسلامية، دار أسامة، عمان، 2001.

38. نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1980.

39. صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.

40. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.

41. عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت،2005.

42. علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

43. عماد الدين خليل: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005م 1426هـ.

44. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1984.

45. عفت وصال حمزة: سيرة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1998.

46. فاروق مجدلاوي: الإدارة في عهد عمر بن الخطاب، دار النهضة العربية، بيروت،1991.

47. فتحية عبد الفتاح النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994.

48. فكتور الكك، أسعد علي: صناعة الكتابة، بيروت، ط2، 1973.

49. قاسم السامرائي: علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 2001.

50. عبد الستّار الحلوجي: المخطوط العربي، مكتبة مصباح، جدة، 1989.

51. شحاذة الناطور: تجديد الدولة الأمويّة في عهد الخليفة عبد الملك، بن مروان، 69-68هـ، دار الكندي، الأردن، 1996.

52.شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

53.شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق،1994.

54.هاني صبحي العمد: أدب الكتابة والتأليف عند العرب، نظرة عامة، الجامعة الأردنية، عمان، 1986.

55.يحيى وهيب الجبوري:الخط والكتابة في الحضارة العربية,دار الغرب الإسلامي,بيروت ط1,1994.

المجلات والدوريات

1. توفيق سلطان اليوزبكي: التعريب في العصرين الأموي والعباسي، المجلة التاريخية المصرية، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، م24. 1977.

2. عبد الجبار حمد السبهاني: النقود في الإسلام، مجلة الحكمة، المدينة المنورة، ع12,دت.

3. حمد بن ناصر الدخيل: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي الأموي والعباسي، مجلة جامعة أم القرى، الرياض، ع22، ماي 2001.

4. حسين عبد الرحيم عليوة: الكتابات الأثرية العربية –دراسة في الشكل والمضمون–، مطبعة الجيلاوي القاهرة,1983.

5. عبد الخضر جاسم حمادي: أثر مكاتبات الرسول ﷺ في ظهور الوعي التدويني، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع46، يوليو، 2004.

6. محمود شيت خطاب: السفارات والرسائل النبويّة –كتابة النبي ﷺ وموادهم الكتابية –مجلة المورد، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، مج16، ع1، ربيع 1987.

7. معتصم زكي السنوي: أثر الرسم الكتابي العربي في الثقافة الإسلامية والحضارة المعاصرة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع47، أكتوبر 2004.

8. صالح أحمد العلي: التدوين وظهور الكتب المصنّفة في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، نيسان 1980.

9. صلاح حسين العبيدي: الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع43، أكتوبر 2003.

10. عبود الشالجي: الرواتب في الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج26، 1975.

11. عز الدين إبراهيم: الدراسات المتعلقة برسائل النبي ﷺ إلى الملوك في عصره، منشورات المكتبةالعصرية,بيروت,1981.

12. غانم قدوري الحمد: الخط العربي تطوره وأنواعه، مجلة الحكمة، المدينة، ع12.دت.

13. فالح القيسي: استعمال اللغة العربية في الدواوين المالية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع21، 22، حزيران، 1986.

14. يحي وهيب الجبوري: الصحف والقراطيس في الحضارة العربية الإسلامية حتى منتصف العصر العباسي، مجلة المنارة، الأردن، ع1، كانون الثاني، 1996.

الرسائل الجامعية

1. محمد فرقاني: رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز جمعا ودراسة وتحقيقا، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003-2004.

المراجع الأجنبية

1. D.M Dunlop: Arabic Civilization AD 1500, Longman Librairie du liban, P2, 1985.
2. Juseph Burlot: La civilization islamique, Paris, Hachette, 1990.

رابعا: فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ..... أ

تمهيد: الكتابة والكتاب في العهد النبوي والراشدي

1- الكتابة في العهد النبوي..... 2
1-1-كتاب النبي ﷺ..... 2
1-2- خاتم النبي ﷺ..... 5
1-3- أدوات الكتابة في العهد النبوي..... 6
1-4- رسائل النبي إلى الملوك يدعوهم للإسلام وأثرها في ظهور الوعي التدويني..... 7
1-5- ترتيبات الكتابة في العهد النبوي وقواعدها..... 8
2- الكتابة والكتاب في العهد الراشدي..... 11
2-1- كتاب الخلفاء الراشدين..... 11
2-1-1- كتاب أبي بكر..... 11
2-1-2- كتاب عمر بن الخطاب..... 11
2-1-3- كتاب عثمان بن عفان..... 11
2-1-4- كتاب علي بن أبي طالب..... 11
2-2- خواتم وتوقيعات الخلفاء الراشدين..... 12
2-2-1- الخواتيم..... 12
2-2-2- التوقيعات..... 13
2-3- التأريخ في المراسلات..... 13
2-4- نشأة الدواوين وتنظيمها..... 15
2-4-1- تعريف الديوان..... 15
2-4-2- نشأة الديوان في الإسلام..... 15
2-5- تقاليد الكتابة في العهد الراشدي..... 19
2-6- الخط والكتابة في العهد الراشدي..... 23

الفصل الأول: الكتابة أهميتها، أدواتها والترتيبات المتبعة فيها

1- تعريف الكتابة وأهميتها..... 26
1-1- تعريفها..... 26
1-2- أهمية الكتابة وعوامل تطورها في الدولة الأموية..... 27

1-2-1- أهمية الكتابة ومكانتها..... 27
1-2-2- عوامل ازدهار الكتابة في العصر الأموي..... 32
2- أغراض الكتب المتبادلة في العهد الأموي..... 35
2-1- أوامر متعددة..... 35
2-2- نصائح وتوجيهات..... 37
2-3- التهديد والتوبيخ..... 38
2-4- تولية الولاة وعزلهم ووصايا بولاية العهد..... 39
2-5- وصايا..... 40
2-6- كتب طاعة وأمان..... 41
2-7- طلب ومشورة..... 42
2-8- طلب البيعة..... 42
2-9- توضيحات واعتذارات..... 43
2-10- معاهدات مع الملوك المجاورين..... 44
2-11- رسائل عامة..... 45
2-12- أحكام القضاء..... 45
3- أدوات الكتابة في العهد الأموي..... 45
3-1- القلم صناعته وأنواعه..... 45
3-2- أوراق الكتابة وأنواعها..... 49
3-3- الدواة والحبر..... 54
3-4- المقلمة والسكين وأدوات أخرى..... 55
4- الخطوط المستعملة وظهور الإعجام والشكل..... 57
4-1- الخطوط..... 57
4-2- الإعجام والشكل..... 61
5- القواعد والأساليب المتبعة في الكتابة والمراسلات في العهد الأموي..... 66
5-1- الافتتاحات والدعاء..... 66
5-2- البسملة..... 68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5-3- المرسِل والمرسَل إليه في الكتاب..... 69
5-4- السلام في الكتاب..... 72
5-5- ذكر أما بعد..... 73
5-6- ذكر اسم الكاتب والتاريخ والإشهاد على الكتاب..... 73
5-7- ختم الكتب..... 75
5-8- تنظيم الصفحة في الكتاب..... 79
5-9- الإطناب والإيجاز في أساليب الكتابة..... 80
5-10- التوقيعات في الكتب..... 83
5-11- تضمين الشّعر في الكتاب..... 86
5-12- العبارات المستعملة في الكتب الجوابية..... 88
5-13- إملاء الكتاب وكتابته..... 89
5-14- نسخ الكتاب ومقابلته وطيّه..... 90
5-15- تضمين الكتب الأسرار..... 92
5-16- مكاتبة المسلم لغير المسلم..... 93
الفصل الثاني: الكتاب ومكانتهم في الدولة الأموية 95
1- الشروط والصفات الواجب توفرها في الكتاب..... 96
1-1- الشروط العلمية والثقافية..... 96
1-2- الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة..... 100
2- تعليم الكتاب ورواتبهم..... 103
2-1- تعليمهم وتدريبهم على الكتابة..... 103
2-2- رواتب الكتاب..... 104
3- الدواوين وكتابها..... 106
3-1- أقسام الكتاب وتخصصاتهم في الدولة الأموية..... 106
3-2- قائمة كتاب الخلفاء والأمويين على الدواوين..... 111
3-3- الكتاب من الموالي وأهل الذمة..... 125
4- مكانة الكتاب وفضلهم..... 128

الفصل الثالث: كتاب الخلفاء على الدواوين دورهم ومهامهم على مختلف الأصعدة

1- كتاب ديواني الخراج والجند مهامهم وظائفهم..... 134
1-1- دورهم الاجتماعي والثقافي..... 134
1-2- دورهم السياسي..... 139
1-3- دورهم في المجال الاقتصادي والإداري..... 144
2- كتاب الرسائل وديوان الإنشاء: مهامهم وظائفهم..... 148
2-1- دورهم الاجتماعي والثقافي..... 149
2-2- دورهم في الحياة السياسية..... 154
2-3- دورهم الاقتصادي والإداري..... 164
3- كتاب ديوان الأختام وبيوت الأموال والخزائن..... 165
3-1- دورهم الاجتماعي والثقافي..... 165
3-2- مهامهم ودورهم على الصعيد السياسي..... 167
3-3- دورهم الاقتصادي والإداري..... 170
4- حركة التعريب في العصر الأموي ودور الكتاب فيها..... 172
4-1- اللغات المستخدمة في الإدارة قبل حركة التعريب..... 172
4-2- الأسباب الدافعة لظهور حركة التعريب..... 174
4-3- تعريب الدواوين في العهد الأموي..... 178
4-3-1- تعريب ديوان الشام..... 178
4-3-2- تعريب ديوان الفارسية العراق وخراسان..... 179
4-3-3- تعريب ديوان مصر..... 181
4-4- تعريب النقود والطراز..... 181
4-4-1- صك وشعارات النقود..... 181
4-4-2- تعريب الطراز..... 186
4-5- نتائج حركة التعريب وموقف أهل الذمة منه..... 187
4-5-1- نتائج حركة التعريب..... 187
4-5-2- موقف أهل الذمة من حركة التعريب..... 189

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة..... 191
الملاحق 194

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام 230
ثانيا: فهرس الأماكن 243
ثالثا: قائمة المصادر والمراجع 246
رابعا: فهرس الموضوعات 260

رلاري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية